سعد صائب

في رحاب الأدب

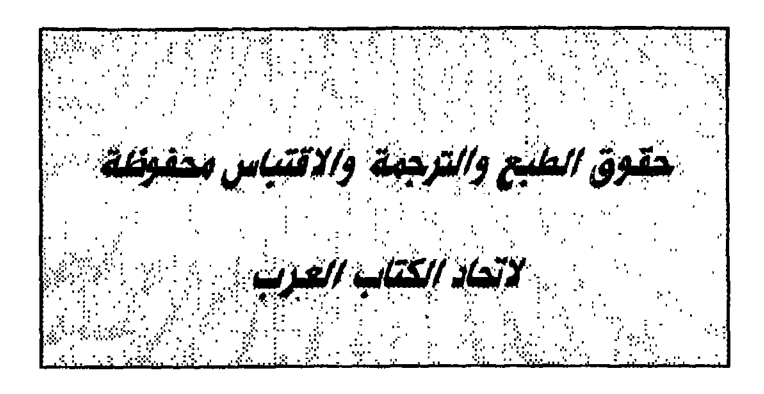
تجارب أدبية ونقدية

منشورات اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٥

في رحاب الأدب

تجارب أدبيّة ونقديّة




تصميم
الغلاف
الفنان
أنور رجا

إلــــى القــــارئ

قارئي العزيز !

هذا الكتاب الذي بين يديك، لايعدو لبنةً اضيفها إلى اللبنات التي قـام عليها أدبي آليت على نفسي اقامته منذ مايربو علـى الخمسـين عامـا ... واذاً جاز لي أن أظهرك على منهجي في تعاملي مع النص الذي أدرسه – كنـاقد – وأطلعك على طريقتي في الحكم بشأنه – كبـاحث متـذوق – فـاني مبـادر الى القـول : إن منهجي وطريقتي كامنـان في تلقي النـصّ ، لابقلـبي وعـاطفتي فحسب ، بل بعقلي وخبرتي كذلك اللذين يعينانني على فهمه والاستمتاع بـه .. واضعاً نصب عينيّ أن كاتبه بقدر مايعبرّ عن خصائصه المميزّة ، وتصويـره احاسيسـه بصـدق واخـلاص ، بقـدر مـايبلغ تلقيّ ايـاه غايتـه ، وينتهـــي الى اندماجي فيه وانسجامي معه الى مداه .. فأحسّ وكـأني جزء لايتجزأ منـه ، وأني تعرّفت فيه على نفسي من خلال تعـرّفي على نفس صاحبـه و[illegible] طريقته التي عبرّ عنها ... وهذا الانسجام المتبادل هو – عندي – الغاية المثلى التي ارتبط بها ارتباطاً قوياً ، مستوفيا فيهـا كـل القُـدرات الـتي ينبغي للناقد الذوّاقة المثقف أن يتمثّلها ويتفاعل معها ، ابتغاء نقل هذه العَدوى contagion

المستملحة – إن جاز القـول – إلى قارئـه ، واتاحـة الفرصـة لـه لفهـم النصّ والاستمتاع به ، وادراك الأبعاد التي تدعـوه إلى مشـاركته في الكشـف عنهـا ، والافـادة مـن موحياتهـا الـتي تعينـه – كمـا اعـانت النـاقد – علـى استشفافها والتعرّف على مافيها ((من ملامح فنيّـة مسـتقلة في وجودهـا عـن كل مايحيط بها من عوامل خارجيّة)) وتفسيرها وتعليلها والحكم عليها طامحـاً إلى ايقاظ استجاباته لما تتبّع مـن عمليّتـه النقديّـة الـتي مارسـها ، مترسمـاً قـول (اليوت) :

((إن الوظيفة الاساسيّة للنقد الأدبي ، هي تفسير الأعمال الفنيّة ، وتقويم الذوق الفنيّ — وإنها الارتقاء بتفهّم الأدب والاستمتاع به)) ! ..

من هذا المنظور الجامع المانع وفيه أثبتُ إنسيتي Humanisme معنيّا بإظهار المناقبيّة الأدبية للكاتب او الشاعر الذي أدرسه ، وماتمثله من فكر وثقافة !..

كما أكّد عقلانيّتي Rationalisme القائمة على ابراز الصفات التي تثبت مطابقة مايكتبه بعقله ومنطقه !.

وكيف دار الأمر فإن رؤيتي من خلال ((انسيّتي)) و عقلانيّتي ليست مقتصرة على مادرجنا عليه في صياغة ((الاجناس الأدبيّة)) ولاعلى مشاطرة سواي وجهات نظره في التفنن بها كمثال يحتذى .. بل في دعوتي الى الاعتماد على النفس في اختيار مانحتاج اليه ، وادراك الجودة فيه في سياق التحرّي عما يفيد أدبنا ، ويعبرّ أصدق تعبير عن أفكارنا !..

ولعلّي في البحثين اللذين ضمّهما كتابي وهما : ((مناخ الشعر)) لجاك شاربنتزو ، و((بيانات شعريّة)) لجورج لانز .. قد هدفتُ من ترجمتهما الى ايقاظ وعي كتّابنا وشعرائنا ، واثارة اهتمامهم كيما يتجهوا الوجهة الصحيحة في بلورة رؤيتهم الى مناخ شعرنا الجديد ، واستكمال مقوّماته !..

والبحثان اللذان التزمتُ بالاشارة اليهما ، يكتسبان دلالة خاصّة مابرحت تؤرّق كتّاب الغرب وشعرائه ، وتشغل فكرهم ، لستُ مغالياً إذا قلت : إنها تؤرّق اليوم كتابنا وشعراءنا ، وتشغل فكرهم .. مؤكّداً أن تعاملنا مع هذين المفهومين لايتناقض البتّة وما أفصح كاتباهما عنه ، وأراداه منه .. لأننا — كما يخيّل اليّ — لانلقى فرقاً ظاهراً بين مادعا اليه (جورج لانز) مثلاً في (بياناته الشعريّة) وبين ماندعو نحن اليه اليوم من الحذر مما تعكسه روح العصر من تأثير مطلق في حياتنا ، أفضى الى اندفاعنا فيه دون رويّة او تفكير ، مما يستوجب علينا ((تحرير الفرد من جبروت المجتمع الصناعيّ البورجوازي واهوائه ، كما يستوجب أن يفتح الفن عوالم جديدة تؤدي وظيفتها للصعود الى مدارج الجمال الانسانيّ)) . مستفيدين في - خاتمة

المطاف – من تجارب الأمم التي سبقتنا في مضمار التحرّر ، وولدتها نفوس افرادها ، وتطلّعهم بالتالي الى الانعتاق من ربقة تقنية هذا العصر ، وماديّته ، سعيا الى بلوغ خلاص الانسان وسعادته !..

تلك هي الدلالة – قارئي العزيز – التي حفزتني الى جمع هذه المقالات في وحدة متكاملة ، رامياً الى فتح عوالم جمالية جديدة ، متطلّعاً الى مستقبل أدب عربي مشرق ، تتغيّر فيه حياتنا ، ويتسامى فيه وجودنا نحو الأفضل ، مردّداً قول شاعرنا :

تفاءل بما تهوى يكن ، فلقلّما
يقال لشيء كان الاّ تحقّقا

دمشق – الروضة

سعد صائب

مع سلمى الحفار

في أدبها وحياتها

مـافَرَغْتُ يومـاً مِـن تِـلاوةِ أثـر مـن آثـار السيدةِ سلمى الحفـار الكزبـري – في العربيـةِ او الفرنسـيةِ ، إلا وأَطَلْـتُ التـأملَ في كلمـةِ ((الجاحظِ)) القائلةِ : واللّغتان إذا التقتا في اللسان الواحدِ ، أدخلَتْ كلُّ واحدة منهما الضّيْمَ على صاحبتها ".. ثم لا أَلبَثُ أنْ أطْرَحَ على نفسي هذا السؤالَ :

تُـرى ... علـى أيٍ مـنَ اللغتـين أدخلـتْ أديتنُـا السيدةُ سـلمى الضيم، وهي تتقنهما معاً ؟ أعلى لغتِنا العربيةِ التِي أبدعَتْ في الكتابةِ بها ، فأخرجتْ آثاراً قيمّة ، دلّتْ على تمكنِهـا منهـا ، وعرفانهـا مَكْنـونَ روحها وسِرَّ عبقريتها ؟

أمْ على اللغةِ الفِرنسيةِ التِي نَظَمتْ فيها قصائدَها الغُـرّ، في سَـلامةِ تعبيرٍ ، وبلاغةِ تصويرٍ ، ورَوْعةِ أداءٍ ؟

لئِنْ خالَ الجاحظُ أنَّ مُقْولتهَ ستغدو قـاعدةً مُطلقـةً ، فقـدْ توهَّـمَ بَله أخْطَأَ شَديدَ الخطإِ ... وحسبُنا بُرهانـاً ، شـاعِرتنا الـتِي كـانتْ ولمّـا تَبرحْ استثناءً يَدْحَضُ قاعدتـه بـلٍ ينفيهـا أشـدّ النفـي ، إن جـازَ للاستثناءات التِي تبدعُها الحياةُ ، أن تنفيَ القواعدَ التِي يطلقها الموهوبـونَ من أبناءِ الحياةِ .

فما السرّ إذَنْ ؟

لستُ أدري إذا كانَ السِرّ كامِناً في روحِ اللغةِ الفرنسيةِ التي نَظَمتْ فيها ، كما نَظَمَ سِواها من شاعراتِ العربيةِ وشُعرائِها ، ممن يُطلقُ عليهم عادةً شعراءُ في اللغةِ الفرنسيةِ POETES DE LANGUE FRANCAISE أم كانَ السِرّ مُستسِرّاً في روحِ الانسانِ العربّي نَفْسهِ ، الذي يتمثّلُ اللّغاتِ تمثّلاً حيّاً ، أياً كان لونها ، فيخضعُها لإرادتهِ ، ويقرّبُها من سليقتهِ ، ويطبعُها بطابعهِ ، وينطقُها كأبنائها ، دونَ أنْ تشوبَ نطقَه لكْنة أو تعتريه هُجْنة ؟ مهما يكنْ مِن أمرِ خصائصِ اللغاتِ ، وتميّزها بصفاتٍ خاصةٍ ، ومهما يكنْ مِن أمرِ احتفاظِ كلِ لُغةٍ بدلالتها ، فثمةَ – في اعتقادنا– خاصّة نادرة ، تفرّدَ بها إنساننا العربي ، تجسّدتْ في قدرتهِ على النفاذِ في روحِ أيةِ لغةٍ والنطق بها ، والكتابةِ فيها ، بِشكْلٍ جميلٍ يبْعَث على الدهشِ .

وأصدقُ مثال ، شاعرتُنا السيدةُ سلمى ، التي استطاعتْ بما اوُتيت مِن موهبةٍ فذّةٍ ، وسليقةٍ مطواعةٍ ، أن تستلهمَ روحَ اللغةِ الفرنسيةِ ، وأن تتمثلها وتنفذ في روحِها ، فتنطقُ بها على خير مايكونُ النطقُ ، وتنظمُ فيها وتكتبُ ، على احلى مايكونُ النظْمُ ، وأفتنِ ماتكونُ الكتابة ...

وليس ... هذا أنها ببروزها في الفرنسيةِ ، والمامِها بأدبها ومشاركتِها ... ، قد أدخلَتْ الضّيْمَ على لغتِها العربيةِ ، فلمْ تعْنَ بِها العناية التي تستحِقّها ، بل نراها تسيرُ في تعبيرها بلُغتِها العربيةِ ، في قرنٍ واحدٍمع مسيرتها في تعبيرهابالفرنسيةِ ، مما بّوأها لأنْ تغدو أديبةً ، عربيةً كذلكَ ، لها اداؤها المميّزُ ، ولها لغتها النقيةُ الصافيةُ ، التي تُعجبُ وتُطربُ وتبهجُ . ثمةَ سؤالُ ثانٍ لابدّ لنا مِن طرحهِ :

متى بدأتْ شاعرتُنا النظْمَ في الفِرنسيةِ ، وماهو اسلوُبها فيهِ ؟

تُحدّثُنا السيدةُ سلمى عن ذكرياتها مع الّشعْرِ بعامةٍ ، والشعْرِ الفِرنسيّ بخاصةٍ ، فتوردُ في كتابها الممتع "عنبرٌ ورماد" نبذاً مِن هذهِ الذكرياتِ الحلوَةِ ، نقطفُ منها قولَها :

أما ذكرياتي مع الشعرِ ، والشعر الفرنسي خاصةً ، فإنها ملازمةللمرحلة التي اتحدّثُ عنها (تعني السنواتِ التّسْعَ التي قضتْها في مدرسةِ الراهباتِ ، ومارسَتْ فيها الرياضة والموسيقا والشعرَ) حيث اكتشفتُ سحْرِه وجمالَه عن طريق ماكنا ندرُس منَ الشعر الرومانطيقي والغنائي ، ممثلاً بالشعراءِ أمثال: (لامارتينْ) و(موسه) و(فيكتورْ هوغو) في القسمِ الاعدادي ، ومن ثمّ مادرسناه من نماذجِ الشعْرِ الوجداني والرمزيّ ، ممثلاً بالشعراءِ (فرلينْ) و (رامبو) و(مالارميهْ) في القسمِ الثانويّ ... أحببتُ الشعرَ الفرنسي منذ بدايةِ عهدي بمعرفتهِ ، لعدةِ أسبابٍ ، منها سهولةُ بيانهِ ، وعذوبة الفاظهِ ، ورقةموسيقاه، التي تنبعث من جرسِ اللغةِ ذاتها ، كما أننا ، رفيقاتي وأنا ، شغفنابه ، لبساطة معانيهِ العاطفية التي كانت تؤثر فينا ، وتنفذ الى أعماقنا فتهزنا وتنسينا ، وتحفزنا على حفظهِ ومحاكاته أحياناً . وهذا ماأقدمتُ عليه مع بعضِ أترابي منِ السورياتِ ، فكنانتظُم الأشعار في أوقاتِ الفراغِ ، ونتبادلها خلسة في اوقاتِ الفرصِ، مزْهّواتٍ بأنفسنا ، معْجباتٍ بموهبتنا، وكأننا أصبحنا شاعراتٍ حقاً ، بل من كبار الشعراء . يالغرورِ الشبابِ، ويالقدُرتهِ على التزيينِ والتضليلِ !.

كنا ، "صونيا شلهوبْ "، و"ميمي ألوف "وأنا ، نقّدس الشعراءَ ونجلّهُمْ ونضعُهمْ فوق الملوكِ والاباطرةِ ، ولشدةِ تأثّرنا بقصائدِ لامارتين أمسينا نكتبُ القصائد في الحبِ وفي الحرمان ، وفي الالم والحنين ، وكأننا خبرنا الحياة ، وعركنا الدهر ، وكأنّ التجاربَ حنكتنا والآلام صقلتْنا . إنّ الميلَ الى المحاولاتِ الشعريةِ أمرٌ مألوفٌ لدى الفتيان والفتياتِ في سنّ المراهقةِ على الأغلبِ ، وقد قال ناقدٌ في هذا المعنى : " ليس غريباً أن يكتب الإنسان الشعْر بين الخامسة عشرةَ والعشرينَ من عمره ، حيث يكونُ اكثرُ الشبابِ شعراء في تلكَ المرحلة ، أما الذي يكتب الشعر ، وقد تجاوز الاربعين فإنه شاعر حقاً " .

وتمضي في روايةِ الظروفِ التي تعاورتْها في مدرستها فتقول :

" كنا نخضَعُ لمراقبةٍ شديدةٍ مِنْ قبل الراهباتِ آنئذ ، فكانَ محظورا على الفتاة مثلاً أنْ تسير في الباحةِ مع رفيقةٍ واحدةٍ ، كي لاتتحدثا على انفراد ، خشيةَ أن تفسدَ الواحدةُ الأخرى ، أو أنْ تتولّد بينهما عِشرةٌ مريبةٌ ، لذا كنا نتحلقُ جماعاتٍ تتألفُ من ثلاثِ فتياتٍ او اكثرَ ، وقد ألفِنا مراقبة الراهباتِ ، وإقبالهن علينا للاشتراكِ بأحاديثنا. ويبدوأنّ إحْداهُنّ شاهَدَتّ عن بعدٍ ورقةً تنتقلُ منْ يدٍ الى يد، في حُلقتِنا ذات يوم، ورقةً استأثرتْ باهتمام رفيقتيّ ، فاستغرقتا بقراءتها ، وعلّقتا على القصيدةِ التي كانت تتضمنها ، تعليقاً كلهُ إعجابٌ ، وجلّه إطراءٌ ، دغدغَ كبريائي ، لأني كنتُ صاحبة القصيدة ".

ثم تَروي لنا السيدةُ سلمى ، حادِثاً وقع لها ولرفيقاتها ، أثار قلقهنّ، وأوجعَ قلوبهنّ ، وابتعثَ كوامنَ الخوفِ في نفوسهنّ فتقولُ : "وبينما كنا منهمكاتٍ بالشعر ، محلّقاتٍ في عالمهِ السحريّ ، مثلتْ أمامنا الراهبةُ فجأةً ، فارتعشْنا للمباغتةِ المحرجةِ ، وكنتُ اكثر الرفيقات خوفاً ، وقالت :

– هل لي أن اطلع على مافي الورقة من ممتعٍ أثار فيكن كل هذا الاهتمام ؟

فارتعَدتْ أوصالي ، وتسمّرتُ في مكاني لا أقوى على الكلام، غير أن "صونيا "التي كانت تمسكُ الورقة ، تشجّعتْ وقالت : بكل سرور يا أماه . انها قصيدة جميلة عن الربيع ، لشاعرٍ مجهول ، تفضّلي، وناولتها الورقةَ ، فانتظمتْ نبضاتُ قلبي ، وعادَ الهدوءُ الى نفسي ، وامتلأتُ إعجاباً بسرعةِ خاطرها ، وثقتها بنفسها ، ولكنَّ الراهبة أذكى منّا جميعاً وأوسعَ درايةً بالشعرِ والشعراءِ ، وأخبرَ بحيلِ الفتياتِ فما أنْ ألقتْ نظرة مستفيضة على القصيدةِ ، حتى تفرستْ في كلِ واحدةٍ منا على انفرادٍ ، وقالتْ بلهجةٍ جازمةٍ لاتقبلُ الاعتراضَ : يجبُ أن تعلمنني من منكنّ المؤلفةُ ... الأفضلُ لكنّ أن تعترفنَ حالاً ، تجنباً لمشكلةٍ كبيرةٍ . فانبريتُ أقولُ ، وأنا متعجّبةٌ من جُرأتي ، بعدِ الخوفِ الذي تملّكني قبلَ لحظاتٍ .

أنا المؤلفةُ يا أمي ، فكيفَ وجدْتِ أشعاري ؟

فامتعضتْ واجابتْ وقدْ توّردَ وجهُها ، وكانَ حريّاً أنْ أخجلَ أنا منها : ستعلَمينَ رأيي فيها ، غيرَ أني أنصحكِ أن تكفّي عن هدرِ الوقتِ الثمينِ بكتابةِ أمثالِ هذه الترهاتِ .. "

وددْتُ - سيداتي - سادتي - لوأقفُ بكُمْ عندَ هذا المشهدِ المؤسي المحزن... مشهدِ الأمِ الراهبة التي لا أخالُها إلاّ وأحسّتْ في قرارة نفسها ، بالنشْوةِ وهي تتلو القصيدةَ وشعرتْ بالزهو والبهجةِ بموهبة تلميذتِها النجيبةِ التي أبدعتهْا ، بيدَ أنهّا لحرصِها الشديدِ على أداء رسالتِها، كمربيةٍ ومرشدةٍ وهاديةٍ ، أبتْ إلا أنْ تغالط نفسَها ، وتقفَ موقفَ المتحدّي مِن صنيعٍ تودّ مِن صميمها لوأنَّ ظروفها أو موهبتَها أسعفتهْا على أدائهِ ... ومشهدِ التلميذةِ الحييةِ الوجلةِ المرهفةِ الحسّ، التي جُرحتْ في كبريائها ، ولم تستطعْ أن تأسو جرحَها فانطوتْ على حسرةٍ وأسى ..

ثمةَإذنْ ... عقدةٌ تأزم فيها حدث بينَ تلميذة مهيضة الجناحِ ، معتدّةٍ بنفسِها ، مزهوةٍ بموهبتها ، وبينَ مربيةٍ تتقدُ غضباً ، تزعمُ أنها تحرصُ على الوقتِ الثمينِ أن يُهدرِ ، وهي مُلزمةٌ على مداراتهِ مضطرّةٌ الى الحفاظِ عليهِ ... فما هذه العقدةُ التي تأزم فيها الحدث الذي احتدمَ فيهِ الصراعُ ؟ ونعني بالعقدةِ هنا (ذلك القسمَ منُ) المأساة الذي يبدأ ببدايتها ، ويستمرُ حتى الجزءِ الاخيرِ الذي يصدرُ منه التحّولُ إما إلى السعادةِ وإما إلى الشقاء أما الحلّ الذي انتهتْ اليه ، ونعني به كذلك (ذلك القسمِ مِنَ المأساةَ المبتدئ ببدايةِ هذا التحوّلِ حتى النهايةِ على حدِ تعبير ارسطو[1].. "

لن نعنّي أنفسنا بالعثورِ عليهما ، أونتأوهَ تأوهَ الاسيفِ من عجزنا عن حسرِ اللثامِ عنهما.. حسبُ شاعرتِنا الموهوبةِ ، أنها كفتنا هذهِ

---

(١) ارسطوطاليس - فن الشعر - ترجمة عبد الرحمن بدوي ص |٥٠|

المؤونة، فبادرتْ لتوها الى التبسطِ في حديثها ، ومضتْ تسردُ لنا قصتها لتدخلَ في روعِنا ، أنّ الموهبة لابدّ وأن تنتصِر ، وأنّ النبوغ لابدّ وأنْ يفرضَ نفسَه كذلك ، وأنهُما سيفوزانِ في النهّايةِ ، مهما لقيا من عنتٍ ومهما اعترضهُما من صعابٍ ...

فماذا كان مآل هذا التهديد "المقنع" الذي جابهَتْ بهِ الام تلميذاتها الصبايا المتحلقاتِ اللواتي طاربهنّ الذعْرُ ، واستفرغهنَّ الوجلُ وران عليهنّ الوجومُ ؟

تجيئُنا السيدةُ سلمى مسترسلة في حديثها الشيّق قائلةً :

"وغادرَتنا (تعني الراهبة) تسيرُ بخطى منفعلةٍ ، فأيقنتُ أنّ الرئيسةَ ستستدعيني لتحقّق مَعي ، وأني سأواجهُ مشكلةً مزعجةً ، ولكنني صممتُ في الحال أن أدافع عن نفسي ، وألا أقف موقف المذنبِ النادمِ على إثمٍ اقترفه. فما هو الضرر في التغني بالربيع ، وبتأجّج العواطفِ فيهِ وبتجاوبِ النفسِ مع الطبيعةِ النضرةِ المتفتحةِ للحياة والحبِ ؟ هل أنا مجرمةٌأذا شعرتُ بتدفقِ دَمٍ جديدٍ في عروقي ، مع تألقِ أكمامِ الزهرِ ، واذا عبرتُ عن مشاعري بأبياتٍ موزونةٍ رقيقةٍ يشبهُ ايقاعها تغريدَ الطيورِ هلْ حرامٌ أنْ احسّ بأني تحولتُ مع الربيع الى قلبٍ يعشقُ الطبيعةَ والحياةَ والناسَ ، ويعبرُ عن هيامِهِ بالزهورِ والطيورِ والاشجارِ والانهارِ والارضِ والسماءِ ، الأ ني شابةٌصغيرةٌ في ربيعها السابعِ عشرَ يجب أنَ اعاقبَ . ؟

حَدَثَ ذلك في فرصةِ العاشرة صباحا، وكنتُ في ذلك العامِ أتناولُ وجبةَ الغداءِ في المدرسةِ مع أختي لميسَ وبانتهاء الحادية عشرةَ ، انتهى درسُ الادبِ الفرنسي الذي كانت تلقيه علينا راهبةٌ عاليةُ الثقافةِ ، هي الأم كلاري فخرجت من الصفِ ، وأومأتْ اليَّ أن اتبعها ، ففعلتُ ، واذا بها ترمقني بنظراتٍ غاضبةٍ ، ثم تقولُ بنبراتٍ حادةٍ معبرةٍ عن الاستياء والتهكم ، وقد أخرجتْ من جيبها الورقةَ المعلومة : برافو سلمي : لم أكن أعلمُ بأنكِ شاعرةٌ مجيدةٌ .. هل أستطيعُ أن أعلم كم ساعة أضعتِ في صفِ هذه الكلماتِ الكبيرةِ ؟

فأحسستُ بدمي يفورُ في عروقي ، ثورةً على جرحِ كبريائي ، لأني كنتُ مزهوةً بما كتبتُ ، ونظرتُ في عينيْها نظرةَ عتابٍ ، وقلتُ بوضوحٍ واعتزازٍ .

إنَ كتابة القصائدِ لاتأخذُ من وقتي إلا القليل ، إذا شعرتُ بحاجةٍ الى كتابةِ الشعرِ ، كما أني لاأستعملُ كلماتٍ كبيرةً أبداً ، ولا أتعمدُ ذلك ، لأني اعبرُ عنْ افكاريٍ ومشاعري ببساطة[٢]" ودِدْتُ سيداتي – سادتي – لو أمضي مستطرِداً حتى ختامِ هذهِ القصةِ الشيقةِ التي روتها السيدةَ سلمى في مهارةٍ وذكاءٍ وبراعةٍ ، لتكاشفَ بها قراءها ، فتسترعيَ قلوبهم ، وتستفز افئدتهم ، بيدَ أني – والوقتُ لايساعفني – مضطرٌ الى كتمانها عنكم ، لأغريكم بالعودةِ اليها في كتابها ، مكتفٍ بهذا القدرِ الذي أوردتهُ ، متمنياً لو ترجعون الى " عنبرٌ ورمادٌ " هذا السفرِ القيمِ الممتع، الذي سردتْ لنا فيه سيرتها الذاتية ، معتمدةً (على التوافقِ بينها وبينَ مجتمعِها ونظرتها الى الناسِ) الذين اتصلتْ بهم ، أو تعرفَتْ عليهمْ ، فكانَتْ في سيرتها شبيهةً بالاديبةِ الاوكرانيةِ الموهوبةِ ماري بشِكِرتسيفْ التي كتبتْ مذكراتها لتقصّ للناسِ التاريخَ الكاملَ لإمرأةٍ ، بكل أفكارها وآمالها ، وماعانتهُ من خيبةٍ وأملٍ ، وما أدمى قلبها من خسةِ الناس ولؤمِ طباعهم ، ومانعمتْ بهِ منْ جمالٍ ، وما استشعرتهُ من مباهجَ واحزانٍ [٣]..." بيدَ أن ثمّة أبعاداً شقّتْ عنها قصتها التي اوردت لكم طرفاً منها ، لايلحقني الشكُ في أنكمْ استهديتمْ اليها كما استهديتُ ، اسمحوا لي أن اوجزلكمْ هذه الابعادَ لتغدُوَ منطلقاً في تبيانِ التكوينِ الشعريّ الذي حرصَتْ شاعرتنا على تعميقِهِ بَعْدَ مرحلةِ بدايةِ قولها الشّعرَ في الفرنسيةِ ، في سنِ السابعة عشْرة او قبلها بسنواتٍ حتى صدورِ ديوانها الثاني "نفحاتُ الأمسِ" .

فما هي تلك الابعادُ ، وماالجوانبُ الثقافيةُ والفنيةُ التي كّونتْ

---

(٢) – عنبر ورماد – للسيدة سلمى الحفار الكزبري صفحة |٣٦- ٣٩ .

(٣) – الموت والعبقرية – للدكتور عبد الرحمن بدوي ص |٦٧|

شخصيّتها الشعريةَ ولاسيما أنّ مِن ((ميزة العملِ الجيّد - كما هو معروف - أنه يتضمنُ أبعاداً متعدّدة تتكشفُ للقارئ او المتلقي كلما عايش التجربة الفنّية)) .

في ميسورنا إذن ايجازُها بمايلي :

١ - تأثّرُها بالشعراءِ الرومانتيكيينَ في مقتبلِ عُمرِها ، (وهو ماندعوه بدورِ التقليدِ والمحاكاةِ) .

٢- إطلاعُها على الشعرِ الفرنسيِ في بجملهِ ، (وهو مانُسميهِ بدور التثقّفِ والتمثّلِ والهضْم).

٣- تبلورُ شخصيّتِها .

٤- خصائصُ شاعريّتها .

٥- بروزُ هذهِ الخصائصِ جليةً في ديوانِها "نفحاتُ الامس ".

مَنْ ذا يَشكُّ بأنَ التجربةَ الإنسانيةَ ليستْ موضوعَ الشعرِ بأسرهِ؟

ومَنْ ذا يشُكُّ كذلك بأنَ الشعراءَ الفحولَ قد استقطبوا هذهِ التجربة في شعرهِمْ ؟ .. مادام الامرُ كذلكَ ، فيم نحولُ إذنْ دون المبتدئينَ بنظمِ الشعرِ ، الطامحين الى أن يغدوا يوماً شعراءَ لامِعينَ ، ودونَ الاتكاء على الفحولِ ، ليتعرّفوا على نتاجهِمْ ، فيكملوا تجاربهمْ في الحياةِ والشعرِ ؟ ولا نخالهمْ يكتفونَ بهذا الاتكاء وحده ، بل نراهم يغرقون في ذواتهم ، وينظرونَ الى داخلِ نفوسهمْ ليستشفوا كوامِنها ، ويسبُروا اغورَها ، ويقفِوا على خوالجها . ولئنْ عيبَ عليهمْ عجزهُمْ عن الرؤية الخارجية ، فمبعثُ ذلك أنَ تجاربهمْ لم تكملْ ، وأن علاقاتِهمْ بالعالِمِ والاشياءِ لم تتوطدْ بالقْدر الذي يتيحُ لهمْ مواجَهَة العالمِ ، ورؤيته على حقيقتهِ .

فليُمعنِوا إذَنْ في دراسةِ آثارِ من تقدّموهُمْ ، وليفيدوا من تجاربهمْ، وليقبلوا على محاكاةِ اساليبهمْ في النظمِ واحتذائها ، ماداموا في بداية تكوينهم ، ومقتبلِ أخذهمْ بأزمةِ القريض . لذا لم يكنُ بِدعاً إقبالُ

شاعرتنا على آثار الشعراءِ الرومانتيكيين ، وتأثّرها بهم ، وهي بعدُ في فوعةِ عمرها وبدايةِ تعاطيها النظمَ ، ولاسيما أن روادَ هذا المذهبِ ، قد جَروْا على تبيان عواطفهمْ التي جاشتْ بها صدورهُمْ ، واعتلجتْ بها جوانحُهُمْ ، وخفقتْ لها افئدتهمْ ، بإحساسٍ مُرهفٍ هَفهافٍ ، يتغلغلُ الى سجفِ الالوانِ فيكشِفُ عنها ، ويبينها جليةً زهْواءَ ، تعجبُ القارئ، وتطرب السامعَ وتنعشُ الهيمانَ .

ولكن هل يعني هذا أنّ السيدةَ سلمى ، حين أخذ قلبها ينبضُ بالشعرِ ويهزجُ به ، فبَزت فيه ، وقَفتْ عندَ حَدِ استلهامِ الرومانتيكيينَ ، والتأثّرِ بهم ، ومحاكاتهمْ فيما كتبوا ونظموا ؟ ثمةِ عمليةٌ يدعوها الفلاسفةُ بعمليةِ الصيرورةِ ، تتلخصُ في أنها تقدّمٌ تقدماً طبيعيّاً ، وأن هذا التقّدم يتحققُ في وقوع سلسلةٍ متصلةٍ منَ المتناقضات ، تنتهي دائماً الى التوفيقِ . ففي الافكارِ والوقائعِ على السواء ، ينتهي كلُّ موضوعٍ الى نقيضِ موضوعٍ ، وهذا الاخيرُ يتحدُ مع الاول في مركبٍ موضوعٍ ، يصونُ ماهو ثمينٌ في كليهما[٤] ."

ههنا يكمُن السّرُ في إقبال شاعرتنا على الشعرِ الفرنسي ، وإمعانها في قراءةِ آثارهِ ، إمعانَ المستفيدِ المستقصي ابتغاء الالمامِ بمذاهبِ روّادهِ واساليبهمْ في الكتابةِ والنظمِ والكشفِ عن سرّ إبداعهم .. من هنا ... منْ هذا الينبوعِ الثرِ الذي راحتْ شاعرتنا تغترفُ منه ، تبرزُ لنا ثقافتها الناضجة، التي طَعّمتْ تناجَها الشعري في الفرنسيةِ ، ونتاجَها النثريّ في العربيةِ ، بعنصرِ الجمالِ الذي لايبرحُ يرسُمُ لنا لوحةً رائعةً لنفسيها المتشوقة التي تتربّعَ على قمةِ الفطنةِ والذكاء ولا إخالني مغالياً إذا أشبهتها بمدام دوستال تلك الاديبة التي ملأتْ الدنيا وشغلَت الناسَ في القرن الثامن عشر، والتي أجمع النقاد على أنَ لها روحَ روسو القويّة الحادّة وعقلَ فولتيرَ وتفكيَره ... ولئن كانتْ روحُ الاديبةِ الفرنسيةِ

---

(٤) – فلسفة الحضارة – لالبرت اشفيتسر – ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ص |٢٦٤| .

فسيحةَ الآفاقِ نشيطةً ثائرةً تلفظُ الافكار،وتخرجُ الاراءَ بسهولةٍ مدهشةٍ.

فإن روح شاعرتِنا السيدة سلمى تبرزُ كذلك في سعَةِ آفاقِها ، ونشاطها وثورتِها واخراجها آراءها بهذه السهولةِوهذا اليُسر اللذيْنِ قلما نشهدهما في شاعرةٍ من شاعراتنا اللواتي ينظمنَ . في الفرنسيةِ ، ومردُّ ذلك عندي ، الى موهبتِها من نحو ، وسموّ شعورها الفنيّ والجماليّ من نحو آخرَ ، ومنَ اليسيرِ تعليلُ هذهِ الظاهرةِ ، إذا علمِنا أنها لاتنفكّ - وقد اسعفتها الى جانبِ لغتِها العربيةِ اللغاتُ الاجنبيةُ التي تتقنها ، وفي مقدمتِها اللغة الفرنسية - تمعنُ في قراءةِ دواوينِ الشعرِ ، ومُطالعةِ امّهاتِ الكتب ، التي تصْدُرُ عن هذه اللغاتِ ، وتتأملُ فيها ، فتزدادُ ثقافةً وتعُمقُ تجربة ... ولهذا ففي ميسورنا القول إنّ من أخصّ مميزاتها ، ثقافتها الواسعة الشاملة التي شكلتْ روحها ، وماتنطوي عليه هذه الروح ، مِنْ سماحةٍ تتمثلُ في دوافعها الانسانية النبيلةِ ، وحنانها الغامرِ ، ووجدانها الاجتماعيّ الحيّ ، واندماجها الكليّ في نفوسِ مَنْ تعرفُهمْ وتتعّرف عليهم .. هذا الاندماجِ الذي يوسمُ بطابعِ ايجابي سمحٍ لاتشوبهُ كبرياءٌ ، وإن مازجهُ طموحٌ صافٍ هادئ ، يعسرُ على الكثيرينَ بلوغهُ .

لقد ألفَ النقادُ أن يعرّفوا الشّعر بأنه محاكاة متبعين في ذلك تعاليم "ارسطو" سواءٌ عن طريقٍ مباشر أو غيرِ مباشر . ومعنى المحاكاةِ هنا بالطبع ، محاكاةُ الطبيعةِ بالمدلول الأرسطيّ لهذهِ العبارةِ ، الذي على الرغمِ مِن غموضِه ، لن نتمكنَ - لضيقِ المجالِ - من مناقشتهِ . إلا أننا أيضاً غالباً مانجدُ النقاد يقولون إنّ الشعْرَ الجيد، يجبُ أن يكون محاكاةً ... أيْ يجبُ أن يحاكيَ أو يقلد الشاعرُ فيه ، إنتاجا لشاعرٍ كبيرٍ من شعراء الماضي (أي شعراء اليونان والرومان القدامى) . وبهذا المعنى تصبحُ المحاكاة عونا على عمليةِ الخلْقِ الادبيّ ، التي يقوم بها الشاعرُ ويصبحُ النتاج القديمُ ، النموذج الذي يجبُ على الشاعرِ الحديثِ إن يحتذيه ويقتفي أثره [٥]..." والسؤال الذي نطرحهُ هنا :

---

(٤) فلسفة الحضارة - لالبرت اشفيتسر - ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ص|٢٦٤| .

هل الشاعرُ الحقّ مضطرّ إلى المحاكاةِ في عمليةِ الخلقِ التي يقومُ بها؟

هنا نجدُ مساغاً الى أنْ نهتف مع الفقهاء : للمسألة قولان... نعني أننا مطالبونَ بالتمييز بينَ الناظمِ والشاعرِ ملزمونَ بالتفريق بينَ النظمِ والشعرِ ... لذا فحينَ نقولُ ناظمٌ فكأننا سلبناهُ أهم مميزاتهِ وهما الموهبة واحتجابُ الرؤيةِ وليسِ من شكٍ في أنّ مَنْ فقدَ الموهبة واحتجبت عنه الرؤية فكأنه فقدَ أبرزَ صفتين من صفاته وهما الاصالة والابداع وفقد انه هاتين الصفتين يضطره إلى محاكاةِ وتقليدِ أيّ شاعرٍ صغيراً كانَ أم كبيراً ... نقول : يضطرّ ليقيننا بأنه مهما تعاطى القّريضَ ، وعانى مرارته ، سيظلّ متطفلاً على مائدةِ الشعرِ ، وسيبقى عالةً على الشعراء ، يستجدي عطاءاتهمْ ، وسيحارُ في دروبهمْ التي تضيقُ عليهِ حيناً حتى تكتم أنفاسه ، وتتسعُ له أحياناً ، حتى يوشكُ أن يضيعَ في متاهاتها .. لذا يجيءُ شعره . إن جاز لنا أنْ نسميّه شعراً ، واهياً ، عقيماً لاروحَ فيه ولاحياةَ ... ومبعثُ ذلك كله انعدامُ قوةٍ . ذاته وقوة بصيرته ، وضعفِ تجاربه ونزارة طبعه وتفاهةِ شخصيتهِ، مما يعجزه ـــ لغلبة تجربته اللغوية على تجربته الشعرية – عن الاتحاد النفسي ، بينه وبين عناصر عمله منْ نحوٍ ، ويحولُ دونه ودونَ السمو بنفسهِ وبتجربتهِ ، وفرض شخصيتهِ من نحوٍ آخر ... أما الشاعرُ الحق ... الشاعر ذو الموهبةِ الكبيرة والقلبِ الكبير ، فثمة قوى جمة تدعمه ، وتشد أزره ، تتجلى في غزارة طبعه وقوة بصيرته ، التي تمدهُ في إنماء شخصيته واغنائها ، وقوة تجاربه التي تبلور شعره وتعمقهُ ... هذا إذا اعتبرنا أنّ التجربة هي موضوع الشعر ، وأنها بالتالي جوهره ...

هكذا نرى أنّ الشاعر الحقّ ... الشاعر الفنان، يتناهى عن المحاكاةِ ولايأبه بها ، ثقة منه بنفسهِ ، وإيماناً منه بموهبتهِ ، وشعوراً منه " بنوعٍ من الاتحادِ النفسي بينه وبينَ عناصر عمله ... إذ نراه يشعرُ مثلا

(٥) كولردج – تأليف الدكتور محمد مصطفى بدوي ص ٤٢

(٦) العبقرية والفن – للدكتور مصطفى سويف .

أنه هو هـذه الشـخصية الـتي يقدمهـا في قصيدتـه ، فـاذا تحمسـتْ هـذه الشخصية فهو متحمسٌ لها ، واذا عاشتْ لحظاتٍ في نشوةِ الحب ، فهو الـذي يعيشُ هـذه اللحظـاتِ ، واذا بكـتْ أوشـكَ على البكـاء ، واذا مرضتْ او تألمتْ ، عـانى مايشبهُ المرض أو الألم . ولايشـترطُ في هـذا الاتحادِ أن يتم بين الفنانِ وبينَ شخصيةٍ انسانيةٍ وموجوداتٍ حيةٍ ... قـد يتمّ عند شاعرٍ رومانسي بينه وبين القمر الشاحب او بينه وبين شـجرةٍ تعصفُ بها ريحٌ لاقلب لها . ويتم عندَ شاعرٍ آخر ، بينه وبين عصفـورٍ أدمت قلبهُ أشواكُ الورد " ثمة إذن بونٌ بعيدٌ بين الناظم والشاعر لاإخالني مغالياً إذا قلتُ إن شاعرتنا السيدة سلمي - بعد إن تمرست في النظم - قد تخطته ونـأت عنه ، نأياً بوأهـا مكانـة مرموقـةٍ ، اعـترفَ بهـا النقـادُ الاجانب ، الذيـن أسـرهم أداؤهـا ، وخلبهـمْ جرسه الهـادئ الحنـون ، فتعاطفوا مع شعرها ، لما ألفوافيه من نبضِ الشعورِ الحيّ الصادق ، ومـا شاعَ فيه من أنغامٍ حلوةٍ عذبةٍ ، جاءت نسيج وحدها ، لم تستمدها من سواها ، او تستعرها من لغةٍ شعريةٍ سبقتها ، أوعملٍ فنيٍ اطلعت عليـه ، بل ساوقت فيها ، بين رؤيتها الشعرية من نحوٍ ، وشخصيتها المتميزة من نحو آخر .

وهذا ماحدا بالاديب الفرنسـي "روجيـه لوكـات " أن يهتـف في مقدمتـه للطبعـةِ الفرنسـيةِ ، بعـد أن اختلبتـه بحسـن أدائهـا ، وأعجبتـه بتلقائيتها ، حيث يقول : "هو ذا شعر شاعرةٍ في ربيع عمرها تتقد حيـاة مفتونة بالكون شعر ينبضُ بـه قلـبُ سـلمى الحفـار الكزبـري ... شعرٌ موسيقي يمتازُ بطابع غنائي ، قلما الفتاةُ لدن امـرأة ... لـذا فقـد أمسـى لزاماً علينا أن نلجه كما نلجُ حلبة رقصٍ ولاسيما أن " العـالم السـحري الفاتن " الذي تبدعه الشاعرة يجتذبنا اليهً ، ويغمُرُ بالرؤى اولئك الذيـن يخالون الشعر رحلةً الى أعماقِ الوجدانِ ... أوليستْ هي القائلة :

"إن هوانا

سيحيادوماً

برؤانا "

إن ديوان " نفحاتِ الامسِ "ينقل الينا شعراً لايبرح جديدا ، ولايعنو لأي مذهبٍ شعري ، تبرز لنا فيه السيدة سلمى ريشة رهيفة ، تعي انتقاء الالوان ومزجها ، واثقة بحدسها الذاتي المبدع مطمئنة اليه . بيد ان أكثر مايعلق بأذهاننا من هذه القصائد ، ذياك الحنان الغامر الكامنُ فيه ... الحقَ أقول إن الحنان النقي الذي لايحس به أحد إحساساً عميقاً ، كما تحسّ به المرأة ، لهوما عبرتْ عنه الشاعرة بلمساتها النديةِ الوضاءة ... وهذا يعني كم ستغدو " نفحات الامسِ " قصائد تهفواليوم اليها أفئدتنا ، ويلح في طلبها وجداننا ...

مايلحقني الشك في ان الكاتب الفرنسي قد أدرك بلمحةٍ خاطفةٍ سر شاعرية السيدةِ سلمى ، واعطانا بايجاز محبب ، معنى فنها الشعري ، ودلنا بايماءة لبقة على شخصيتها في شعرها . وماعلينا الا أن نفضَّ هذا السر الذي اشار اليه ، ونصرف همتنا الى تفسير المعنى الذي نوّه به...

أول مايبده قارئ " نفحات الأمس " جمال شعر شاعرتنا ورهافة إحساسها ، وغزارة طبعها وصدق تجربتها ، واكتمال صورها ... أما الجمال فكامن في بساطته ووضوحه ، وحسبهما عمقا أنها لاتبحث فيهما عن خلق التأثير ، بقدر ماتبحث عن ايجاد الصدق في التعبير عنهما ... وبمعنى آخر إنها لاتبحث عن اثارة القارئ ، بقدر ماتبحث عن حفزه لمشاركتها ، والتعبير عما يبتغي أن يقوله هو ، لواتيح له موقف شبيهٌ بموقفها ، حيال المشهد الذي تراه والحياة التي تحياها ... فهي تصور المشهد وليس فيهِ من تزويقِ الخيال ، بأكثر مافيه من صدقِ العاطفة وهدوئها ، وصدق التجربة وعمقها ... فهي إذن ليست رومانتيكية بالمفهوم المتعارف بل هي واقعية في روح رومانتيكيةٍ وهذه الصفة في الحقيقة ، هي الصفة الغالبة على شعرها كله ، والمميزة التي امتازت بها ...

قد تنفعل بالمشهد كشاعرة ، بيد أن هذا الانفعال ، ليس جموحاً بشكلٍ تطغي فيه العاطفة الجياشة على المشهد ، فتفقده روعته وسحره

وبهاءه ... إنه الانفعال الهادئ ، المتزن الذي تحرص الشاعرة شديد الحرص على ضبطه وكبح جماحه ، في اسلوب من الوعي ، ممزوج بشفافية ناعمة ، يحليها ضرب من التشويق يلائم طبعها الهادئ ، ويوائم طبيعتها الوقور .

وهنا أعترف لكم بأني – على الرغم من استلهامي روح شعرها التي هي روحها نفسها ، وعلى الرغم من وقوفي على مضمونهِ ومادتهِ – لم أبلغ شأوها في ترجمتي ديوانها " نفحات الأمس " لما في شعْرها من روعةٍ وجمالٍ وصفاء ، وما في بيانها العذب من اشراق ورقةٍ وطلاوةٍ ... وهو أمرٌ بديهيٌّ يدركه ويعانيه ، كل من تصدى لنقلِ الشعر من لغة الى لغةٍ ، ولاسيما أن نقل الشعر ، والشعر الرائع بخاصةٍ " لايمكن ترجمته إلى الفاظ أخرى دون أن يفقد جماله " هاكم مثلا حياً نستجليه في قصائد ثلاثٍ جسدت ابعاد شعرها ومقوماته ، ولخصتْ مادته وروحه، وأبانتْ عن رؤيتها فيه .

ففي قصيدتها " الشاعر lepoete " التي افتتحت بها ديوانها ، فالتقت بخدينها (علي محمود طه) الذي افتتح بدوره ديوانه بعنوان شبيهٍ بعنوانِ قصيدتها ، مع الفارق أن "علي محمود طه " ظل في قصيدته محلقا برومانَسيّته في المحل الأرفع ، في حين هبطت شاعرتنا كورنياء (ابن سينا) مبتغية استجلاء سر رسالة الشاعر رامية الى عونه على تمثله كنهها ... مما حداها لأن تقف موقفا يكاد أن يكون نادرا في الشعر عربيه وأجنبيه ، إذ قلما تجاذب الشعراء أهدابه ، لظنهم أنه يختص بالفلسفةِ وحدها دون سواها ... ولقد بدا هذا الموقف واضحا في الاسئلة الجمة التي طرحتها على الشاعر فكأنها تقتدي بسقراط حين كان يطرح اسئلته على من يلقاهم في دروب اثينا محاوراً اياهم في الفضيلة والعدالة والتقوى ، هادفاً الى اصلاح حياتهم العقلية والخلقية ، التي كانت مدار لائمته ومستقر مذمته ، بعدَ أنْ خامرهُ الجزع عليها ...

وغالب ظننا أن شاعرتنا حين سنح لها الخاطر في مناجاة شاعرها، هدفت الى ماهدف اليه " سقراط " وشاءت – بعد أن خامرها الجزع

على ما انتهت اليه رسالة الشعر في ايامنا من ضياعٍ وعقمٍ - ان تحاور اولئك الشعراء الذين فقدوا براءتهم الطبيعية وأحساسهم بالجمال والبساطة فضلّوا عن وظيفتهم وكادوا ان يتخلوا عن رسالتهم لجهلهم حقيقتها ، فعزمت لنزاهة نفسها ، على تذكيرهم بهذه الوظيفة ، وحفزهم على فهم تلك الرسالة والايمان بها . وبالتالي انفتاحهم على عالم الآخرين ومسؤوليتهم حياله ، لأن مصيرهم مرتبط بمصيره ..

وكان قصاراها في اسئلتها (التنبيه) ... نعني تنبيه الشعراء الى مضمون رسالتهم فحسب ، لا التوليد الذي كان يرمي اليه " سقراط " لاستخراج المعرفة من دخيلة نفوس الذين يلقاهم فيطرح عليهم اسئلته...

ولايساورنا الشك في هذا الفارق ، بين الفيلسوف السفسطائي الذي تنبأت له كاهنة " دلفي " بأنه أحكم اليونان وبين شاعرتنا التي عمرتها الثقة فبسقت على الشعراء إذ تفردت بقرض هذه القصيدة .

كما أنه الفارق كذلك بين الشعر الذي يميل الى مخاطبة الوجدان ومناجاة القلوب للسمو بها ، وبين الفلسفة التي تجنح الى محاورة العقول والاذهان لتبصرها بالحياة وتمدها برؤية للعالم أكثر اكتمالا " ولهذا كان الشعر وسيظل أوفر حظا من الفلسفةِ ، وأسمى مقاما من التاريخ "... لنستمع اليها تسائل الشاعر هاتفة .

أأرهفت سمعك يوماً
الى موسيقا الصمت
وايقاعاتها المخملية
التي تعدل ألف أنيسٍ ؟
أحاولتَ يوماً
أن تعي عطرَ الزهرِ
وتَفْهَم تغريد الطيرِ
وقد بللتها دُموعُ الغمام ؟
أفي مقْدورِكَ الابتسامُ للشقاءِ ؟

أعَرفْتَ مناجاةَ النجومِ
كما يعرفهُا بنو الصيّادِ
ممن يَحيَوْنَ ولا زورَقَ لهُمْ ولا شِراع ؟
أعَرَفتَ أنْ تثرى من العدمِ
أفي وُسْعِكَ ابداعُ كونٍ شاملٍ
كتلميذٍ صغيرٍ
حَذِقَ تلوينَ الموجِ ؟
أتَملتَ حيناً
حِيالَ لوحةٍ فتّانَةٍ
لغروبِ شمسٍ رائعٍ موارٍ
يبعثُ كوامِنَ الشجَنِ ، ويُثيرُ لواعِجَ الحنينِ ؟
أذرَفْتَ العَبَراتِ يوماً
وأنتَ تُرهفُ السّمْعَ الى ابتهالِ المُصلينَ ؟
أمَسكَ الضرّ
عنيْتُ بؤسَ مَنْ لايبصرونَ ؟
أأشْرقَتْ نفسُكَ حبُوراً
لهناء إخوتِكَ السّعَدَاء ؟
أأغثْتَ فريقاً مِنَ التعَساء
ضحايا القَدَرِ والناسِ ؟
أفي ميسورِكَ أنْ تعفُودَوماً
عنِ الاهاناتِ والهَنَاتِ
وأنْ تشْدو فرِحا مسروراً
ألحاناً أحلى مِنَ النّسَماتِ ؟
أعَرفْتَ كيفَ تجوزاَ عنانَ السماءِ
بلا رحيلٍ ولا ونى
كيما ترنُوالى الشّمْسِ متلألئةً
خلْفَ السحُبِ الدّكْناء ؟
إنْ كنتِ تفرْدُ جناحيْكَ
لتجلُوَ بدائعَ الوجودِ

وإنْ كنتَ تشدوَ بالشعْرِ
نغَمَ الباري والخلودِ
إنْ كانَ الهوى والجمالُ
ظمأكَ الذي لا يرتوي
وإنْ كانتْ الحريةُ حقاً
أغلى لديكَ منَ الحياةَ
فإنَ الاعيادَ ستكلّلُ
أوصابكَ ودموعَكَ
وستغمرُ الازاهيرُ بيداءكَ
ألستُ صادقةً ، أيها الشاعِر ؟

*

أرأيتم كيفَ استطاعتْ الانسجامِ والتوافقِ بين لغتها الواضحةِ المعُبرةِ وبينَ فكرتها الهادفةِ الملتزمةِ ان جاز التعبير التي حدّدت موقفها منْ رسالةِ الشاعرِ ؟

أرأيتمْ كيفَ أرسلتْ طبْعَها على سجِّيتهِ ، إرْسالَ الآمنِ المطئنِ فأصابتْ الغرض ؟

أرأيتُمْ كيفَ اتسمَتْ قصيدتُها بصِدق العاطفةِ وهدوئِها ، اللذين يفضيان الى تطهيرِ النفسِ والسموِ بها ؟ ولمَ تتسمْ بالثورةِ العارمةِ التي تثيرُ الانفعالَ فيفضي الى الالمِ ؟ وتتشحُ بالعاطفةِ الجيّاشةِ المحتدمَةِ التي شدما يتوتّر فيها هذا الانفعالُ ، فيؤدي الى خوفِ الشاعرِ منْ رسالتهِ ؟

أرأيتمْ في النهاية ، كيفَ أفصحتْ عن ايمانها برسالتها .. ايمانها " الذي يتعّدى كونَهُ تعشّقاً للكلمةِ باعتبارها جمالاً فنياً ، الى كونهِ تشبثاً منْ حيثُ هي سلاحٌ وجسر. "

لنعجْ الى قصيدتها الثانيةِ " فلامنكو flamenco " ــ أي الرقص الاسباني ـ ولنتملّ هذا المشهدَ الحي المعبّر الذي اندمجتْ فيه شاعرتنا

اندماجاً يوشكُ أن يبلغ " حلولية " المتصوفة .. ولننظر كيفَ اتحدتْ بـه او (تقمصته) انْ جاز التعبيرُ ، فاختزلت بتعبيرها عنـه ، المـاضي والحـاضر معاً واستطاعتْ بتصويرها اياهُ أنْ تأسر " عـالمَ تجربتهـا المباشـرةِ ، وأنْ تمسِكَ به دونَ أن يفلت مـنْ بين يديهـا ، تتكشفُ عنـهُ وتجعلـهُ مرئيـاً ومحسوساً في ذاته."

لنصـغ الى هـذهِ القصيـدةِ الشـيقةِ النابضـةِ بالحيـاةِ والحركـةِ الـتي بلـورَتْ فيهـا شـاعرتنا مقدرتهـا الفائقـة في التصـويـر ، وأجـادتْ فيهـا التطابق بين اسلوبها في رسم المشهد ، وبين تجربتها الذاتيـة ، بينَ المضمون الفنيِ المتجليْ في انطباعاتها ، وبينَ الصورة الاخاذةِ المتجليةِ في رسمها هذهِ الصورة ...

وأشهدُ – كما ستشهدونَ معي حينَ أتلوها عليكم – أنها برعت في الرسْمِ والتصويـر ، براعـةَ المصـورِ الفنـان الموهـوب ، الـذي يستلهم المنظرَ ويحياه ، ثم لايلبـثُ أن ينقلـه حيـاً الى لوحتـهِ ، ليعطينـا لا المنظـرَ نفسه فحسبُ ، بل روحهُ وجمالهُ ومثاليتهُ كذلك .

لنستمع الى نبضِ هذه الاحاسيسِ الجماليةِ التي تنتقـلُ الى القلـوبِ دونَ استئذانٍ لتحييها وتنعشها – وتبعثَ فيها الدفء .

تقولُ الشاعرةُ في قصيدتهـا الـتي أهدتهـا الى الفنانـة الاندلسـية " ماريا البايسين " :

ارقصي أحزاننا السرمديةَ
روّحي عن نفسِكِ ، أيتهُا المتمرّدةُ
جنبي عنكِ الهّم والاسى
اللذين تنوء بهما أهدابكِ الوطفُ الجميلةُ
رفي بزنديك ، وبنانكِ ، وروحكِ
رفي رفيفَ أجنحةِ الطيرِ وظلالِ اللهبِ
أيقظي الربيعَ أيقظي
ربيعَ عمركِ يا ابنة العشرينِ

أرقصي ، وابعثي الدفء في الليلِ الوهيفِ
تلملمي ، ثبي ، اهتفي
فلعل الدراري الصمَ تهبّ
عجلى لغوثكِ .
تفنني بجداعبةِ صنجيكِ
احلمي ، انتفضي ، ثوري
احتجّي ، انتحبي إلعني في طويتكِ
الفنّ والزمنَ ، والقدر ، والردى
أرقصي اوصابكِ وأنتِ تأتلقينَ نضرةً
فلعلّ هذا المسرحَ يعزيكِ عما نابكِ
دعي غدائركِ الزرق تهمي مزهوةً
كزهوكِ أنتِ ياذاتَ الطرفِ المتلألئ
لكأنّ هفيف غلالتكِ
وهمساتِ شعركِ المرسلِ
يذكران إما جنّ الليلُ
بعيسانَ الصفصافِ الباكي وتألمِهِ
أرقصي مفاتن ارضكِ الجمةِ ، ياماريا البانيسينَ
مفاتنَ اسبانيا التي تكرمينَ وتقدسينْ
فلن يفتأ الشيبُ يضلّ دربهُ
صوب أمجادِ وطنكِ وعرقكِ .
ألا إنّ محيّاكِ الشّجي الحنونَ ليفتننا
على الرغمِ مما ينتابنا منْ قلقٍ
فدعينا نلمح ولو بارقةَ أملٍ
في نظراتكِ السّودِ المخمليّةِ
أرقصي أغاريدَ ثراكِ والحانهُ
ألحانَ قرطبةَ المفعمةِ
لكأن صوت "زرياب "يتناهى إلى سمعي في اصْدائِها
وانهُ ليتناهى إليّ منْ صميم إطار الفلامنكو
يتناهى اليّ على لحن القيثارةِ الشجيّ

على شدو الكلم المثيرةِ
على شكاةِ المغني النديةِ
ألا هدهدي ياماريا ... هدهِدي اوصابكِ
أرقصي وذوبي في الموسيقا
وابسطي أساريركِ الجهمَةَ
فستظلُ اغاريدُ العصورِ الخوالي حيةً بفضلِ فنّكِ .
بَيْد أني وأنا أردّدُ فيكِ طرْفي ، رغْمَ الوردةِ في شعْرِكِ
ورَغمَ جذلِ هذا الحفلِ واضوائِهِ
ورغمَ شموخكِ وخيلائكِ
اشهدُكِ كلّ مساء تعاودينَ أساكِ .
أرقصي ... أرقصي الفرحَ الآفِلَ والمرَحَ العابرَ
مرحنا نحنُ المبعدينَ منْ فردوسنا
اقرعي الارضَ بقدميكِ ، تحدّي السماءَ
أسيلي ، أسيلي دُموعَ الإله !!.

*

أثمةَ تعبيرٌ عن تجربةٍ شعوريةٍ أسمى منْ هذا التعبيرِ ؟

أثمةَ تصوير لمشهدٍ ، لواقعٍ ، لحقيقةٍ ، أبرعَ وأفتنَ من هذا التصويرِ؟

أثمةإحساس بمشهدٍ ، بواقعٍ ، أصدقَ وأعمقَ منْ هذا الاحساسِ ؟

لقد عّرف " كولردج " الشّعر الرائع بأنهُ " أفضل الالفاظِ في أفضلِ الاوضاعِ و" اعطى مفهوماً له إذ أوجبَ " أنْ يكونَ لكل عبارةٍ، ولكلِ استعارةٍ وتشخيصٍ مايسوغها منَ العاطفةِ ، سواء كانتْ هذهِ العاطفة ، عاطفة الشاعر نفسه ، او عاطفةَ الشخصية التي يرسمُها ".

ونخالُ أنّ شاعرتنا ، في قصيدتِها هذهِ ، قد حققتْ ماتمنّاه "كولردجُ " واضافتْ الى هذهِ الامنيةِ عرفانها " بخصائصِ اللفظِ التي تنطبقُ على العبارةِ ، ويزيدُ عليها التنسيقُ الذي يسمحُ لكلِ لفظٍ بأنْ

يشعّ شحنتهَ منَ الصورِ والايقاع ، والذي يؤلفُ بدورهِ ايقاعاً وتناسقاً بينَ الالفاظِ ، وظلالاً متناسقةً كذلكِ منْ ظلال الالفاظِ ".

يشدني الشوق بعدَ أنْ آنستُ منْ قلوبكـمْ مشاركتي في اسباب هذهِ المتعِ التي تبهجُ النفس وتثلجُ الفؤاد ، الى تسليطِ أضواء على ظاهرةٍ ليستْ غريبة علـى متذوّقـي الشّعْرِ الوُجدانـيّ الاصيلِ ، ولشدّ مـانعثرُ عليها في سائرِ شعْرِ شاعرتنا ، بيدَ أنها تجلتْ أوضحَ وأعمقَ وأبهى ، في قصيدتها الـتي أسمتهـا " صـلاةُ PRIERE " ونعـني بهـذه الظـاهرةِ " الأداء النفسيّ " أي تلك الموسيقا المعبرةِ تمام التعبير عن حالـةٍ شعوريةٍ خاصـةٍ الـتي تطبـعُ أداء الشـاعرِ بطـابعٍ صوتـي ، نلمسـهُ في انسـيابِ النفـسِ الشعرىّأوتهدجه ، في إسـراعهِ أوأبطائـهِ في اندفـا عِ النغـمِ الشـعريّ او تدفقهِ ، في ارتفاعهِ او انخفاضهِ ".

وسترونَ كيفَ لفّ أداءُ شـاعرتنا النفسـيّ هـذه القصيدة بغلائـل ناعمةٍ شفافةٍ ، نمّت عنِ الطهرِ حينَ يكونُ الطهـرُ مثالاً ، وعـنِ البراءةِ حينَ تغدو البراءة انموذجا، وعنِ تجربةِ الروحِ الشاعرةِ حين تتحدُ هـذه الـروحُ (بـالمطلق) فتسـمو ، ثـم تمضـي تقيـةً ورعـةً ، تنـثّ حمدهـا ، وتكشفُ عن ايمانها وتعربُ عن شكرها لمنْ أفاضَ علينا نعمه ، واجـزلَ لنا هباتهِ وعطاياه ... وهنا تتراءى لنا وقـد انتظمـت مـع رفقـة كنجـوم الليل من اوائل متصوّفينا ، ودلفت الى شاعر الهند طاغور حتى دانتـه في مناجاته ربه وصلاته له ..

لنرهفْ السمعَ الى هذه الموسيقا الداخليةِ الهامسةِ ، المعُبرةِ بايقاعها وانسجامها ، عنْ حـالِ شـعوريةٍ صادقـةٍ ، اختصـت بهـا شـاعرتنا ، إذ طبعتها بطابعِ صوتها الخاصِ ، فانسابتْ رهوةً عذبةً كانسـياب نفسـها الشعريّ ..

---

(٧) - كولردج ص ١٩٦

(٨) - علي محمود طه الشاعر والانسان - تاليف انور المعداوي ص ١٣١

لنصغِ اليها تتمتمُ بحمدها لخالقها في حنو وخشوعٍ وتواضع ، فتسفرُ عن موقفٍ يسمو على موقفِ " الخنساءِ " الذي هتفتْ فيه بمَنْ حولها مرددةً في كبرياءِ الزاهي بنفسه:

نعفّ ونعرفُ حقّ القرى ونتخذُ الحمْدَ ذخراً وكنزا

لنصغِ الى" صلاةِ " شاعرتنا التي احْلولتْ في صدورنا ووقعتها قلوبنا :

لأنكَ وهبتَ لنا الحياة
لأنكَ صيرتِ الحبة حياتِ
ولسائرِ نعمِكَ التي ننساها
أحمدُكَ يا إلهي واعبدُ كَ
للعليلِ المدْنفِ
الذي يتمتعُ منْ ايامهِ الذاويةِ
وهوَ غافلٌ عنْ مصيرهِ ، كالطفلِ الوليدِ
أحمدكَ يا إلهي واعبدُكَ ؟
لإنقاذكِ اطفالنا الصغارَ
منَ الخطرِ الذي لايبرحُ يتهدّدهمْ
ولايفتأ يحدقُ بهِمْ في كلِ آونةٍ
أحمدكَ يا إلهي واعبدُكَ
لليتيمِ المحرومِ منْ أمّهِ
الذي يشرَقُ بدمعهِ المُرِّ
للملاكِ الذي يواسيهِ ويلهيهِ
أحمدكَ يا إلهي واعبدُ كَ
للفقيرِ الذي لانارَ لديهِ ولا رمادَ
ليدهِ العفةِ التي لاتعرفُ الاستجداءَ
لعثورهِ على قلب رؤوفٍ رحيمٍ

أحمدكَ يالهي و اعبدكَ
للبرعُمِ الحييّ الذي يتهللُ مرحاً
وقد افترّ ثغرهُ لشمسٍ نوار
للازاهيرِ التي تبعثُ فيها الاريجَ
أحمدكَ يا إلهي و اعبُدكَ
للطائرِ الذي يبسطُ جناحيه
مستعيناً بوجيبِ قلبهِ الواهي
للدفء الذي تثيرهُ فيه إمّا جمدتْ لياليهِ
أحمدكَ يالهي و اعبدكَ !
لتخفيفكَ سورةَ آلامنا
وبعثكَ الاملَ في افئدتنا
لعفوكِ عن زهونا و كبريائنا
فلنحمدْ يالهي رحمتكَ .

*

هل تناهى الى اسماعكم ابتهال ينغشُ له الفؤاد ، وترفّ إليهِ النفسُ كهذا الابتهالِ ؟ أشهدُ أن شاعرتنا عبرت في ترنيمتها الدينيـة هـذه عـن موقـف سـام صـور عمـق ايمانهـا ، وصـدق تجربتهـا الروحيـةِ ... كمـا افصحت عما يعتمل في جوانحها من احساس ديني وتمجيد الخالق ..

ولقد بدا الاله لها كما يبدو لكل مؤمنٍ ، عطـاءً اسمـى ، يتوجـب الشكرُ له ... ولن يتحقق معنـى هـذا الشـكرِ إلا اذا آمـن التقـاة الذيـن خلصـتْ نيـاتهمْ ، وصفـت قلوبهـمْ بضـرورة الصـلاةِ لـلارادة البشـريةِ الضعيفة ، يرفعونها الى ربهم صادقين مخلصين ، ليستجيب لدعـائهم ألا إن ((لله على قلوب الموهوبين من خلقه حقوقا خاصة يتقاضاها منهم، فاذا ماتجلى لهـم جذلـوا واغتبطـوا ، فلـم يسـتطيعوا النطـق الا بمجـده ، والتنفس الا تسبيحاً بحمده)) .

وتلك لعمري ارفع مايلغه انسانٌ ، حين يكونُ إيمانـهُ هـو الدافـع الاعلى لحياته ، وحين تسمو فضيلته بسلوكه فيهـا .. ليـت شـعري ...

هل الايمانُ والفضيلة إلا القدرة على الاحتفاظ بالنفس في ارفع مستوى؟..

سيداتي سادتي :

طالعتمْ رأيي في جوانب من شاعريةِ السيدة سلمى كما بلوتها وخبرتها ، ولكم رجوتُ فيها أن تستبينوها بوضوحٍ ، وتقفوا على فحواها، وتظهروا على اسرارها ، وكان هواي أن أمسك عن الكلام لئلا تأخذكم الضجرة ، بيد أن ثمة جوانب هاجتني على الاشارةِ اليها كزهوها بعروبتها ، وحنينها الى مدينتها الغالية دمشق الحبيبة ، واخال أن لهذا الزهو مغزاه وقيمته ، ولهذا الحنين طعمه ، ونكهته ، ولاسيما انها وقد طوّفتْ في الآفاق ، لم ترض من الغنيمة بالاياب ، شأن شاعرنا " المتنبي " بل أرضاها هذا التطواف إذ عمّق من تجاربها وغذى روحها، وأمتع ناظرها ، فراحت بدورها تعكس هذا الزهو في نفوسنا ، وتشيع هذا الحنين في قلوبنا .. تزجيهما الينا في عملٍ فنيٍ رائعٍ تبرز فيه بساطة أدائها الذي لم يشبه تصنع اوٍ تعمّل ، تؤديه في سهولةٍ ويسرٍ متجنبة موسيقاه الخارجية ، مصورةً فيه مايجيشٍ في صدرها منْ أحاسيس صادقةٍ تنبئ عن روحها الرهيفةِ، فتحدث في نفوسنا إحساساً جمالياً مماثلاً ، يتجلّى في مشاركتنا إياها في زهوها ، وتعاطفنا معها في حنينها...

وهذا يعني أن ثمة توافقاً بين إحساسها وتفكيرها ، وأن ثمة توازناً كذلك بينَ قلبها وعقلها ولايخال أن هذا التوافق يجيء عبثاً ، وأنّ هذا التوازن يحدث اعتباطاً ، بلْ إنهما ليجيئان عن درايةٍ وفهم... إنّ شعرها المنسجمَ الموقّع الذي ترسلهُ منساباً على السجية ، لايعني القارئ البتة في تقصي مراميه، بل يسير معه سيراً رهواً ، مستمتعاً بما يقرأ ، متلائماً معه أشد التلاؤم لسلاسته ورقته وسهولته ووضوح معناه ، وصدوره عن عاطفةٍ صادقةٍ اعتملتْ في نفسِ شاعرتنا ، يحسّها القارئ وكأنها تعتمل في نفسه ...

أو لمْ تنبئنا بأن كتابة القصائدِ ، لاتأخذ من وقتها إلا القليل ، اذا شعرت بحاجة الى كتابةِ الشعر ؟

أو لمْ تخبرنا أنها لاتستعمل كلمات كبيرةً ولاتتعمد ذلك ، لأنها تعبر عن افكارها ومشاعرها ببساطة ؟ ترى أو لم تمتزموضوعات ((راسين)) بالبساطة ؟ أو لم تكن سمة فنه ، وطابع أدبه؟ ترى أو لمْ يحتفظ ((دانتي)) ببساطته وبراءته أبدا؟

الا ان البساطة والبراءة فحسبُ هما سمة فن شاعرتنا الاصيل وطابع أدبها العذب الجميل ... وبعد ... فلستُ مغاليا إذا قلت في ختامِ حديثي : إن الشاعرة السيدة سلمى الحفار الكزبري ، تبدو لي في شعرها كله (كالجوقة) في المسرحيات اليونانيةِ التي " تجعلُ منَ الحديث الخاص حدثاً عاماً ، والتي تعملُ على تغيير كلِ شي تلمسه.. فهي تزيد من عناصر الجمالِ والسموِ وتقضي او تقلّل من عناصر الالم القاسي .. وهذا العمل ليس من الاعمال غير العادية إنه الوظيفة الطبيعية للشعر والوظيفة الطبيعية للشاعر كذلك"[٩] لأن " عمل الشاعر ليس في الانتظار حتى تتجمّع الصرخة من تلقاء نفسها في حلقهِ ، بل إنّ عمله هو أن يتصارع مع صمت العالم ومع ما كان خلواً من المعنى فيه ، يضطّره إلى أن يكون ذا معنى .. أن يتمكن من جعل الصمت يجيب وجعل اللاوجود موجودا انه عمل يأخذ على عاتقه أن " يعرف " العالم لا عن طريق التأويل والايضاح والبرهانِ ولكن مباشرةً كما يعرف الانسان التفاح في فمه"[١٠].

أوليست شاعرتنا وقد استجابت لها قريحتها تنحو هذا النحو؟

أو لم يهزنا شعرها ، ويأخذ بمجامع قلوبنا ؟ أو لم يمتزج بأجزاء

---

(٩) – يوريبيدس – تأليف جلبرت موري – ترجمة عبد المعطي شعراوي ص ١٧٥| .

(١٠) – الشعر والتجربة – تأليف ارشيبا لدمكليش – ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي ص ١٧|١٨ .

نفوسنا رقة وعذوبةً ؟ هكذا رأيتني امضي متهللاً لمذهبهـا الحسـن فيـه ، معجباً بطبعها الصحيح في أدائه ، واثقا أشد الثقة بأنه صادر بعفوية عن ذاتها الخيرة ، معبرة بصدق عن تجربتها الشعورية العميقة ...

لاغرو ان امضي متهللاً معجبـاً ، ولاسيما ان مـن يستطلع طلـع ماحوته " نفحات الأمس " كما استطلعته ويتوسمه كما توسمتـه سيأنس منه ولا ريب تلك الاهتمامـات الحلـوة الرائقـة الـتي خطـرت في نفسـها فتوفرت على تصويرها ، حتى اوشكت ان تشبه فيها اهتمامـات الامـير الفقير LE PETIT PRINCE التي صورها لنا " سانت اكسوبري " فمثلـت امامنـا وهـي تعبـق بالـبراءة وترفـل بالمحبّـة ، وتنعـم بـالصدق ، وتزهــو بالجمال ...

سيداتي سادتي :

كان ابن المقفع يقف قلمه كثـيراً ، فقيـل لـه في ذلـك فقـال : إن الكـلام يزدحـم في صـدري فيقـف قلمـي لأتخيره ... ولكـم أدرت في خلدي قول ابن المقفع وانا اهم بالكتابة عن شعر السيدةِ سلمى فكـدت أن انهج سمته واحتذي على مثاله ... ولكم خطرت في ضمـيري اشياء واشياء كان في ميسوري أن اتحدث لكم عنها لوساعفني الوقت بيـد أن قلمي وقفلالأتخيرها ، كماصنع ادينا الجهبـذ ، بـل لأحبسـها مخافـة أن يتطاول الحديث فأسهب فيه فأغدو كحاطب ليـل ... ولكـم نـاجيتُ نفسي بأن امسي دليلكم الى الاستمتاع بجمال مـاقرأت فأنشـدكم كـل قصائد ديوانها . بيد أني تهيّبت ... أجل تهيبّتُ بعـد أنِ لاح لعيـني مـن بعيد شاعرنا " المعري " وهو يشتد وراء خطوي ، منبهاً اياي هاتفاً بي: حذار... حذار ..." فقد يضل الدليل في ضوء القمر "...

واني لمستميحكم عذراً أذ أقضي حديثي هذا ، في ساعةٍ واحـدةٍ من ليلة واحدة، وكان حقيقاً عليَّ أن امضي به كما مضت "شـهرزاد "

فِي احاديثها ، فأخرج عن نمطِ الرواةِ والمتحدثين كما خرجتْ كيما اسرّي عنكم كما سرّت عن "شهريار "...

ولكن ... مِن ترى يضاهيها في الرواية ؟ ومن تُرى يماثلها في الحديث ؟ ألا سقياً لها ثم سقياً ، فقد ظلّ لسانها منطلقاً ألف ليلةٍ وليلةٍ، فلم تترك مقالا لقائلٍ .

—— * ——

مع الشاعرة اللبنانية ((اندريه شديد))
في ديوانها ((طقوس العنـــف)) !..

لشدّ ماهجست في قلبي اسئلة جمّة طرحتها على نفسي وانـا أفرغ مـن قراءة ديوان الشـاعرة (اندريـه شـديد) الـذي نظمته في الفرنسـيّة وأسمتــه (طقوس العنف ceremonial de la violence ايـة شـاعرة هـذه الـتي عاشـت مأساة (لبنان)وحملـت على البُعْد همـه ، كمـا لم يعشـها شـاعر سـواها مـن الشعراء الذين درجوا فوق أرضه وأظلّتهم سمــاؤه ، وفتنهـم جمالـه ، وتنعمـوا بخيراته ؟..

اية شاعرة هذه ، التي هصرت المأساة قلبهـا ، وأهـاجت المحنـة الـدم في عروقها ، فصورتهما في اناشيدها الخمس عشرة، وراحت تنسرب كالرجفة في الصدر ، وتمتزج كالرقّة في اجزاء النفس ؟..

اية شاعرة لبنانيّة هذه التي ولدت في (القـاهرة) وحطّت رحالهـا في (باريس) لاتبرحها منذ عام ١٩٤٦ فأولت ظهرها منابت اجدادها .. وبالرغم من ذلك ظلّ (لبنان) يشغف قلبها ، ويثـير شـجنها ، ولم يخفّـف بعدهـا عنـه غلواء اساها عليه ، ولاأغضت عن مأساته ، اوتغافلت عن محنته .. بل كرثتهـا المأساة ، وأهاجت المحنة الاضطراب في عطفيها ، فاتسّق لها من النظـم الذكـيّ الرهيف ، مالم يتّسق لسواها من شعراء العربيّة ممن دهمهـم الخطـب ، وعـانوا المأساة في عُقر دارهم ..

أتراها وحدها التي ((لم تنم شوقاً اليه ، ولاهنئت بالطعـام وجـداً بـه ، ولا ملّـت الدمـوع فيــه ، ولاذكرتــه الاّ تنغصــت ، ولاهتفــت باسمــه إلاّ وارتاعت)) على حدّ تعبير اديبنا (الجاحظ) ؟..

أتراها وحدها التي استبانت مأساته ففزّعت فؤادها ، وصدّعت قلبها فتناهبها الكمد والألم على وطنها الجريح ، ولم يستبنها شعراؤنا فيأسون لها كما أست ، ويرثون لما يعانيه منها كما رثت ؟ ..

لعلّ مبعث هذا التفاوت ، ومأتى هذا التفرّد – في رأيي – صدق هذا الصوت المدوّي كالرعد ، الذي يهزّ الأعماق هزّاً عنيفاً :. وعنف هذا الهياج الصاخب الذي عصف بها وغلب عليها ... وشدّة وقع هذه البلوى الماحقة في نفسها حتى كادت تصهرها !..

ومردّ ذلك ولاريب الى أبعاد جديدة ، وبواعث حادّة من الحنين الجارف .. الحنين المعذّب ... الحنين الموجع الذي تسّرب الى اعماقها ، وتغلغل في اطواء ذاتها ، فكان ردّ الفعل العنيف لهذه المأساة التي روّعتها ، وهذه المحنة التي اطارت النوم من عينيها !..

ولن يساورني شك في أن هذا الحنين الذي يستشعره المبعدون عن اوطانهم المتجلي في الالتزام الوطني ، والمسؤولية القوميّة ، والمأثرة الانسانية التي تداني المثل الأعلى هو نفسه (أعني الحنين) الذي لم يعتز به الشعراء اللبنانيّون الناطقون بالفرنسية فحسب ، بل امتازبه من قبلهم الشعراء المهجريون الناطقون بالعربيّة كذلك ... اولئك الذين ظلّ طيف (لبنان) يراوحهم ، وذكراه تعاودهم ، فيقاسون من لأوائه أفدح صنوف الأسى والعذاب ... فكان تغنيهم بحنينهم نقطة تحوّل جذريّ في مسار تاريخنا الأدبيّ المعاصر .. بل بدء انعطاف في عمق مضمونه وجدّته ، وجمال شكله وروعته!..

لأن (لبنان) – بالنسبة اليهم – لايبرح حضوراً دائماً ، يولونه محبّتهم واهتمامهم ورعايتهم ... ولأنهم لاينفكّون مشدودين اليه ، اوفياء له ، مهما اوغلوا في البُعْد وأمعنوا في الاغتراب !..

وتلك لعمري ميزة ، كشفوا من خلالها عن ثروات روحيّة جمّة ، عجز نظراؤهم من شعراء العربيّة – في الوطن الأم – عن كشفها ، فصانوا بصدق حنينهم ، ورقّة احساسهم ، وشاعرية وجدانهم ، وعمق ثقافتهم ، غرساً حيّاً

لم يقوَ شعراؤنا على صيانته وتمثّله ، فوقع الكثيرون منهم في شَرَك التفاهة ، فدلّوا بذلك على افتقارهم الى (البصيرة الداخليّة) التي تقودهم الى فهم جوهر المأساة ، وتفضي بهم الى استبصاره ووعيه ، والتلاحم معه ، وربط أنفسهم به ، مما أدىّ الى ضحالة (المضمون) ... فأخفقوا فيما نظموا ، ولم يؤثروا التأثير المرجو في قرّائهم _ لعجزهم عن ادراك الموقف الصحيح حيال(المأساة) .. وجهلهم النظرة المتأملة الواعية التي يبنون على اساسها موقفهم ... كما برهنوا كذلك على جهلهم سبرغورها ، ومعرفة أبعادها ، فأدى بهم جهلهم هذا ، الى أن يَدعوا شعرهم يطفو على سطحها .. وبرهنوا بالتالي على تقاعسهم في التحكّم بتجربتهم ، واخضاعها لفن الشعر ، كما يقتضيه هذا الفن من صدق عاطفة ، وصدق تجربة ، وصدق معاناة !..

اليس جديراً بشعرائنا إذَنْ أن يفيدوا من هذا الحنين الشجيّ المنبعث من رقّة القلب ، ونُبْل الفطرة ، وسموّ العاطفة .. ويعبّوا من هذا النبع الداخليّ الذي يفيض بالمشاركة الوجدانية الحيّة ، فينتفعوا بما تزخر به من معاناة القلق ، ومعايشة الملمّة ، اللتين ساورتا هذه الروح التي اثقلتها المأساة ، وآدتها المحنة ، فانطلقت تهتف بصوت مدوّ حيّ ، يذوب أسىً وشجناً !..

والسؤال الأخير الذي أطرحه :

الا تضطلع هذه النبرة المؤسية الحادّة التي وافتنا بها شاعرتنا (اندريه شديد) في ديوانها (طقوس العنف) بأبعاد انسانية ، فيها من القلق الصادق ، والانفعال العنيف بالمأساة مانتشوّف اليه ونفطن له؟

الا يذكي فينا شِعرها الذي طالعتنا به في لفظ متين ، وايجاز بليغ ، ومعنى رائع ، ناراً كانت خامدة ؟ ..

الا يهيج في افئدتنا اضطراباً لم يتّسِق لشعرائنا أن اهاجوه ، وهم الذي دهمهم الخَطْب في مهبط وحيهم – وعانوا المأساة عن كَثَب .

أترى على هذه الشاعرة المبدعة أن تنهض وحدها بهذا العبء؟..

أترى وقرّ في نفسها وحدها عمق المأساة ، وشدّة خَطَر المحنة ، لاعلى (لبنان) الجريح فحسب ، بل على العروبة والانسانيّة اللتين أسهم (لبنان) ومافتئ يسهم في اغنائهما والسمّو بهما كذلك ؟ ..

مَن يدري ... لعلّ هذه الموسيقا الشجيّة التي تتسرب من كل بيت في هذه المجموعة الشعرية ، كافية لتفعل في القارئ العربّي ، أكثر مما فعلته فيه قصائد جمّة ، هزج بها شعراء نهجوا نهج شاعرتنا ، وحذوا حذوها !..

وبعد ...

حسبي أني نهضتُ بنقل هذه المجموعة الفريدة الى لغتنا الحبيبة ، تاركاً لقارئها أن يستشفّ مضمونها ، ويستشعر في قلبه المأساة التي استغرقت احاسيس الشاعرة ، وحرّكت وجدانها ، فصورّتها في نظيمها أروع تصوير ، يرعش القلب ، ولايستغلق على الفهم !...

من آثار الشاعرة

اليوم السادس sixieme jovr (رواية) — باريس ١٩٦٠

وحده الوجه seul le visage (مجموعة شعريّة) — باريس ١٩٦٠

طقوس العُنْف ceremonial de la violence - باريس ١٩٧٦

الأجساد والزمن les corps et le temps

الإهاب الضيّق Letroite peau

نفرتيتي وحلم أخناتون Nefertiti êt Le Reve D'Akhnaton

■

طقوس العنف

" تسألون .. لماذا لايتحدث في شعره
عن الأحلام ... عن الاوراق ..
عن البراكين العظيمة في وطنه الأصيل ...
تعالوا لتروا الدم في الشوارع ...
تعالوا لتروا :
الدم في الشوارع
تعالوا لتروا
الدم في الشوارع .."

((بابلو نيرودا))

*

صراخ من أجل لبنان

كيف أدعوكَ .. لبنان ؟

أو كيف لاأدعوكَ .. لبنان ؟

كيف تصرخ من أعماق أغواركَ

خارج مخيّمات وجماعات

وفي منأى عن تعاليم الشقاق ؟

فيامَن تناهبكَ الضنى في كل قسمة

من قسمات محيّاك
بأية نظرة تستجلي
وأية أذن ترهف سمعكَ
واي نداء تستهلّ ..

خبز المـــوت

الا فلتصفّ الأعداد !

٦٠٠ – ١٠٠٠٠ – ٢٠٠٠٠ – ٣٠٠٠٠

ألا فليقم الموتى
فما أنتَ إلاّ أعداد !.

*

ألا إن العام ليزهر الجثّة
ب ٥٢ اسبوعاً من اسابيعه
ب ٣٦٥ يوماً من ايامه
بساعات حشوده
بدقائق جحافله
بالفصل الجديد
وقد كدّس غنائم أخر
بعشرة ومائة الف
وهكذا وهلمّ جرّا
ينسج حلكُ التقويم .

الا فليصفّ جنبا الى جنب !

كل قتلة القتلة

والموارى تحت الثرى

والابرياء الذين يأخذون بثأرهم

والضحايا المقتولون

وكل القتلى المقتولين

وكل القتلى الصيادين !..

ألا إن الموت ليوحّدكم يا إخوتي !

ألا إن الموت ليلغيكم بالصوت نفسه !

فكونوا هذه البقايا !

هذه الأجزاء الصغيرة من النصف الأعلى (١)

هذه المزق من رأس

هذه الحصّة من أفخاذ وأيدي ذكور وإناث (٢)

هذه البقايا التي تنضح

هذه الجثث النتنة

هذه الأحشاء المحلولة !

---

(١) في الأصل : buste قد تعني الشاعرة تمثالاً نصفياً ، او لوحة تمثل النصف الأعلى من الإنسان – وقد تعني النصف الأعلى من جسم الإنسان .

(٢) في الأصل sexes الجنس – الذكور والإناث –

ألا فلتقطع وتر الحياة الوحيد
ولتدع نفسكَ تتبدّد
ألا إنك خبز الموت
ألا فلتنسّق الحشود !..
ولتنتظموا صفوفا أيها العُزّل
فالأشدّاء والودعاء
نصراء مرتابون
والمرتابون بالله .
ومن لا إيمان لهم
ولا عقيدة
لا يعون ردّ الجزرة !..

*

مَن تراه يميّزكم بهيكل عظميّ او جُثّة
حين دهمكم الغبار الملزِم ؟.
وأنتم أشدّ صلابة من الاشياء
واوفر دكنة من الرماد !..
فيا أيتها الجثث انتظمي صفوفاً !
ويا أيها المحاصرون – المهاجمون
يا أيها المغيرون – المدافعون
يا أيها الجلاّدون والمعذّبون
يا أيها الأطفال من كل ثأر

يا أيها المنتحرون – السفاحون
يا أيها الفتية ، يامن هم عيون من رصاص
أبيدوا محاصيلكم
واخنقوا الماء
واطردوا الضياء
ولاحقوا بالرصاص جدرانكم وحدائقكم
فما من سجناء يا إخوتي ! .
ألا فلتمس مدينتكم مجزرة
ولتتحوّل هضابكم الى ركام جثث !
ألا فلتشقوا أزقتكم
ولتستنزفوا دُوركم
ولتجتزّوا ظلاماتكم
ولتثملوا بالنهب والسلب
ولتسخروا .. ولتلعنوا
فإن الزمن سيعترف لكم بها !
ألا فلتوفدوا رسلكم الى الموائد المستديرة كافة !
وقد سمّروا بِعُمْرٍ ورحيل
وليتحدثوا باسمكم
انتم يامَن لم يكن لكم اسم
وليفاوضوا مستغرقين
في هدنات مناقشات
ودورة مخالفات

رائحين غادين

كمكّوك ساخر

ثرثارين مساومين

بينا انتم تفنون

تطيلون الخُطب او تضخّمونها

بينا الأرض تحرسكم

بينا الزمن يمحوكم

ألا فليوحّدكم الموت

الا إقتلوا الأمل ياإخوتي بطريقة مونسة

وقطّعوا الرجاء حتى العظم

فلقد كان الانتقام اغويتكم (٣)

والحِقْد فخكم ..

مَن تُراه قاد اللعبة ؟

مَن تراه زوّدكم بالعتاد ؟ بلا حلم ... ولاغد

ولاوجه مُفْرَد

الا إنكم لمنتشرون

مادمتم في هيكل الموتى

ألا إنكم لمتوارون

مادمتم في الرَحَم المأتميّ ..

*

---

(٣) في الأصل TRAPPE والاغوية : فخّ قلاّب

انّى لكم ياخوتي أن تحيدوا عن صورتكم

فتاريخكم هو التاريخ

الذي يعكس عَرَقنا الحقود

يعكس مسوخنا الوسنى

يعكس سحناتنا الغاضبة ..

تافهة هي الكلمات

باطلة هي الكتابة

رغم أن اضطراب القلب مطلق العنان ..

ألا إنهم لايعلمون ... ألا إنهم لايبصرون .

مَن تراه يحرّض في هذه الاماكن القذرة؟

وما الباعث البريء لهذه المجازر

وأية قرحة تفتك بنا

فتقودنا بعيداً بعيداً ؟

إلا إن أفعالكم لتتأكلنا وإنها لتهلككم ياخوتي

فكفّوا عن ابتعاث الموت ..

* * *

الرياح السود

==============

يدمّر الناس الأرض

في تعبير جمّ

يقطعونها إلى هبّات ريح

يسحقونها في هلع
يوارونها تحت الموتى
في لولب الأزمان
وفي رياح الحقد السود
والهوى المرهف جدّاً ..

أجساد ضائعة

===============

يا أجساداً فوق الشواطئ الصخريّة
ايّ ذُعر فاق موتكِ ؟
يا أجساداً شتّتها فأس
يا أجساداً اخترقها رصاص
ايّ هلع سبق عدمكِ ؟
يا أجساداً مشوّهة
يا أجساداً مرشوشة برشّاش
يا أجساداً مشنوقة
ايّ جزَع أنبأبنهايتكِ ؟
يا أجساداً مخنوقة
يا أجساداً محترقة
يا أجساداً مسحوبة
يا أجساداً مقطّعة
أيّ رُعْب تفتّح فوق آخر رقادٍ لكِ ؟ ..

ألا إن سحناتكِ من الفَزَع

لتشدّ ايّامنا إلى الحياة

يا أجساداً متحجّرة

ياأجساداً جائحة

يا أجساداً ضائعة ...

الحياة المعذّبة

============

إن الموت الذي يوحّدنا

يهب للصمت فراغاً

ويقدّم للصمت صيتاً .

إن الموت يصطفي من شاهق

الحياة التي تنيرنا

وعلينا نحن أن نذوق العذاب ..

حياة وحزن

========

حياة وحزن

والفجر لاينير اكثر من رمال موتى

والظلّ لايفيض إلاّ فوق اماكن خَطِرة

حياة وحزن

لقد تركنا الافراد يفنون تحت الانقاض

وسواهم يُذبحون في دروب الحقول ..

حياة وحزن

لقد دمّرنا الجدران

وخلعنا ابواباً

ومزّقنا خياماً

ونهبنا البيوت

وازداد موكب العنف من يوم الى يوم .

وقسا تخالف الكلام من مساء الى مساء ..

حياة وحزن

من الجانبين

رجال ونساء وأطفال

رزحوا تحت الرصاص

هلكوا تحت السيف

قضوا ولم يسعفوا

وانتهوا في خنادق ..

حياة وحزن

تُرى أي عالم سيبنى على ركام الجثث هذا ؟ ..

من السرير نفســه

==============

كان الولد خائر العَزْم

مامِن أحد أمسك زنده

مامِن أحد تغلّب على قتاله

مامِن ذراع طوّقت خِصره

مامِن ذلالة استبقَته ..

كان الولد خائر العَزْم

رغم عينيه المبيضّتين من الذعر

رغم هذا الثغر المثقوب من الهلع

لقد مزّق المرأة

وأترع جنسها بالرصاص

وعرّى العجوز

وجذم نهديها !

وأعمى الشيخ

وبصق في فمه !.

لقد قطع من قُذُل [٤] فتية

وتبّ ايدي

وجذم آذاناً

وبتر سيقانا

وقطّع خلف الرموس

الأجساد المشدودة

وجرّ خلف العَرَبات

أجساداً مهتاجة

---

(٤) القُذُل جمع قذال : مابين الأذنين من مؤخرّ الرأس

أجساداً مهتاجة

وأهان يعزَقه من لحم نديّ

وبأحيائه من لحم قديد

ارضاً وشمساً

ولوّث وجهه الخاص .

*

ألا إنكم كلّكم من السرير نفسه

موالون للحقد

ولن اباعد البتّة بينكم

ألا إن عين المعذّبين ترنو اليكم

حتى تميتكم ..

الأسماء المستعارة

=============

أنتم

ترى اي مسيح وهب لكم اسمه ؟

وأنتم

ترُى اي باعث يقيكم ؟

الا أرخوا رايات قتالكم

الا اخرجوا من ثيابكم [٥]

---

(٥) في الأصل LIVREE خِلْعة .. وهي كسوة الخَدَم الموحّدة.

ألا إنكم عراة يالإخوتي .
فاضطلعوا وحدكم
بجرائمكم ..

هـذا

===========

كان هذا ابني ابنتي
ابي أمي
هذا الشيء هواي
جدي ولدي !،،
لقد اتشحت المرأة بالسواد
ملتصقة بذباب
محوّمة في تموّج حُب
ومَقْت
تحوّم وتتمزّق
حول كتلة لحم
تنضج تحت النهار !..

*

كان هذا حيّاً
كان هذا الشيء شخصاً
إن هذا الدم مبدّد فوق القار
وقد انتظم أمس كذلك في ضفيرة أو وردة

ونَسَج ثانية أمس كذلك سُنّة الوجود

لقد توتّر هذا القلب – الحارس

تحت الرصاص

وآوت هذه الجُعْبَة ذات الحشرات الطفيليّة

أحشاء

تفتّحت فيها اللذة

وبدت فيها الحياة

واجتذبت سِمة هازئة

كل لُباب هذه الشفاه

وآوت هذه الاوقاب (٦)

عيناً ونظرات

لقد كان هذا حيّاً

كان هذا الشيء شخصاً

لقد صنعت الروح هذه التلعة من لامبالاة

وأثار القول هذه الصورة المقاطعة .

*

لقد اتشّحت المرأة بالسواد

تعروها هِزّة تحت العاصفة

فتصرخ في الفوضى

وتلتصق لمخنطة

---

(٦) في الأصل ORBITES جمع وقب .

بهذه الجانبية من مظهر
بهذه اليد التي ركدت
بهذا المستنقع من نزوات
بهذه الصرّة[٧] العفنة
بهذا
«أنتَ يامَن أدعوك
ولن تكون البتّة ...»

بينا نحن نتحدث

من شعب الى شعب
من امّة الى امّة
من أسرة الى أسرة .

*

ليس ثمّة هدنة
في تقلّبات العواصف !

*

إن الروح لتتعثّر
والأجساد تنهار
والقلوب تُزْهَق

---

(٧) في الأصل BALUCHON صرّة ثياب (او بقجة بالعاميّة) .

بينا يعلو القمح
بينا نحن نتحدّث ..

حياتك الوحيدة

لقد جئتَ ذات يوم الى الدنيا
فهل علمتَ ايّة مصادفة .. وايّة حشود
وايّة كيمياء ، وايّة دورات خاطرَ بها مجيئك ؟

*

هل علمتَ ايّة تلاقيات عصور أسلاف
مِن تاريخ اماكن يممتْ شطر وجودك ؟

*

وفي قلب ايّة تحوّلات ، وايّة قوانين
وايّة هذيانات ، وايّة تجنّبات
كشفت عن خبيئة دلالتك ؟
وبأي محال أمسى ممكناً
تزيّن مقصدك ؟
وفي ايّة غيابات ، وايّة غماسات
سار الخيار ؟
هل علمت بأي انفصام
وأيّ جوار وأي ايقاع

وأي عون أعراس
أفلتت حياتك ؟ ..

*

لقد جئتَ يا أخي من بعيد .. من بعيد جداً ..
من أبعد بعْد

ناهياً في أدغال الفضاء
متغلّباً على الانتفاضات
مخترقا جاذبيّة الأرض
ذاك مافاجأت به ..

*

ساحباً جذورك
مبتدعاً من الهامكَ أقدم كون ..
ذاك يا أخي ماعلى حياتك الوحيدة أن تعتقك منه
وعليكَ أنتَ أن تضحّي بها
قبل أن تُشفي الحياة على النهاية !..

أرومة الغد

===========

لقد كان هذا في وضح الظهيرة
كانت الشمس تُزْهر
فوق مخيّم شأنها فوق آخر
حين انطرح هذا الإنسان بلا تخوم
فوق خطّ الحدود ..

كان هذا في زمن السِلْم
إذ هجرت هذه الفتاة
من أجل مائدة خبز بائت
ديار الرخاء
وأخاديد المنفى
ومعسكر المهانين ..
كان هذا الشيخ *
يبذر في قرية
حقل العدوّ المؤقت
وماعرف صديقه .
لقد أعاقت هذه المرأة منتقمة زند ولد
ووهب هذا الولد ملاذاً للمطاردين
ملاذاً آخر من جسده ومن جسد رهينة
وفكّرت تلك بالجرحى
تحت ملزمة الذعر (٨)
لقد كتب هذا الكاهن
بعد مجزرة بلده
((ماحملنا حقداً نحو اي إنسان
وان سبب كل ضحيّة سيظل سببنا))
وكرّر هذا الشيخ القول
بعد عزل ضيعته :
((نحن دائبون على التفكير
في أننا سنظلّ اخوة)) .
كان ذلك في معركة محتدمة

---

(٨) في الأصل ETAV خشبتان او حديدتان تشد احداهما الى الأخرى بواسطة مفتاح أو شبهه ويجعل بينهما مايراد الضغط عليه .. ج ملازم .

..وقد تلاقت على غرّة
في الرفض نفسه
هذه الجماهير المتصارعة
فمزّقت تذاكر الهويّة
التي تمهر اختلافاتهم
وبَدَت : متشابهة موحّدة
ألا إنكم اسرتي الوحيدة
يا أعداء الحِقْد والكراهية
وإنكم لتتقاسمون الضحايا
في كل الامكنة المهدّدة .
ترى ، ما أسلحتكم
في عالم مدجّج بالسلاح ؟
ترى ، مادربكم
في عالم مِن حواجز ؟ .
اياً كان الأمر ، فإن اصواتكم ستحمل بذاراً
وإن دربكم سيبدو
بين الاراضي المدكوكة
بين أعشاب الهيجان
مهتاجا بالرجاء
فأنتم أصل الغد وارومته ..

لرأفتنا

============

هؤلاء الذين لجاؤا الى الدم
اهانوا الأرض وسخروا منها
إنها أرض طاهرة
إنها وجه ... لرأفتنا ..

لقد عاشت فظاظتكَ

تذكّرْ   تذكّرْ
امسيات رافة
مِن عطايا عناقيدكَ
في الظهيرات المشتركة
ياموطناً يلتهم النجوم
ياموطن الولائم المدفأة بنور الشمس ..
تذكّرْ   تذكّرْ
نعَمَ عتباتكَ
أرماثا[9] فوق أغواركَ
ضحكاتكَ في الصيف
ياموطناً حياً كأنه الكَرْم
ياموطناً فرِحاً كأنه شجرة تفاح .
تذكّرْ   تذكّرْ
يامَن تفلق تحت الرماد
فدًى لتلكَ التي تحيا
ياه   تحيا لتبدع ..

موطن

موطن
إن وجهكَ الباسم
قد القى البارود من اعلى القرحات

٩ـ في الأصل POVTONS والرمث خشب يضمّ بعضه الى بعض ويركب في البحر .

إن وجهك الذي يباع ويُشترى
قد شاد أبنية من فضّة حيال جراحك
فدفعتَ اليوم ثمنها عبر الافتداء (١٠)
بل كم من ابرياء كفروا عن هذه الأزمان
الغرّارة ! .

موطن
يامَن تورّط اليوم في الأحقاد
يامَن استنفدت في الانفعالات قِواكَ
يامَن أبددتَ آفاقكَ
ترى ، من أين يجيءُ ونامكَ ؟
ومن سيدلّ على سلامكَ ؟ .
موطن

*

يامَن تعدي لتجّار الأسلحة
يامَن تدلّ على الطريق بأسهم
تحت شاراتكَ الخاصة
يامَن تُذعِن لمشتري الارواح
يامَن تجزّئ الربة
تحت راياتكَ الموالية ..
موطن
أنّى لكَ أن تنزع السلاح مِن تعاليم التطرّف
مِن نصَراء القوّة
مِن رماة الاهداف القاتلة
من خيول القتال المنتقمة
من المنتشين بالعُنف ؟

---

(١٠) في الأصل RACHAT

موطن
إنكَ لتدمر عين شبابكَ
وتدلكَ أصباح الطفولة
فأيّ شرف تركته لهم في الذاكرة ؟
وأية ذكرى سيرعونها
مِن هذه المبارزات الفروسيّة المدمّاة ؟ .
موطن
مَن تراه كان هذا القلب السخيّ
هذا الوجه المضيف
هذه الخميرة من الحريّات ؟.
حذار أن تنكفئ راجعاً
اجتز كافّة الظلامات
وانقل كل الكلمات
ولكي تبني غداً
استقبل لمائدتكَ المفتوحة
أطفالكَ مجتمعين ..

١٩٧٦

*

القلب المعلّق

للشاعرة : اندريه شديد

" قد يتحطم الانسان ، لكنه لايهزم"

" همنغواي "

" إن جسد انسان ذي قلب حي ، يرقد تحت الثرى ، خير من كل احياء عالم ذي قلب ميت . "

" سعدي الشيرازي "

منذ حقب سالفة وأزمان غابرة سبقت زماننا ، وعلى شاطئ هذا البحر الابيض المتوسط ، الذي يمور تحت وهج الشمس اللاهب ، ثمة وطن صغير يجنح الى السلم ، يدعى " جيبا" احتله على غرّة حاكم اقليم متاخم ، هو الطاغية " زيزي ".. مضى اليه بجيش لجب ، مدجج بالفؤوس مستتر بالرماح ، لابس الاقواس ، داخل في النشاب ، وراح يتدفق في سيره مشتداً في إثر قبيلة لم تكن مدججة بسلاح ، ولامعتمرة خوذاً ، ولالابسة دروعاً كي تذود عن نفسها !..

وذات يوم في ساحة البلد اعلن الطاغية نفسه ملكاً وجعل ينذر كل من لايذعن لسلطته ، أو يعنو لحكمه ، بإزهاق روحه !.. وكان بين اهل البلد المحتل كلهم من لايأتلي الطاغية يرهب جانبه وحده دون سواه فتى يدعى " كيو" تعلق الشعب به غاية التعلق لما له من مواهب

سحرية ورثها عن ابيه صانع الخزف الحاذق ، ولصرفه همه ، وبذله قصارى جهده طوال ثلاثة اعوام في ادارة شؤون حقله المتواضع بسماحة نفس ورباطة جأش .

منذ ان اجتاحت الجيوش العدوة " جيبا " أخفى اهلها " كيؤ" ومن ثم شجعوه على اللواذ بالفرار ، قائلين له :

"انك ياكيؤ معقد رجائنا الوحيد لذا ينبغي لك ان تظل حيا واننا نستأمنك أرواحنا مستودعينك اياها فاخفها في حنايا قلبك ، وانصرف بها بعيداً بعيداً ... ولئن صنتها مخبأة فيه ، فلن ينالها أذى ، او يصيبها مكروه ، حتى اذا قفلت راجعاً ذات يوم اعد الينا ارواحنا وأنقذنا مما نعانيه .."!

حين شق على الطاغية زيزي أن يمسك بالفتى شحذ العزم على محو حتى ذكراه فمضى يحرق متاعه الضئيل ، ويأتي على بعض لفائف اوراقه ، ويقوّض كوخه ويتسلق في نهاية المطاف قمة اكمة أطلال يتصاعد دخانها ، وهو متلع رأسه ، مباعد بين ساقيه ، واضع يديه على جنبيه ، فيصدر امره الى جيشه ، بلم شعث القبيلة كلها ، حتى اذا ماالتمّت وقد ألم بقلبها الخوف ، وجاذبتها رعشة من الذعر ، صاح بها الطاغية مزمجراً وهو يحدّ فيها نظره "ان كل من سيؤي منكم كيؤ سأزهق روحه .. أما من يأتيني بقلبه فسأجعله وصياً على العرش .. فليجد امهركم في طلبه بحثاً عنه .. "

* * *

لم يشأ كيؤ ان يصحب الى منفاه اياً من اهل البلد فهجر رفاقه ، وراح يتوغل ممعناً في الوادي وعلى مبعدة من أماكن يسيرة من القرى المحتلة كانت امه واخوه الاصغر " باستوس " البالغ من العمر تسعة اعوام يقطنان كوخاً ، بني من اللبن وسط الحقول فشاء كيؤ توديعهما! تضرّعت امه اليه هاتفة : " امكث معنا يابني ، فلن يأتوا الينا البتة

باحثين عنك " .. قال لها : " لقد جعل الطاغية لمن يأتيه بقلبي مكافأة ولست وحدي مالك هذا القلب لأنه يحوي آمال شعبنا كلها لذا ينبغي لي ان ابادر فأضعه في مكان امين ، واني لماض الى بقاع قصيّة ، حيث انفصل عنه ، فأحيا دون أن ينتابني قلق ، وسأقوى على التفكير فأسترد قواي كيما اعود ثانية ؟ قالت امه :" وماذا سيضحي جسدك بلا قلب يخفق له يابني ؟" قال كيؤ :" انه سيتوارى في عيون سوانا لافي عيوننا ، وسنهرم الواحد تلو الاخر ، حتى تحين ساعة العودة " ..

قالت :" أين تواريه يابني ، وكيف تخفيه .. اخبرني بخبر ماعثيت؟".. قال كيؤ :" سأخفيه يا أماه فوق أكمة اشجار الصنوبر الوارفة الظلال .. على كثب من الكوخ الذي ولدتُ فيه .. هذا الكوخ الذي وصفته لي مرات عدة .. وسأستعين بالصيغ السحرية التي اورثنيها ابي قبل ان يقضي نحبه .. سأنتزع قلبي من بين حناياي ، فأركزه في رأس الشجرة الاكثر سموقاً ولن يغدو في علوه ثمة الا معلقاً .. وبعد ذلك لن يقوى رمح او سهم ، او حربة ، على الاجهاز علي .. ومادام هذا القلب سيغدو في منجاة منها ، فسأمسي منيع الجانب حصيناً .. واني لم أفض بهذا السر الا لك ولأخي !"..

مكث الثلاثة في مصنع الآجر ، الذي كان " باستوس" يتدرب فيه على مهنة أبيه ، بيديه اللتين غطاهما الطين .. وراحت يدا الصبي الترابية تتشبث بمئزر أخيه البكر الصوفي الابيض وهو يهتف : " اصحبني معك ياكيؤ!"".

قال كيؤ يقنعه بالعدول عن عزمه : " ليس في مكنتك التخلي عن أمنا ياباستوس !.. فينبغي لنا أن ندع الزمن يعمل عمله من أجلنا وسيزيد من أعوامك ، فتغدو شيخاً ذا بأس شديد ، وعندئذ سيمسي في طوقك شدّ ازري على طرد الطاغية ، واسترداد بلدنا المغتصب ... اما انا فسأتعرف على وجوه أخر ، وأعتاد أصقاعاً نائية ، وألاقي العزلة التي ستعدّني بدورها للمستقبل !".. وافقته امه بايماءة متمهلة من رأسها وهي تهتف : " ومتى نراك يا ياكيؤ ؟ . "

أجابها كيؤ :" عندما أمسي مهيأ سأسعى جاهداً الى رؤيتكم الا اذا .." رفعت امه نحوه محياها الوسيم الذي اوشكت ان تلم به الغضون وراحت تواري ذعرها بابتسامة مصطنعة سمت على شفيتها والدموع تتألق في عينيها، وقالت :

"مذا تعني يابني بقولك : إلا إذا ..؟ ""

قال كيؤ :" ادن مني أنت بدورك باستوس ، وأرهف الي سمعك". انحنى الصبي فالتقط السلحفاة " شو" التي كانت من قبل رفيقة لهو جدّه فعثر هذا الحيوان الصغير الذي لاعمر له ، في كف باستوس الموحلة على ملاذة المفضل ! . جلس كيؤ بين أخيه الصغير وامه ، وأخذ يدكل منهما بيديه ومضى يقول : " سأنطلق حتى أبلغ بلدك ياماه لأن دربه محفور في دمي ورأسي [illegible] رحلتي طويلاً في البر والبحر ، حتى اذا ماوافيت مرفأ آمنا ، فسأرتقي منتهيا الى اسفل كوخك البني فوق أكمة شجرات الصنوبر الوارفه الظلال ، فأطوف ثمة بكهف الناسك ، ومن ثم أوالي صعودي ، فأنتهي من منحدرات وعرة عذبة قاصداً بلوغ القمة التي تنتصب فيها شجرة الصنوبر الضخمة ، وسط غابة مبعثرة ، وبعد ان انتزع قلبي من بين حناياي ، سأرتقي الشجرة حتى رأسها فأصطفي الفنن الذي اودعه هذا الحمل الحي واعلقه وسط احدى الزهرات ، في موضع المدقة [1] الذي تولد فيه الثمرة طبيعياً تلك الثمرة الشبيهة بثمرة الصنوبر ، التي لها شكل قلب انساني ولونه وهيئته ، وسيغدو في ميسوري مزجهما في أسفل !. على هذا ، وإلى أن يئين أو أن أوبتي سأحيا غائباً ، وكأنني في منأى من أحاسيسي وأحزاني ، وسأتنسم دون أن أستشعر الخوف ، نوائب الدهر ، أو أذى أعدائي ...وفي أقل من يوم ... ليتك تراعيني سمعك جيداً يا باستوس !".

قال باستوس :" إني مراعيك سمعي يا كيؤ ، ولن يفوتني من كلامك شيء"!

وراح الصبي يدنو بدوره ، فيريح رأسه على صدر أخيه البكر !..

أردف كيؤ يقول :

" فان أنت حملت يوماً وعاء شراب ، وأدنيته من شفتيك فرأيت الشراب يضطرب فيه ويرتعش ويهتز ، ويغور ، ويفيض ...فاعلم أن خطراً يدهمني !

فإما حدث ذلك ، فينبغي لك أن تعرض عن كل شيء ، وتبادر إلى نجدتي !..

فاذا ما بلغت أكمتي ، وألفيت لسوء طالعك شجرة الصنوبر الضخمة طريحة ، وجسدي ملقى على الأرض جامداً لا حراك فيه ، فاعلم أن قلبي قد هوى من الشجرة !.

ثق بما أقوله لك ياباستوس ... ان هذا القلب سيمسي إثر هبوطه، شديد التقلص . وليس ثمة من أعدائي من يلحظه متواريا بين أشواك الصنوبرة والحصى ..

كما لن تكشف عنه أنت بادئ ذي بدء .. لذا ينبغي أن لا يهن عزمك ، أو تثبط همتك ..

وان اضطررت في بحثك عنه ، الى قضاء ساعات واياما وفصولا واعواما !.اني أتوسل اليك ياباستوس بأن لايهن عزمك البتة ! ناج نفسك بأن حياة أخيك ليست وحدها التي يدهمها الخطر فحسب ، بل حياة شعبك كله كذلك ! وال بحثك ما أوتيت وحذار أن يخامرك كلل او يعتريك ملل ، فلقد اضحى هذا القلب اصغر من حبّة ، فرغت لتوك من العثور عليها .. وحين يتم لك ذلك ، تناول القلب بين راحتيك محترساً حنونا ، ثم ضعه لتوك في قدح ماء بارد ، وبادر لتوك الى نضح الماء عليه بيديك ، في هينة ومهل ، ولاتدع عينيك تبارحانه .. بل تحدث اليه .. كلمه بملء فيك .. وعندئذ سيستيقظ هذا القلب البالغ الصغر ، رويداً رويداً ، وسيخفق ، وينتفخ ويسترد شكله ! ولئن بدوت لك فاقد الحياة جامدا كصخرة صماء فأعد إليّ هذا القلب .. أودعه حنايا صدري في رفق وأناة وثق بأنه سينكفئ عائداً الى مكانه "

..انطوت عشرون يوماً اخرى قبل ان يبلغ كيؤ حيال كوخ الاكمة المخيم فوق أكمة الصنوبرات الوارفة الظلال ، فيرى عند سفح الأكمة المحفورة في الشاطئ الصخري ، كهف الناسك ، الذي سبق لأمه ان تحدثت اليه عنه ، فجاذب الفتى ذهول وهو يجيل نظره في الناسك الكهل الذي خال أن الأجل وافاه منذ أمد بعيد.. وقد بدا له من بين الصخور وراح يصيح به وقد رابه منه ريب :

"من أنت أيها الغريب ؟ .."

أفصح له كيؤ في البداية عن إسم أسرته من إمه وكشف عن نسبه من أبيه ، فدنا منه الناسك ، باسطاً ذراعيه ، هاتفاً به :

"حللت أهلاً ووطئت سهلا يابني ! لقد كنت أوفى صديق لجدك الأكبر " راهو " الذي بارحني منذ نحو قرن من الزمان ، ميمماً وجهه شطر الوادي الخصيب .. وها أنذا أبلغ اليوم من العمر مائة وواحداً وعشرين عاماً وقد بقيت رافلا بصحتي مؤملا ان أراه حين يقفل راجعاً الى وطنه الذي انحدر منه أسلافه . ولكم بلغني انك آت يوماً الي ياكيؤ كما ادركت أني سأتعرف في محياك على سمات أعز اصدقائي لديّ وأوفاهم عندي وان في طوقي سلوك سبيل خلاصي في نهاية المطاف ". هتف الفتى : خلاصك؟ أجاب الناسك الكهل : " لقد انقضى امد مديد وانا ابتغي الانضمام الى عالم الموتى الذي يترقبني فيه جدك الاكبر " راهو " كما ينتظرني ربي وذوو قرباي ".. راح كيؤ يسرد للناسك الكهل خلال السهرة الطويلة التي أمضياها معاً ، كيف اجتاح الطاغية موطنه ، ويقص عليه بواعث نفيه ، ويروي له - دون أن يفضي اليه بمجمل سره عن سبب مكوثه زمناً تحت ظلال شجرة الصنوبر الضخمة !.. بعد ان قدّر الناسك للفتى صمته واطمأن الى ماتعهد به ، وضع يده المغضنة المعروفة فوق يد الفتى الملساء المسمرة قائلا له : " نم هذه الليلة في كهفي ، حتى إذا ما أسفر فجر الغد ، وهببت من مرقدك فامض فسأهديك الى السبل المختصرة التى ستسلكها ، وأبينها لك وأعرفك بها .. كما سأفضي اليك بنهج يمكنك اما انتهجته من بناء كوخ من

أفنان الشجر ولاسيما ان شجرة الصنوبر الضخمة تلوح مطلة على أكمة انتثرت فوقها أشجار يسيرة ، وأن المكان منعزل ، بيد انها عزلة لايمل منها ذو القلب القوي . ولكي تروي ظمأك ، ستكشف عن ينبوع ثر ينبثق من صخرة حمراء .. واذ إن نظرتك تنبئني بأنك تنصرف عن الصيد متنكباً فستمسي الطيور والأرانب رفيقاتك في هذه الحال .. ولما كان في ميسورك ان تقتات بالعشب وتصيب من الجذور ورديء الطعام ، فسأبين لك كيف تصطفي ماتصيب ، وكيف تقتات في الربيع بنوى الصنوبر ، وتتناول ثمار بعض اشجاره المثقلة بها . وإمّا بدت لك الوحدة شديدة الوطأة عليك ، لاقبل لك بتحملها فول وجهك شطر احدى القرى المتاخمة، فسيحتفي بك اهلها ويطعمونك .. وفي مكنتك ان ترقى اثرها نحو كوخك وانت محمل بمؤونة من القوت بزودونك بها، مثقل بمودة يولونك اياها ، وستعثر على شجرة الصنوبر الضخمة مستوية شاهقة بين الارض والسماء .. وفي مقدورك على ضوء ماتحتاج اليه ، وماجبلت عليه من طبع – ان تتسلق الذرى او تهبط الى الوادي ثانية .. كما أن في طوقك – إذا ما نظرت من مدى مرض واعملت فكرك ان تتأمل العالم من هذه الاكمة المشرعة على الطبيعة كلها .. وسيمسي اخوتك في هذا المكان الاعزل نائين عنك دانين منك في الوقت نفسه وسينخدع طبعك ، ويشتد عودك ، ويقوى ساعدك بعودتك الى موطنك " .. في بكرة صباح اليوم التالي بينا كان كيؤ يولي بعيداً استوى الناسك واقفاً حيال كهفه وهو يتبعه بصره ، ويلوّح له بيديه مودعاً.. لقد استمرأ الكهل السكينة واستشعر الاطمئنان واحسّ بأن اعباء السنين والترقب قد انزاحت عن كاهله ، حتى اذا ما أمعن الفتى في تواريه ، انكفأ الناسك عائداً الى كهفه ليقضي فيه نحبه ، وقد سمت على شفتيه ابتسامة . . بعد ان جاس كيؤ ، مجتازا أكمة أشجار الصنوبر الوارفة الظلال عبر المنحدرات متسلقا قمة الجبل ، مرتقيا شاطئا صخرياً .. متخطيا ممراً وعلى مبعدة قصية توقف ملقياً خلفه نظرة خاطفة ، مصوباً بصره الى الغابات التي خلفها ، محدا نظره في القرى والدروب التي اخذت تشتد في الضيق

.. ثم عاد فرقى ، متسلقاً خاصرة جبل [٢] مصعداً موالياً تصعيده ، يجابها الشفق ، متوغلا في ظلمة الليل ! . وفي نهاية المطاف وافى الفجر فصافحت نظرته ، على مبعدة من غابة شجيرات متناثرة ، شجرة صنوبر ضخمة نشرت افنانها مزهوة تحت اشعة الشمس المشرقة فاندفع متوجهاً نحو الشجرة وقد تهللت أساريره فرحاً وراح يحيطها بذراعيه ويحك صدره بلحائها[٣] ويفرك خده بقشورها الرمادية وهو يردد :

"اني اوليك حمايتي وأودعك قلبي الذي يضم شعبي جميعاً موصيك خيرا برعايته وصونه !"" .. في اليوم التالي وبعد ليل قضاه الفتى قرير العين ناعم البال استوى واقفا حيال شجرة الصنوبر الضخمة وبعد ان التقط انفاسه وتشفع باسم ابيه ، نطق بالصيغة السحرية التي تسعف قلبه على الظهور فانبعث القلب من صدره غب دقائق معدودة : انه قلب ارجواني اللون ، خلا من أي اثر لدم او جرح فتلقاه كيؤ بين يديه، ووضعه في حرز شديد في جعبة كتانية معلقة بطرف احد سيوره الجلدية ، ثم انحنى ليخلع نعليه ، قبل ان يشرع في ارتقاء الشجرة وهو ارتقاء لشدّما زاوله والف التدرب عليه ، وراح يتشبث بكفيه ، ويتعلق بباطن قدميه بعجرها [٤] وشقوق المسامير التي تكتنفها ، حتى اذا مابلغ الافنان المغطاة بهذه الاوراق الشائكة التي تدوم خلال الفصول ، اصطفى [illegible] الاقرب الى الجذع ، فوضع قلبه في صميم مدقتها [٥] ومالبث [illegible] المخروطي ان امتزج بشكل الثمرة !.. بعد أن استوفى عمله [illegible] نفسه له فاعتنق الشجرة هابطاً موقناً بانه سيحيا بعد اليوم دون ان يساوره خوف او تدركه رهبة مطمئنا الى ان روح اجداده الممزقة التي اضناها الاسى لن تضنى البتة او تبيد .. ولئن خلا جسده من قبل فإن نفسه لن تفيض لوعة بل لن يعاني الافراح الصاخبة ، بعد ان واري احاسيسه واضحى في ميسوره ملاحظة الكون بعين اشد وضوحاً وجلاء لذا ينبغي له ان يدرب بعد اليوم روحه وعضلاته ويعتاد عليها .. ثقب كيؤ في اعلى كوخه الذي بناه حسب ارشادات الناسك الكهل - ثقبا واسعا هادفا من ورائه ان يستبين

منه في كل هنيهة ، هذا القلب الذي نأى عنه وابتعد .. وسيظل بصره على هذا النحو مصوباً الى قلبه حتى اليوم الذي يلتئمان فيه ..

* * *

منذ ذاك الحين ، أوتي هو وقلبه عبقرية تقي كليهما .. اما عبقريته فدعيت " بيز" وقد تمثلت في قزم بدين ، أصلع ، ساخر ضحوك مرح يهوى النوم ويعشق الطعام الدنسم لاهم عنده اما التخم الا الرقاد حيثما كان متناسيا الذود عن كيؤ وقلبه واذا ما استيقظ على غرة في نهاية المطاف فعثر عليهما وقد عذبه تأنيب ضميره بادر الى غوث احدهما او كليهما . كان لسان القزم مندلقا وساقاه معقوفتين وقد ادعى انه يطرد الشياطين بذنب النمر المعلق بزناره ويبعدها بشكله الضخم المثير للضحك وذؤابته [٦] المتلألئة بضمة من ريش متعدد الالوان ثبتت بتشبك وكان حسب كيؤ ان يبدو القزم محوما في يسر وهو يقرع طبلته كي يستثير ضحكه فيصفح عن مخالفاته . كان القزم - ملاك كيؤ الحارس ذا شعبية متسعة في الاقليم ، بيد ان سلطاته كانت محدودة فلم يكن في مكنته - شأن الملائكة بعامة - التحليق من قطر الى قطر ولاتحويل نفسه كما يهوى . ومنذ ان تعلم القزم الهبوط في منطقة "جيبا" ومنفى كيؤ - وهو المنفى الذي آثره على سواه - بادر الى البحث عن الفتى ، بيد انه لم يعثر على مخبئه الا بعد أن أمضى وقتا طويلا وعانى صعابا جمة .. واذ بدا له المكان الذي قامت فيه شجرة الصنوبر الضخمة عسيراً صموتاً ممعناً في يبابه انشأ يهتف .

""اني لأجدك ياكيؤ مغرقاً في وحدتك وسآتيك بزوجة تؤنس وحشتك وتفرّج كربك". وقبل ان يلحق كيؤ التقصير عن الرد عليه تولى القزم عنه مستانفا رحيله..

* * *

كان الناس يحتفون بالقزم حيثما حل ماضين في الصخب هازجين بالغناء ، عابين الشراب وكانت عين القزم اليقظى لاتأتلي

تتقرى كل حشد صاخب ، علها ان تظفر بغـادة وضاءة الوجـه في ريعان صباها تكون اهلا لابنه المتبنى كيؤ .. وذات مساء بينـا كـان القزم يجوب الحقل اسره عطر شذي إوفـر أريجاً من كافة الزهـور مجتمعة ، فطفق يتوغل في الكرم منتشيا مفتونا مقتفيا اثر عبق عـذب فتوقف في نهاية المطـاف ، وقـد ساوره ذهـول حيـال ضفـيرة كثة تتلألأ حسناً .. كانت الضفيرة التي تضوع بهذا العبق النـادر تتفـرد بها تابيه دون سواها . احست تابيه بأن شخصاً خلفها التفتت نحوه فالفى نفسه حيال محيا فـائق الحسـن ، لاشائبة فيـه فحبس انفاسـه وظل مسمراً في مكانه لايريم ، وطبلته معلقة بطرف ذراعه .! جثت الصبية على ركبتيها ، كيما تمسى في مستوى الملاك القميء الغـائب عن رشده ، وانشأت تقول :

"لاريب في انك القزم بيزا .. فشـكلك المنحوت من العـاج يعلو علبة دهاني ، وكنت كلما افصح الصبـح ازجـي الى صورتـك تحيتي وأداعبها بيدي قبل ان اهـم بدهـن شعري بهـذا الدهـان مـن البطم ، وتضميخه بهذا الطيب الذي قمت باعداده بنفسي ".. ولـما عاد الى القزم رشده واطمأنت نفسه وهدأت أعلنت له اسمها مرحبة بمقدمه فقال لها :

"لقد جئت الى هنا مـن أجلـك ياتابيـه وعلينـا ان نمضـي معـاً سأقودك نحو زوجك الحقيقي حاملا اياك الى ارفع الاقدار والمصـائر زارعي " لم يلاق القزم اي عنت في اقناع اهل الصبيّـة – وهـم مـن زارعي الكرم الفقراء الذين يؤملون مخدوعـين في أمجـاد وافـرة فبـادر الى الرحيـل ماضيـا بهـا وقـد امسـك احدهـمـا بيـد الآخـر وراح القرويون يرافقونهما مصفقين مهللين فغـادرت تابيـه والمـلاك القـزم القرية جذلانـين، ميممـين وجهيهمـا شـطر مكـان شـجرة الصنوبـر الضخمة الخفي .. لم يصمد كيـؤ حيـال هـذا الجمـال البـاهر فـراح يضم الصبيّة بين ذراعيه ، تحت نظر القزم الحنون ، ثـم يدعوهـا الى كوخه الذي بناه مـن افنـان الشـجر ، هاتفـا بهـا : " ان مـا أملكـه ملكك ، وسنتقاسمه كلانا!".. لبث الملاك القزم منفرداً يرنـو اليهمـا وقد تهللت اساريره فرحا ثـم انشـأ يخاطبهمـا قـائلا :" لا إخالكمـا

بحاجة إليّ وسأدعكما وشأنكما كيما اسعى في اثر أولئك الذين يكابدون العناء ، وتتغشاهم الهموم وان دعواتهم لتتناهى الساعة الى سمعي !." قبل ان يتولى القزم جثا عند جذع شجرة الصنوبر الضخمة فأسندظهره اليها،وراح يتناول من جيوب خرجه التي افعمها القرويون بالمؤن : قارورة شراب ، وفطائر بالعسل وحبات خرنوب، وتين وعنب وسوى ذلك من الحلوى وبعد ان التهمها كلها بشهية وشبع وارتوى انزلق فوق الارض مستسلماً للرقاد معرضاً صدره للشمس ، وجعلت الاحلام تهدهده والغطيط يلم به .. عاش كيؤ وتابيه ساعات هانئة تعتورها أحداث صغيرة متشابهة امضياها في النهوض من النوم والبحث عن القوت ، وتناول الوجبات وقضاء ساعات القيلولة المديدة التي يصرفانها في السير ، ويطويانها بالتحبب وهبوط الليل ، وظهور النجوم والرقاد فكانت أيامهما التي تتلاحق دون صدام تؤلف بينهما وتتيح تدانيهما !.. رغم ذلك كله لشد ماكان يلوح للصبية ان الهم لايفتأ يضني رفيقها، وانه يظل منطوياً على نفسه ، فكأنه كان يهاب ابداء هيامه بها ، والافصاح عن حبه لها ولهفه عليها ! .. فراحت تطرح عليه السؤال هاتفة به اتراك تهواني ياكيؤ ؟ فيجيبها : فيم لاتبرحين تطرحين عليّ هذا السؤال ؟ فتقول : حين نلبث متعانقين، يشتدّ وجيب قلبي في صدري ، بيد أني ماسمعت قط وجيب قلبك ، ولئن ردد لي ثغرك :" اني اهواك " لقد بدا قلبك غائباً عني !".. ولكي يطمئنها الفتى ملتمساً العذر لنفسه ، أبدى لها رأيه بأنه قد أضحى لزاما عليه ان يبثها مغمرته جملة .. ولم يلبث ان قادها حيال شجرة الصنوبر الضخمة وهو يهتف :

"انظري إلى العلاء نحو ركن الفنن ذي الفروع الثلاثة فثمة ثمرة اشد احمرارا من سائر الثمار .. هل ترينها ؟ أجابته : اني اراها! قال "ان هذه الثمرة ياتابيه هي قلبي المعلق ، وانه لينتظرني ثمة ، وليس في ميسوره ان يخفق لساعة في صدري .. ولم يبلغني خفقانه لقد ادركه الصمم ، لذا ينبغي لك ان تتذرعي بلصبر ياهواي ، لأن هذا القلب سيقيم فيَّ كرة ثانية ،وعندئذ سيهواك كما تتمنينه ان يهواك ، وكما اتمنى أنا أن أهواك !: كان الملاك حارس الطاغية

زيزي يدعى (يام) وهو الذي يقود البراكين ويؤجج الحمم ويوجه الزلازل الكامنة تحت الارض وينظم هبوب الرياح وجنونها ، ويفصل البحار عن بعضها ويرسل العواصف والانواء . انه ملاك الحرب ، ومالك ثورات الطبيعة بذل قصاري جهده في دعم النزاعات ، وتقوية النكبات في شتى الانحاء، وقد تخطت سلطاته حدود البحر الابيض المتوسط فامتدت فبلغت الكواكب السيارة قاطبة . وذات يوم حملته اندفاعاته فانتهت به الى أكمة اشجار الصنوبر الوارفة الظلال فأتى على الاشجار واقتلع الاسطحة واجتث الادغال .. وبعد ان داخله سرور من صنيعه علا لتوه محلقا فوافى ذروة جبل كيما يتأمل ماجنت يداه ، فدهم منخريه الواسعتين القويتين على غرة ، عبق نافذ عذب لذيذ ، ثابت صلب ناعم أخاذ في الوقت نفسه .. انه عبق على غاية من الجودة والندرة ، واذ وآثار اثمله هذا العبق وثر ذهوله راح يستف الهواء بملء رئتيه ملتذا به نشوان، فلونت نظرته نشوة رهوة ، فتوقف ، ثم أنعم النظر محدقا الى رأس شجرة الضوء الضخمة ومضى يلوب مستقرئا مصدر هذا العبق اللذيذ الذي أفغم الجو بأريجه الشذي فوقع بصره في الهنيهة الاخيرة على ضفيرة دكناء مضفورة ، ولما أعجب بتألق هذه الضفيرة الحالكة السواد وطن نفسه على ان تمسي الصبيّة جارية الطاغية زيزي ، وأن يحثه على المبادرة بتوجيه جنده للقبض عليها واسرها .. ولكي يتجنب اي تردد او تأجيل من جانب الطاغية ، سيؤثره بالضفيرة الثمينة التي لن يصمد حيالها انسان فراح لتوه يلوب بحثا عن الوسيلة التي يستولي عليها بها واخذ يحوم حول تابيه وهي تخطر متنزهة على مقربة دانية من الشجرة فامتزج بالريح وشرع يقوّض الكوخ وعلى هذا النحو حال دون ضحيته ودون اي غدو او رواح يتاح لها ، ومالبث ان جعلها مرماه وهدفه مضيقا عليها الخناق بالنسمات الفاترة آنا ، محاصرها بالنسمات القارسة تارة ، مالئا أذنيها باللفحات اللاهبة طورا مجربا دون جدوى النفاذ بين طيات ثوبها الاصفر الضيق .. واذ ادركتها من هذه النفحات وتلك اللفحات المتعاقبة رهبة جاذبتها من مرأى الكوخ المتهدم رعشة فطفقت تهتف :

كيؤ ! كيؤ !

بيد أن كيؤ كان في منأى عنها ..

وحين استشعرت تهديدا غامضاً يدهمها لاذت بالفرار لاتلوي على شيء ومالبث (يام) ان اشتد في إثرها .. وبينا كان يتهددها ويخادعها مثيرا الريح و مهدئها ، مبعثرا ريش الطيور التي راحت تدف بأجنحتها محومة حولها دانية منها كان يجد مشتدا في طلبها ، فضاعفت من خطوها ، وانطلقت تعدو على امتداد نتوء صخري فزلقت قدمها فتشبثت بالنتوء ثم رقته فوافت قمة اكمة فهبطت اليها وهي لاتفتأ مطاردة تقفو اثرها تلك الريح المثارة التي هاجمتها عتيّة ، آنِية عاصفة وفي نهاية المطاف رفع (يام) الضفيرةالسوداء عالياً ثم فصلها بهبة ريح اصفى من موجة من مستوى قذال [٧] تابيه فحملتها زوبعة وبادرت تعبربها قنن الجبال ، وسفوح الهضاب ، فراحت الضفيرة المزخرفة تتلألأ في الافق مدوّمة متذبذبة ومالبث هذا الهدوء المطلق ان هوى بالصدمة نفسها فران على مقربة من شجرة الصنوبر الضخمة !.. القى (يام) من شاهق ، الضفيرة السوداء عند قدمي الطاغية الذي كان متربعا وسط جواريه في فناء داخلي من أفناء القصر ، فبدا لأنظار الجالسين اشبه بمحارب معتمر خوذته .. هتف (يام) :" إني اتقدم بهذه الضفيرة هدية مني اليك !. وهي ضفيرة تملكها صبيّة من بلد غير بلدك ، وتلك الصبيّة أبهى جمالا من سائر نسوتك ناهيك عن ان النجوم دونت اسمها في لوحها منوهة بانها ستنجب لك وريثا يخلفك في المستقبل فبادر لتوك الى ارسال ثلة من جندك ومرها أن تأتيك بها دون ابطاء ".. انحنى الطاغية زيزي فتناول الضفيرة الكثة ووضعها على ركبتيه ، وراح يجسها ويداعبها بيديه فعبقت بالعطر ، وتنسمت بالطيب !.. انها لضميمة عطر يضوع شذاها بأريج عبق فواح ، جعل الطاغية يديم النظر فيها بعينين نصف مغمضتين وقد ملأت اللذة اعطافه ، وماعتم ان هتف: " اني ابتغي تلك الصبيّة " . قال (يام) :" احشد إذنْ الجند ، وسأزودهم بتعليماتي ، وليتخذوا اماكنهم في الميدان بعتاد خفيف .. ثم ليتوجهوا نحوها بحرابهم وسيوفهم ، وأقواسهم وسهامهم مرتدين معاطف صوفية فوق مآزرهم ، معتمرين

خوذاتهم ، لأن الجو ثمة قارس منذ غروب الشمس ! ان تلك الصبية تحيا وحيدة في منأى عن حماية ذويها ، ولعلّها منذ رحيلهم عنها ، راحت تؤلب عليّ قريتها او لعل زوجها الذي دعته كيؤ قد آب اليها " .. هتف الطاغية وقد جاذبته رعشة : كيؤ !.. قلت : كيؤ ؟ أجاب (يام) : أجل ! انه حقا كيؤ الذي دعته وانا انصت اليها وهي تناديه : كيؤ ! كيؤ!.." ولكي ينجو الطاغية من هذا العدو الذي لم يجده اقتفاؤه اثره نفعاً ، او يصب فائدة .. وفي سبيل فوزه بضربة واحدة ، بزوجة ، دل الساعة شعرها الفاخر على انها ذات حظ من حسن وجمال ، ارتسمت على ثغره ابتسامة رضى عريضة ..

* * *

مضى الجند في حشد متراص ، وبعد ان ساروا وأبحروا ، وصلوا على مرأى من شجرة الصنوبر الضخمة .. لبث الزوجان متعانقين حيال الكوخ الذي أعيد بناؤه ، وكان شعر الصبية المبعد يلامس كتفيها .

قال كيؤ :" إما بلغ شعرك ركبتيك ، سنضفر معاً أقوى ضفائره وستمسى دلالة على عودتنا ! وسأطيح بالطاغية ، وأعيد الأقاليم المحتلة إلى أهلها ، ولن أتخلى عنك ياتابيه ، وان اليوم قريب وسنعود وشيكا..

لقد أنفقا وقتاً هانئاً حلواً ، فدعيا المساء يرين عليهما وراحا يتناجيان ساهرين و لم يلبثا ان اضطجعا تحت ضوء القمر مستمرئين الرقاد في دعة ..!

* * *

بيد أن الجند أتوا الشابين الغافيين على غرة في موهن من الليل، فانقضوا عليهما بشراسة ، ساعين الى التفريق بينهما فاحتجزوا تابيه ، وجرّوها بعيداً ، رغم صراخها وانهيالها عليهم خدشاً بأظفارها!..

ولكي يلحق بها كيؤ ذائداً عنها ، انحنى عليهم يوسعهم ضرباً بجمع يديه ، وطفق يهشّم أضلاعهم ، ويحطم أنوفهم ، ويردهم على اعقابهم ، فهاجمه أحدهم بحربته وطعنه آخر بظهره ، بيد ان ضرباتهم

القاتلة التي صبوها عليه ، لم يبد أنها فعلت به فعلها ، فلم تظهر خلال ثيابه الممزقة اية قطرة دم ولا بان اي أثر لجرح !..

لقد هزمت تابيه بكثرة الجند الذين تألبوا عليها ، فكموا لتوهم فاها ، ووثقوها بالحبال ، وحملها احدهم على كتفيه القويتين فتوارت وسط حراسة قليلة العدد ، هابطة نحو الشاطئ ، على امتداد دروب عزلاء ، حتى بلغت سفينة كانت في انتظارها .. كان كيؤ يقاوم الجند وقد تملكه غيظ شديد فيرد هجماتهم وينهال عليهم بدوره بعصاً ذات عقد جمة أشبه بدبوس فأحد فيه جندي نظره بعينين جاحظتين وهمّ برميه بسهام وهو يهتف : " ياله من شيطان ! مامن انسان يقوى على الاجهاز عليه !" . اما الجند فقد جمّدهم الذعر حيال هذا السحر ، فأثخى بعضهم عليه بالسوط فضربه ضربات متتالية ، وانصرف متقهقراً، ورغب بعضهم الاتيان بعمل باهر ، يمسي في مقدورهم التباهي به ، فتألبوا اعداداً حوله ، وأمسكوا به بسواعدهم ، وانتهوا الى كبح جماحه، وربطه موثقاً الى شجرته ، ثم اعتزموا التخلي عنه مقتنعين بأنه لن يلبث ان يهلك جوعاً ..

وقبل رحيلهم ، عاد آخر رامي سهام منهم على قدميه فغرز سيفاً في موضع قلبه فتغلغل السيف دونما عائق وخرّ الفتى فوق الثرى صريعاً. لقد أوهنت الضربة من عزيمة كيؤ بيد أنه ظل سليماً معافى ، فراح يتبعهم بصره وهم يولون هاربين ، مدّخرين كل قواهم ..

* * *

استقبلت تابيه في بلاط الطاغية زيزي بأبهة وجلال وجعل يعلن للملأ ان الافراح ستدوم أياماً ثلاثة ..

كان الشعب بادئ ذي بدء راكباً هواه مبادراً الى تلبية الدعوة ، فلم يمكن ردّه ومالبث ان ارهق عسرا محتملا مالا طاقة له به ، مترقباً خلاصه من نير الطاغية بعد ان استنفد اذعانه له ، واجتذ ابه اياه ،

مؤملا تقديم الشراب له واطعامه ، فالتأم شمله محتشداً حول القصر ..
خصت الوليمة - التي أقيمت حيال واجهة ذات دعائم - بزيزي الطاغية ولفيف من المحظوظين ذوي الشأن ، وقد ارتدوا مآزر موشاة بالذهب ، فعوَّل الطاغية على أن يتوج غبّ الفراغ من الوليمة ، وان يظهر للجمهور " الجارية الكبرى "..

بيد ان تابيه عزفت عن الظهور متنكبة ، فلم يشأ زيزي بادىء ذي بدء قسرها عليه ، فهجس في خاطره ، غمرها بالهدايا ، واستدراجها بها متعجلاً اذعانها لإرادته .. اما اذا ركبت رأسها وعاندت في تأبيها فسيعرف أنئذ كيف يدعها تعنو له وتخضع اذ يعمدالى معاقبتها بقسوة ويقسرها على الاذعان .

كانت وليمة الطاغية حافلة ، جديرة بوليمة ملك ، اذ قدَّم فيها : الاوز ، والبط والحمام ، والسماني ولحم البقر ، والسمك النهري .. وضعت كلها في أطباق معدنية ثمينة ، والى جانبها خضار تعلو كالهرم ، وأكوام ثمار متعدّدة الالوان حلوة المذاق ..

مضى الندل يحملون أباريق اللبن الثقيلة وجرار الشراب دائبين على ملء اقداح زيزي ورجال بلاطه !. كان زيزي يبدو مشرق الاسارير لمستقبله .. مستقبله الظافر الذي يوشك ان ينهي به تتويجه ، بعد ان يفلح في محو بريق هذه الصبيّة العنيدة المتمردة فكان يهمهم بينه وبين نفسه :

حسبي لكي أدعها تذعن لي ، قليل من قرعها بالعصا ، ويسير من ضرب عنقها ، المقدَّر ببراعة ، ونزر من قطع لسانها وطفيف من بتر يديها ! اما ما تبقى فمحو كيؤ من الوجود .. ذاك الذي لايداخلني ريب في اني سأدركه ان عاجلاً او آجلا .

بعد ان اكل الطاغية وشرب صحبة مدعويه جعل يتصفح بعينيه عجلان الجمع الحاشد حياله ، وهو دائب على تقسيم الاحياء من هذا الحشد ، فجاذبته على غرة رعشة :

إن صورة كيؤ هذا الذي لايقهر ، توشك ان تمثل وسط هذا الحشد ، فمرّر يده فوق جبينه ، كيما يمحو هذا الوهم الذي ساوره وطفق يحني رأسه كيما يطرد عنه هذا النذير المفزع الذي يدهمه بيد أنه كان يضيق ذرعاً بكلمات قادة جيشه وهم يردّدون على مسمع منه :" لن يقوى اي جيش من جيوشنا على انتزاع حياة كيؤ ، لأنه يملك سلطة تدعه خالداً !" فراح يطرح على نفسه سؤالاً : هل ثمة ريب في أن تابيه كانت على بيّنة من أمر مفتاح اللغز ؟. وهل ثمة شك في انني مضطر سواء بالقوة أو بالخديعة والغدر على انتزاعه منها ؟.

في اليوم الثاني من الحفل ، وفي دهشة الحشد وذهوله ، وبين تهليل بلاطه وهتافه توج زيزي نفسه بتاج الملوك الذي تعلوه أفعى ، ثم بعث بمن يأتيه بتابيه .. بدت تابيه في نهاية المطاف مطوقة وبهدوء ، بل بعنف استاقها وصيفاتها اللاتي تلقين الامر بمرافقتها حتى يبلغن بها مكان عقد الزواج فألفت نفسها فوق السدة الى جوار الطاغية . فلما اتخذت مجلسها اندفع يقول :

" اني معلن للملأ جميعاً انك ستمسين جاريتي الكبرى ". احتفظت الصبية وقد علاها شحوب رغم خضابها ومساحيقها بجمودها ، كأنها تمثال مزوق وهي مطبقة الشفتين ، غائبة النظرات .

غمرها الطاغية في اليوم التالي بهداياه ، فقدّم لها خواتم لكل اصبع، وحباها بعقود من جواهر اللازورد واليشب ، والعقيق الاحمر ، وآثرها بحلل مموجة شفافة ناصعة البياض ، ولم يدع شيئاً إلا جاد به عليها .. كما أمعن في اغداقه عليها هبات أخر ، فألحق بها حلاقاً وضاعف لها الوصيفات والوصفاء وجهز حجراتها بأرائك من الخشب الثمين . بيد انها مابرحت تنظر اليه غير آبهة به ، كما دأبت على العزوف عن الطعام والنوم ولم تفتح فاها الا لتتوسل اليه بأن يعيدها الى فقرها ، ويردها الى حبيبها !..

مضى الطاغية يغرق في هباته السخيّة ، واعداً اياها بأن يشق لها بحيرة حيال حجراتها ويعدّ لها زورقاً اخضر ذا جوانب معقوفة كيما تتنزه فيه في برودة الفجر ونداوة المساء !. بيد انها ظلت ممعنة في عدائها له ، شديدة في جفائها وعنادها ، فانتابها وهن أخذ يزداد عمقاً و لم يعد محيّاها الذاهل المتصلّب يعبِّر الا عن اساها وإبائها .

ولما أعيا الطاغية الامر جعل يستعين في نهاية المطاف بخدمات (هيبي) طبيبه الساحر قائلاً له :

"لقد بذلت لها قصارى جهدي وأفضت عليها كل ما أملك من حظوة وتكريم ، وآثرتها بكل مالدي من هدايا ، بيد ان مزاجها لايأتلي كئيباً وانها تعاند في صمتها .. لذا ينبغي لك ان تصرف عنايتك اليها ، فتدبر لها دواء ينسيها مايشغل فكرها في هذه الآونة !"..

ابتدع الطبيب الساحر (هيبي) مستحضراً صنعه من مسحوق الخشخاش [٨] وأرفقه برقية[٩] وهو مزيج يحث العليل على الاستغراق في النوم ويدعوه اليه ، فينجو مما يعاني من هم شديد يلوعه ، أو عذاب أليم يمضه ، ويفضي به في نهاية المطاف الى الثرثرة وكثرة الكلام .. قاومت تابيه المستحضر بادئ ذي بدء ثم لم تلبث ان انزلقت مخدرة في انكسار ووهن الى رقاد مضطرب مزعج وأخذت الكوابيس [١٠] والحمى تزعزعها وجبينها وعنقها يدبقان بالعرق ، وعراها هذيان فكانت تضرب الاشباح بكلتا يديها طاردة اياها جاهدة في ارغامها على الابتعاد عنها ، وكانت تهتف في نومها : "هلا أتيت الى نجدتي ياكيؤ !

انك لن تستحوذ على قلبك !

فدعه في موضعه فوق الشجرة !

والا أنفذوا فيك سهامهم .

وأهدروا دمك .."

وحين تستيقظ وقد تملكها ذعر تصوب بصرها الى وصيفاتها بعينين زائغتين فتقصيهن عنها ، وتمضي مندفعة صوب السطح في حركات مضطربة قلقة ، وتأخذ ثمة بالهتاف عبر الفضاء بصوت جهير : " حذار ان تدنو ياحبيبي ! لُذ بشجرة الصنوبر الضخمة وكن يقظا فوق شجرتك طوال ليلك ونهارك .. ولئن قوّض أعداؤنا مأوى قلبك ، فستقضي نحبك قضاء مبرماً لارجعة لك منه !"

ظل الطاغية زيزي دؤوباً على ارهاف سمعه اليها حاشداً لتوه صفوة مرافقيه واذ تهلل وجهه بشراً ، راح ينبئهم بنصره الوشيك الشامل على كيؤ ، وهو يهتف . "

بادروا اليه ولاتتثاقلوا عنه ، واقتصروا على حمل الفؤوس فحسب .. وإما بلغتم مكاناً معيَّناً فلا تحفلوا بالفتى ، بل اقطعوا الشجرة وانكم مدركون ماعنيت وان مهمتكم تتلخص في قطع شجرة الصنوبر الضخمة .."

* * *

غبرت أعوام خمسة، منذ ان رحل كيؤ وقد أوشك اخوه الغر [١١] باستوس ان يبلغ الرابعة عشرة من عمره .. صار باستوس خزافاً حاذقاً درباً في صنعته ، بارعاً في خفة يده جاب صيته البلاد أبعد من أبيه ، صرف عنايته الى صنع قوالب وتماثيل من طين او سواه ، وكانت ارض مصنعه ، ورفوف جدرانه ملأى بأوان نحيلة وأوعية منتفخة ، واقداح ، وأطباق ، وأباريق ذات عروة أو دون عروة وقصعات وجرار .. اما سلحفاته (شو) فما فتئت حية ، مما ادّى الى عسر المرور خلال هذه الاشياء كلها ..

كما اشتملت حجرته على موقد نشطت له امه وحرصت عليه ، وقد همّت الساعة بتناول وعاء شراب ذي فتحتين عريضتين وهي تقول لابنها :

" انظر يابني ، انه اجمل طلاء خزفي أفلحت في صنعه حتى يومنا هذا واني لأود لو تكون البادئ بالارتشاف من هذا القدح .. وما لبثت ان انتزعت سدّادة محكمة من قارورة في مصنعه حوت شراباً ممزوجاً بماء الشعير وعصير البلح ، سلف عليه زمان كاف فقدم وحسن ، وطفقت تغط سبابتها في زبد الشراب ثم تتذوقه وهي تهتف منتشية : " يالنكهة هذا الشراب ياباستوس ! لئن قفل كيؤ راجعاً فسأملأ لك منه قدحاً ترشفه .. مدَّ باستوس اليها القدح وهو ممسك به بين راحتيه مزهواً فخوراً بيد أنه ما إن لامست شفتاه اطراف القدح حتى اهتاج الشراب فيه وثار فائراً واخذ ينساب فوق يدي الغلام مندلقاً على الارض . القى باستوس القدح بعيداً فتحطّم قطعاً فصاح : " ان اخي لفي خطر وينبغي لي ان امضي لنجدته ".. ارتدى ثياب السفر التي مافتئت معدّة وانتعل حذائيه ، وملأجعبته بالأطعمة ، ودس فيها رفيقته السلحفاة (شو) ومالبث ان قبّل امه ، وتناول عصا غليظة ذات عقد وانطلق لايلوي على شئ !. .

* * *

راح باستوس وهو يسلك الطريق المفضي الى شجرة الصنوبر الضخمة يكثر من الكلام ويكرره ويغرق في احلامه ويمعن في اوهامه وكانت كل مرحلة يقطعها ترتسم في رأسه وترتقم في مخيلته ! جاز وهو يسعى في صعوده وئيد الخطى يقفو اثر كيؤ شطراً من فلاة مقفرة ، وركب متن زورق دانياً من موطن امه فكانت هضاب شجر اللوز والتين والزيتون تتالى وتتابع فوافى في أواخر ايام قليلة ، حيال كهف الناسك وقد كان خالياً .. فبعد ان قضى الناسك الكهل نحبه ، اثر زيارة كيؤ له بقليل واراه الريفيون التراب في ثرى قرية صغيرة متاخمة ، مجمعين على ان عظام الكهل الحكيم ستخصب أرضهم . ومالبث ان انطلق يتسلّق متوقلاً [١٢] مغذاً في سيره عجلان ، فوافى آخر أكمة فاقتعد صخرة سوداء ثم استوى واقفاً على اصابع قدميه ليتبيّن شجرة

الصنوبر الضخمة فتعرّف على الاكمة التي لم يلف اية شجرة نبتت فوقها . ثم عاود سيره حثيث الخطى فلم يعثر على شيء فأخذ صدغاه يدقان وراح جسده يرفضّ قطرات عرق ضخمة .. ولكي يتدفق في مشيته تخلّص من جعبته ، متناسياً وجود سلحفاته متوارية تحت الاطعمة .. بعد ان تخفف من حمله مضى واثباً صوب المرتفعات وهو يتقرّى الافق بعينيه بيد ان الشجرة لم تبد له قط . وقبل ان يقطع آخر درب شديد الانحدار التقط انفاسه تحت اكمة ثم وثب متقدّماً فرفع بصره على شجرة الصنوبر الضخمة ملقاة على الأرض .. وحين دنا منها بانت له فيها شجة ضخمة واضحة في صميمها ، تقطر دماً من جذعها المشقوق .. وعلى خطى يسيرة منها ، ترقد جثة ممددة ، تعرّف فيها على جثة أخيه كيؤ التي مانفكت طرية .. فهرع اليها وهو ينوح منتحباً، ثم جثا على ركبتيه ، ومضى يداعب اليدين المتيبستين المتصلبتين، ويلامس الوجه الذي علاه شحوب . وبعد امد .. امد مديد، عثر باستوس من خلال دموعه التي ذرفها على ابتسامة خارقة مرتسمة على شفتي اخيه البكر كيؤ فأعادت الابتسامة الى ذاكرته قول أخيه له ذات يوم : " ان قلبي سيزداد تقلّصا في هبوطه ولن يتيسر لأعدائي ملاحظته بيد أنه ثمة ! فابحث عنه دون ان تهن عزيمتك او تثبط همّتك .

صنع باستوس زلاجة من افنان مكدسة فربط بها كيؤ وماعتّم ان سحبها حتى بلغ بها قمة الجبل ، ثم ادخلها مخبأ صخريّاً فأبقت الثلوج الدائمة جسده فاتر الحياة الى حين و لم يلبث ان انكفأ هابطاً نحو موضع الشجرة ، وراح يرود كل ركن ويقلب كل حصاة ، ويزيل اشواك الصنوبرة ، وينقل كسرات الخشب ، ويأخذ خلال بحثه بتنظيم وجوده رويداً رويداً .. غبرت ايام وانقضت فصول .. استمرأ باستوس فيها المكوث وشغف غاية الشغف بوجوده الخفيّ فكان الاكتئاب يدركه حيناً والغم يساوره تارة ، ويستغرق طوراً في اساه

مستشعراً ان شبابه يفلت من بين انامله فيسلمه الى القنوط ويبعثه على الياس .. وكان صوت اخيه يند منه عنيفاً آناً حاثاً اياه على ان يصنع له شيئا مردداً قوله : " انه حظي وحظ شعبك كله اللذان يتملكانك ، فآمن بهما ياباستوس ، وستنتهي الى العثور عليهما كامنين في قلبي .."

لقد ولد امل باستوس في تلك المنيهات ، فعثر على قواه التي افتقدها ، وركن الى سلحفاته (شو) التي استعا دها فوطن نفسه على موالاة بحثه ..!

* * *

كانت ضفيرة تابيه مبعدة ، وقد علّقت الساعة بمشجبها بعد ان آثرتها وصيفتان بكل ماتدخران من عناية ، فغسلتا الشعر الأثيث [١٣] في النهر ، وغمستاه بالزيت المعطّر ودهنتاه بدهن الشعر المطيّب .

آب الحارس القزم بيز من احدى رحلاته البحرية التي أكل فيها وشرب ورقص ماطاب له ، وأفاض في لقاءاته ماوسعه ، وراح يخطر متنزّهاً في الحقل المتاخم ، ويتوقف عند ضفة القناة وقد غمر رأسه بالريش الكابي، ووضع يديه على ركبيه ، وانحنى فوق شعبة النهر ، فتراءت له صورته القميئة المتقبضة فوق صفحة الماء وهي تتلوى وتتثنى وفق تموجات الماء ، فطفح وجهه بشراً وجعل يدلق لها لسانه ، ولم يلبث ان اخذ يغرق في الضحك وقد أسر منخريه في هذه الآونة أريج عبق لاينتسى . فأدرك لتوه ان عليه ان يتنزه في مسقط رأس كيؤ ، بعد ان يطرد الطاغية الذي كان واثقاً من عودته مصطحباً تابيه .. ولما غمره الفرح واستولى عليه السرور ، يمّم وجهه شطر القصر ، مقدِّماً نفسه لعمال المطبخ . وبينا كان لفيف منهم يحف به ، ملحاً عليه بأن يسلّيه ويروّح عنه مقرّباً اليه مالذ من الطعام وطاب أطلت تابيه في البهو ، فلما صافحتها نظرته ، تهللت اساريره فرحاً لعثوره عليها ثانية ، فسعى

الى التعرف اليها ، كانت متوجهاً نحوها وهو يميس محركاً طبلته فنفذت فيها نظرته كما لو كان زجاجاً . قال لها : أنابيز .قالت : لست اعرفك ! قال : انا حارس كيؤ والمنافح عنه ! قالت : لست أعرف كيؤ! اعتراه ذهول من اجاباتها ، وجال في خاطره ان شراً مستطيراً قد غلب الصبية .. ولكي يزداد معرفة ، وربما لكي يحبط الخطط ذات التأثير السيء التي لاتبرح متحكمة بدورها باقليم جيبا ، وطن نفسه على الدخول في رعاية الطاغية .. ونظراً لما أبدى من فطنة ومهارة استمال بهما قلبه ، فقد جعله الطاغية مسلّيه ، ونجيّه وصديقه الحميم ، فكان يبلغه من اقوال الطاغية مايتحدث به الى أصدقائه والمقربين اليه!.. اما الطاغية فكان مفتوناً بإدخال نديم الى بلاطه ، للترويح عنه ، والتفريج عما يقاسيه ، فاستبدل ثياب نديمه البالية بثياب جديدة وزوده بباقة من ريش مخطط الالوان وجدد له جلد طبلته !.. ولم يلبث القزم والطاغية ان صارا متلازمين لايفترقان . وذات مساء دار فيه رقص وتنكّر بالأقنعة وبعد ان امضى الطاغية وقتاً طويلا تحدث فيه وجادل جدالا مملا ، ممعناً في رواية قصة الشابين المقنعة قال : " لقد صرفت تابيه عما يجول في خاطرها ، وقطعت شجرة الصنوبر الضخمة ، وأجهزت على كيؤ ، ولم يعد ثمة شيء يخيفني !.. غبرت ايام وانطوت فصول .. ولما يبرح باستوس جاداً في البحث عن القلب اشوارتي . وذات صباح حين اسفر الفجر دلف زاحفاً على ركبتيه ، وبينما هو ماض يحفر في الارض خال على غرة انه يلحظ شيئاً بدا حياله معتليا اكوام عساليج [١٤] ... انها حبة وردية اللون تماثل قلباً ..

تناول القلب بين راحتيه في حرز وحنان ، وهو يلهث مبهوراً مرتعش الشفتين ، فدسّه – على ضوء وصايا اخيه كيؤ ونصائحه – في قعر قدحه الفخاري الذي ملأه ماء مسحوراً حتى حوافيه ، ثم نضح الماء عليه ، دون ان يفتر هنيهة عن النظر اليه في عطف وحنان ، وأنشأ يناجيه :

ايها القلب الصغير

لقد دنت ساعتك

وستنكفئ عائداً الينا

وأنت أقوى شكيمة ، وأمضى عزيمة !

* * *

لقد آذوك

وآذوك ، وآذوك ، وآذوك !

فهيا أيها القلب الصغير

لقد حانت ساعتك

بعد أن كبرت

ورجبت !

* * *

لقد آذوك

وآذوك ، وآذوك ، وآذوك !

بيد أن تألّقك

وحماستنا

قد أنبتاك

زهرة لغدنا ..!

هكذا تنبأ كيؤ ، اذ نبت قلبه ، وتلوّن وانتضح فـائتلفت في نهايـة المطاف ، كل فلذة منه معاودة خفقانها ..!

حمل باستوس القلب تحت وقدة الشمس ، وراح يضمه بين يديه، وهو يرقى الطريق الوعر الذي يفضى الى الكهف ، فجاز الدرب مزهـواً

بنفسه فخوراً ومالبث ان وضع القلب الخافق فوق صدر أخيه البكر الهامد .. وحين عاد القلب لتوه مستقراً في مكانه فتح كيؤ عينيه ــ واستوى واقفاً في هينة ومهل وكأنه منبعث من سبات عميق ، وطفق يهتف ووجهه يندى تهللا :

هاقد جئت ياباستوس !

ضمّ كل من الاخوين الاخر الى صدره وراحا يمعنان في عناقهما ومالبثا أن أمسك كل منهما بيد الآخر ، وأخذا يهبطان نحو الصنوبرة المنطرحة ، وهما يلقيان عليها نظراتهما ثم انطلقا نازلين من سلسلة الهضاب .

لقد فعل الزمن فعله ، بعد ان استنفد طغيان زيزي صبر شعب جيبا ، وسرت شائعة تنبئ بخلاص كيؤ وتحرره ، فعمّت المنطقة ، وجعل الأخوان يرويان مغامرتهما في كل كوخ حلاّ فيه ، وراحت أعداد جمة من الريفيين تنضم اليهما ، حتى اذا مافاؤا الى الشاطئ باعدادهم الوافرة ، اشتدت حاجتهم الى استئجار زوارق كي تقلّهم ..

* * *

التمس القزم في هذه الاونة – بوصفه حارس كيؤ – لقاء (يام) ساحر الطاغية ، فمنحه الساحر لتوه هذه الحظوة ، فقال له القزم : " يروي الطاغية زيزي حيثما حلٍ ان بجري الرياح عبده وتابعه ! ويزهو مباهياً بأنه كان يروضك منهالاً عليك ضرباً بسياطه ، كما يعلن أمام الملأ ، أنه هو وحده سيد تقلبات الجو غير منازع .. تملك (يام) الساحر الغيظ والحنق من هذه الاهانة التي يلصقها به الطاغية فأخذ يصرخ وهو يتلظى غضباً :" بل أنا السيد الذي لاينازعني احد وما زيزي الا واحد من اتباعي الكثر .. الح القزم ملحفاً :" يعتقد زيزي بأنه سيحلّ وشيكاً محلك في السيادة ، فتشمل سلطته عنان السماء وبطن الارض . كان

انصار كيؤ وباستوس يحفّون بهما وهما يتوغلان في وادي (جيبا) ولايأتلي وصولهما يذيع في سرعة فائقة .. ولم يلبث الشعب ان بادر منضمّاً الى مسيرتهما ، فمرّا حيال كهف الناسك فوقع بصرهما على امهما واقفة فوق عتبته ، وهي تومئ اليهما ملوّحة بيديها المبللتين بالطين ، ماضية في تحيتهما وقد ذكّرها مرأى ولديها متلاصقين ، بمظهري زوجها الحبيب الجانبيين ، فجثت نشوى بالسعادة ، وراحت تمعن في تقبيل الارض وتعكف على لثم ترابها ، وقد أرعشت قلبها رؤيتهما عائدين !.. وفيما كان كيؤ وباستوس يتأهبان للنضال ، دلفا الى الضيعة بين هتاف الشعب وتهليله ، ومضى الساحر (يام) - وقد عصف به الهياج - يمتزج بزوبعة صغيرة مقتربا من القصر .. اما الطاغية زيزي الذي شغلت باله الهتافات التي كانت تبلغ أذنيه ؟ فقد بدا سالكاً طريقه صحبة حرسه ، فدلّ ذلك على ان الساحر (يام) قد انقضّ عليه !.. لقد طمح (يام) بكل مالديه من عنف وشراسة الى سلب الطاغية تاجه ، فهوى التاج عند أقدام الجمهور الذاهل ، الذي راح يتأمل وهو متلع رأسه فاغر فاه ، تقلصات وجه الطاغية ، وتحريكه ساقيه في الهواء وتحطيمه في الزوبعة !.. بعد أن أضاعت الزوبعة صيحات الطاغية رفعه (يام) أقوى ماوسعه ، منتهياً الى حمله فوق الغمام ، موالياً التحليق به صعداً كيما يغدو منعدم الجاذبية ، في منأى عن الناس ، مبعداً في أصقاع الأبدية الضائعة . ولم يلبث الشعب ان حمل الأخوين على اكتافه ، متغنياً بخلاصهما من الطاغية ، نشوان بعودتهما الى أحضانه ..
اما القزم فقد اقتعد ارض المطبخ متربعاً عند قدمي تابيه التي ساورتها حال من الذهول لاتأتلي تلم بها ، وطفق يسحن في هاون مزيجاً اوتي السر . فاتسق لهذا المسحوق ان قاوم مفعول الخشخاش الشؤم فأبطله ، وسرعان ماإستعادت الصبية ذكرياتها ، وفطنت الى حبيبها كيؤ .. "
كيؤ الفتى القدوة الذي شق عليه ان يرى العدو يغزو وطنه ، ويغتصب أرضه ، فأخذ على نفسه تحريره منه ، وصرف همته الى ايقاع الهزيمة به

، فدل بذلك على ان حب وطنه متمكن في قلبه ، وأن وفاءه له يغلبه على أمره ، ولن يضن عليه بروحه كلما دعاه الوطن الى بذلها .."!

***

الحواشـــي :

١ - القسم الأوسط من الزهرة

٢ - ملتقى قمة متوسطة الارتفاع بقمة رئيسة

٣ - اللحاء : قشر العود او الشجر

٤ - العجرة : نتوء خشبي في سوق بعض الاشجار

٥ - المدقة : طرف عضو التأنيث في الزهرة

٦ - ذؤابة كل شيء اعلاه

٧ - القذال : مابين الأذنين الى مؤخر الرأس

٨ - الخشخاش : نبات عشبي يحمل اكوازا بيضا وهو منوّم مخدِّر

٩ - الرقية : هـي ان يستعان للحصول على امر بقوى تفوق الطبيعة .

١٠ - الكوابيس جمع كابوس .. مايحصل للانسان في نومه فيزعجه وكأنه يخنقه

١١ - الغر : الشاب لاخبرة له .

١٢ - توقّل في الجبل : صعد فيه .

١٣ - شعر اثيث : كثير .

١٤ - جمع عسلوج : غصن دقيق املس ينتهي غالباً ببرعم ثمري.

*

مناخ الشعر*

((يستند الشاعر في حياته الى شجرة ، اوبحر ، او غابة ، او غيمةٍ بلون ما ، او لحظة ، إذا ماسح الظرف .. ليس مشدودا إلى ضياع غيره .. لحبه ، لدهشته وسعادته معادلها في جميع الاماكن التي يراها ابداً ولدى الغرباء الذين لن يعرف .. عندما يرفع الصوت امامه ، ويلح عليه في قبول التشريفات التي تحبس .. واذا ماذكرت بصدده الكواكب يجيب بأنه من البلاد المجاورة من السماء التي غرقت منذ وهلة .

الشاعر يُنعش ثم يستعجل الخاتمة

في المساء ، برغم غمازات المبتدئ العديدة على خديّه، هو عابر مهذب يختصر الوداعات ليكون حاضرا عندما مايخرج الخبز من التنور [١])) .

((رينيه بشار))

(١) ((الكرمل – العدد ٢٨ – ١٩٨٨ – ترجمة كاظم جهاد))

~~~~~~

لن ندرك من ساعاتنا الصوّانيّة .. ساعاتنا الناطقة وآلاتنا العالمة ، حاجتنا الى كتاب يُنبئنا بالساعات التي تحلّ ... والزمان الذي ينقضي .. والنهار الذي يُسفر ..

أما ان شئنا صداقة الشعر فإننا نظفر بما نريد

انه شعر الزمان الذي ينقضي
~~~~~~

شعر الفصول على امتداد دروب المدن

شعر الفضاءات الرحبة

شعر الساعات والأيام

شعر الحياة ..

ذلك لأن الشعر يهب لنا اوفر مما تهبه تفسيرات صانعي الساعات حيث يتوجّه نحونا ببراعة الفاظه ، وتنسيق أجهزته

وحيث ينفرد برنّاته ، ويستأثر بصوره ، فيقودنا في رحاب ميادين الكون . اما مايتصل بلفظه العربي ، فان كلمة (مناخ) المتأتية من اليونانية القديمة . هي اليوم وعد الشعر ..

بيد ان المصريين القدامى قد عرفوا (المناخ) كما عرفه اقدم الصينّيين والهنود الاوفر وقارا.

واما (المناخ) في اوروبا - إبان القرون الوسطى - فقد استخدم قديما في تحديد ايام السنة ، وساعات شروق الشمس وافولها ، وتعيين الفترات التي تنقضي بين قمرين جديدين متتابعين ، وتمييز الاعياد الدينية الكبرى ، فأظهروه في الكنائس ، وتجاذبوه في دور العبادة ، ومالبثوا أن اخترعوا المطبعة فشاع (المناخ) على هيئة كتب ادّعت التنبؤ بالمستقبل .

اما مناخ الشعر فلا ينشد ذلك كله ، ولايصرف عنايته الى النظر فيه .. حسبه انه يكتفي بأن يوحّد قصائد جديدة ، ويتفرّغ لنظمها ، وينشط له يوما تلو يوم وشهرا تلو شهر ، شأن السنة الجديدة التي تسلك سبيل السنين ، وتتبع قصائد جديدة ،لاينهض بها غير الشاعر الحق ، ولايضطلع بها سواه ، شأن كل نهار يسفر . قصائد تخضع الزمان للوزن .. وتلجئه الى الايقاع .

هذا الزمان الذي يلوذ بالفرار مع الحياة التي تنقضي طوال الأشهر.

وإن تحالف الفصول والشعر يتوضح في كليهما .. لأننا بالشعر ندرك حياة العالم العظيمة .. ولوأننا تنبهنا الى نبض الطبيعة الفائق الذي يخفق في أصغر غرسة، كما يخفق في أنأى المجرات ، لألفينا ان نبض الشعر قادر بدوره على الانصات الى الخفقان في كل قصيدة شأن قلبنا الذي يخفق في صدورنا .

((جاك شاربنتر))

مناخ الشعر

==========

ينتزع مناخ الشعر
قصائده للرياح كافة
وتقضي هذه الأوراق التي تمسك بها الريح جارّة حياة متشرّد
الى نهار ... نهار الشعر ..
ذلك هو زمان الخيال المبدع
وانا ملك المغنيزيا
بعد أن أبطلتُ المعضلات كافة
في نهار ... نهار الخيال المبدع .
الآن الحياة الحقة، هي الحياةالمصطفاة
التي نصيب مايبذرونه منها
وان الشتاء ناجم من ربيع منتشٍ
وان السماء هي الاجمل حين نهواها
في نهار ... نهار الحياة المصطفاة .
إن ورقة تعلو ورقة الشعر

تنجم من ربيع يخضرّ الرمز
وان الشقاء بِدْعة
وان الفرح يقفو قصيدة تلو قصيدة
وذاك هو مناخ الشعر ..

((جاك شاربنزو))

*

الشعـــراء

============

شعراء شِعرْ ونثرْ
شعراء مديح
شعراء سود .. شعارير
شعراء بلاط .. شعراء قصور
شعراء شيء تافه لاقيمة له ولا وَزْن
شعراء نبلاء وغنائيّون
شعراء جامعة
وهم بعوالم المدن
غزيرو الشعر .. شعراء مظلمون
مزهوون كقملة
مائعون كبوم لاقنازع لها
شعراء يوثقونهم بِعجّل
شعراء صُلع الدماغ

شعراء احياء
شعراء موتى
ينفخون في صور في اقصى الغابات
شعراء مجامع علمية
شعراء قصيدة غنائية لم تتم
شعراء مجلدات .. علماء
شعراء فقاعات هواء
شعراء حالمون
معلمو صِغار
مجازون بقاعدة آداب
شعراء عظماء حميمون
شعراء قدّيسون ، يظهرون السماء ويكشفون عنها
شعراء عذبون في المحاضرات
شعراء دواوين رقيقة
شعراء ظلّ وتوابيت
شعراء ضائعون في اقليم

شعراء ملوك ...شعراء امراء
شعراء ذوو مداد ناضب
شعراء اصدقاء نقّاد
شعراء يرصدون التجربة
شعراء تافهون ، حقيرون مداهنون
شعراء خالدون مُسفّون
شعراء جدّ نادرين ، جدّ عقلاء ..
حسب أبسط كلمة فوق طرس
أنها تنصرهم الى الأبد

شعراء يومضون في ايار
شعراء بلداء
شاعرات
يتناولن الأعوام على عَجَل
شعراء من هنا وهناك
حَشْد من المقرزمين [1]
اجوزهم اوفر مما اسمِّيهم ..
الا إن العالمَ كلّه
شاعر !

((جاك شاربنتو))

القصيـــدة

القصيدة
أشبه بقرص حلو
من نعنع
يضعونه على اللسان
سبع مرّات
فيدور
ويعيد دورانه
مجلوّاً
مملساً

(١) الذين ينظمون الشعر الرديء

منساباً
في الماء
ذهبياً
فتبدو حقيقته
على غرّة
في ألق
النضارة !..

((جوئيل سادلر))

ترى ، أين يمضي الشعر؟

===================

تُرى ، اين يمضي الشعر؟
لقد أقعدته على مقربة دانية منى
فكان حلزوناً أزرق رمادياً
كان زهرةً
كان جوزةً !..

كان تراب سوسن
كان كلمة ذات اجنحة خطرة
كان خنجراً
كان وردةً
كان حصاةً من صوّان !..

كان آهةً
كان سحابة تعلو كتفي عابر
كان طفل ضياء
وضياءً يعلو طفلاً !..

*

كان ظلاً يغفو بين ذراعيّ
هامساً في اقصى الممرّ .
كان قطرة مساء
كان دمعة فجرْ !..

*

تُرى اين يمضي الشعر؟
لقد أبصرته على مقربة دانية من هنا
ولم يلبث أن مضى الى هناك
مضى الى امرأة معوزة
تتدفأ على كَثَب من النار
مرهفة سمعها الى قلبها الخافق !..

*

إنه هنا.. إنه هناك
إن هذا الشعر يستثيرني
إنه من نار
مِن ثلج
وإني لألوب باحثاً عنه فلا أعثر عليه
وحين إخاله ضائعا
أبصره يتألّق

يؤوب

من هنا.. من هناك

من هنا ... من هنا...

تُرى ، اين يمضي الشعر ؟

تُرى، اين يمضي؟

لستُ ادري !..

((بيير غامارّا))

*

تُرى مَن حطّم ..

تُرى مَن حطّم

مَرّ الأيام ؟ ..

مَن أضاع

مفتاح الأحلام

مَن سرقَ

مفتاح الحقول ؟

إنه الزمن

إنها الريح

إنه العقعق

إنها الحياة

إنه الشعر !..

((فلورانس فو كومبريه))

*

كلمات جميلة

==========

أيها الشاعر !
لكي تمسك بالريح ، أبسط جناح القصيدة
ولكي تخطو في غابة ، إرفع مقاطعكَ مستقيمة
ولكي تواجه البحر ، إزهُ مفاخراً بمقاطعكَ الشعريّة!

إمّا بلغتَ العلوّ في اوانكَ
وإمّا لمست قلب الغابة
وإمّا ادركت ارتفاع البحر وامتلاءه !..

أيها الشاعر !
أجلْ فكركَ في الفِعْل النشِط الذي قادك الى هناك
وأعمل فكرك في انهم امسكوا بالريح إمساكهم بِقصرْ
وأنهم وبلجوا غابة ولوجهم مَعْبد
فإن أخذكَ البحر، فإنه شبيه بفعل الحب!..

((جان موجان))

للشاعر آذان

ألا إن للشاعر آذاناً
آذاناً كبيرة
إذ ينبغي أن يرصد صخب الأرض كلّه

يرصد اغاريد الطير والناس
يرصد صياح الحشرات الحادّ
يرصد حياتها التي تتوارى في همسات الأجنحة
يرصد دموع الحلزونات التي تكمن في قواقعها
يرصد الورقة الأولى التي تولّى عنها الخريف
الورقة التي تسقط فوق الصيف الأخضر بدوره
فوق الأرض الخضراء !..
ألا إن للشاعر عينين
عينين دعجاوين مفعمتين بالغمام
تتأملان فصول الناس ولانهاياتها المديدة
يراوده حلم بأن ليس ثمة عُمرٌ، بل إن ثمة اطفالاً كُثْراً!
إن للشاعر عينين مداعبتين
أشبه بيدين
وانامل طويلة هادئة
كيما تهدئ غَضَبَ الزهر!
ألا إن للشاعر قلباً واسعاً
كيما يهوى شتيت الأشياء
وتأوي اليه كافة الكائنات
ان له قلباً مفتوحاً لكل الأزمان
أمّا ذلك فلكَ
ولن يخفق إلاّ لأجلكَ !..

((ماري - تيريز لامبرت))

*

الكلمات

============

الكلمات
الكلمات
إنها تحاكي عوسجات
إمّا دبّت خُطاي حيرى !..
فيا أيها الشاعر النقيّ !
يا أيها البائس البريء!..
إنكِ لتستنزفها
بيد أنكَ تغوص نحو هذا السراب البّراق
نحو هذا القصرْ الذي يحدس به قلبك ! ..
أما المضجع الذي تصطفيه القافية
فذرارة التخيّل الصغيرة
ونهار ينقضي
والله يعلم كيف اصطفته !..
فيا أيها الشاعر النقيّ
يأيُها الامير الساحر
ينبغي لنا أن نوقظ الشعر من سُباتِهِ
الشِعْر الذي يحاكي امرأة شرسة
في غابة غافية !..

((جان – لوك مورو))

*

الكلمات .. الليل

============

تتفتّح الكلمات والعيون في ليل الروح
تسهر الكلمات علينا ، وتديم العيون النظَر فينا
تحرس الكلمات نارها ، وتُعمِل الكلمات فكرْها من اجلنا !
تحرس الكلمات معانيها
تحفر الكلمات السواد
تحفره بعيونها الرفّافة
بعيونها الجذّابة
التي تتقد في الليل بعيونها البصيرة!
تطرد الكلمات الليلَ
وتحرس الكلمات الروح !..

((جان موجان))

*

لا وقت لديّ

===========

لاوقت لديّ
ورغم ذلك
ففي اعماق
كل كلمة

ورقة شجرة

حيرى لائبة

يمزج الصيف فيها

كلمات أخَر

وبعض ظِلٍّ أعي كنهَهُ !..

((لويز دوبوست))

*

بيانات شعريّة

للشاعر البلجيكي جورج لانز

جورج لانز:

ثمة وجه مشرق ألفَ الغرب النظرَ اليه والاعجاب به ، بعد أن شاقه سحر غنائه ، وراقته عذوبة النغم الذي يصدح به ، إذ لامسَ الأفئدة التي آدها عبء الآلة ، وحرّك النفوس التي ملّت سماع ضجيجها، فبعث شجاها على مصير الانسان ، وتوقها الملحّ الى نشدان الطمأنينة والهدوء ، كيما يعيد الى الغرب ما افتقده من قيم ، ويؤكد رسالته في المحبة والاخاء ..

ولايساورني شك في ان الشاعر (جورج لانز) هو الوجه المشرق الذي تألق ، لافي سماء الأدب البلجيكيّ فحسب ، بل في سماء العالم الغربيّ كذلك ..بما عرف عنه من اخلاص لموهبته ، وتفانٍ في نشر دعوته ، وخصب في عطائه الشعري !..

قيل إنه ولدَ في مدينة (ليبج) في شهر آذار من عام ١٩٠٠ وان اسمه اقترن على نحو وثيق بظهور الشعر الحديث في بلجيكا ، وانه في اعتناقه (المدرسة المستقبليّة) ودعوته لهايشبه قرينه الشاعر (موكل) في اعتناقه الرمزيّة والدعوة لها !..

و(المستقبلية) ((حركة ادبيّة اوروبيّة ، اعلنت انفصالها كاملاً عن الماضي ودعت الى صور جديدة للموضوعات والاساليب ، لتواكب روح العصر الجديد الناهض ، الذي عرف الآلة والطائرات والمعامل الاوتوماتيكية ، والسرعة الهائلة!..))

وقد تبنى معتنقو هذه المدرسة تعبيرهم من احدى قصص الشاعر (فيليبو توماسو مارينتي) وتغذّت هذه الحركة وانتعشت بفلسفة

(نيتشه) و (سوريل) و (برغسون) بيد أنها نشطت وقويت على يد الشاعر الايطالي (مارينتّي) الذي ولد في الاسكندرية عام ١٨٧٦ وعاش فيها ، وكان ينظم في الفرنسية.. واصدر عام ١٩٠٥ مجلة (شعْر) التي كانت لسان حال (الشعراء الكبار المتحمسين) الذين أصبحوا قادة المستقبلية فيما بعد!..

لقد رمت المستقبليّة إلى أن يتّجه الأدب ألى المستقبل ويقطع كل صلة له بالماضي ، وأن يبحث عن وسيلة جديدة للتعبير تناسب تغيرّ الحياة ، بفضل الأكتشافات والاختراعات العلمية .. كما هاجمت اصول الحضارة الاوربيّة المعاصرة ، ولم تتقيدّ كثيرا بالقواعد والمعارف الموروثة ، ولكنها - على الرغم من هذا - وجدت لها انصاراً كثيرين من فناني اوربا وادبائها ، وتأثّر بها كثير من الحركات الفنية فاقتفت اصولها ، كالحركة التكعيبية في الرسم ، والمدرسة التعبيرية والمدرسة السرياليّة ، وانتشرت المستقبلية في روسيا قبل الثورة فانقسمت الى مدرستين سميت الاولى (المستقبلية الذاتية) التي تزعمها (ايغورسيفيريانين) الذي سيطر على (سان بطرسبورغ) بنحوه المشوّة، وغلو عبارته وتحذلقه .. وسمّيت المدرسة الثانية (التكعيبية - المستقبلية) وكان من انصارها الشاعر (فلاديمير مایاكوفسكي) الذي نشر عام ١٩١٢ مع بعض اصحابه بيانا اسموه (صفعة على وجه ذوق الجمهور) .. وقد تبنى هذا البيان ماسبق ان نشره (مارينتي) عام ١٩٠٩ "..

من هنا ندرك أن من واجبنا اعادة النظر في كل مايتصل بتصورات الشاعر (جورج لانز) الذهنيّة ، التي تخيّلها عن السعادة والبؤس والحب والمجد والجمال .. وان كنا نلحظ أن ثمة عالماً يموت وعالماً يولد لدى هذا الشاعر ، ومع هذين العالمين تولد (قصيدة) تبدو بواكيرها وكأنها نبوءة من النبوءات التي تراود ذهنه!..

قصارى القول : لقد كان (جورج لانز) ومابرح حبيباً الى نفوس متذوّقي الشعر ، اثيراً لديهم ، لأنه الشاعر الذي استطاع بعذوبة شعره وسلاسته ، أن يجلب الى قلوب قرائه لا السرور والمتعة فحسب ، بل جلب الوعي بمصيرهم المهدّد ، ودعا الى امتلاك زمام الأمر قبل أن يفلت من ايديهم فيعمّ الشر ، ويسود الظلام ولات ساعة مندم !..

وكما عرفنا (جورج لانز) شاعراً ثائراً ، عرفناه باحثاً واعياً يصورلنا بعمق وشموليّة، الحال التي تحياها اوربا اليوم كما تبدت له ، وكأننا به يستلهم الصورة التي رسمها وافصح عنها ((م . ل . روزنتال)) في كتابه ((الشعر والحياة السياسية))منبئاً بوطأة البيئة المدنية المتزعزعة ، وتأثيرها السلبيّ الذي ترك في (الاوربيين) كمعيار اخلاقي - آثاراً سيئة في نظامهم الاجتماعيّ حيث يقول :

((عندما نفكر مثلاً فيما كانت عليه الذهنية الاغريقية من جمال وسحْر ، وماهي عليه اوروبا الحديثة الآن ، فلا الشعراء ، ولاغيرهم من الناس يستطيعون في ايامنا هذه التخلص من الاحساس بالتفاهة التي تعمّ الحياة ، ولاتجنب الاحساس بالاشمئزاز من اخفاقنا في التخلص من الانحطاط الذي احاق بكثير من الوجود الانساني .. ويبدو ان شعرنا في هذا العصر ينجذب نحو مظهر متعب مهزوز من قدرتنا على معالجة ابسط دوافعنا الباطنية ، ناهيك عن مواجهة اكثر مشاكل العالم الحاحاً[1])) !..

اوكأنه استشعر عن بعد في الزمان والمكان ماعناه شاعرنا (المعري) بقوله:

قد فُقِدَ الصِدق ومات الهُدى

واستحْسِن الغدْرُ وقلّ الوفاءُ

---

(١) انظر : الشعر والحياة السياسية ص ١٦٢ - تأليف م.ل.روزنتال - ترجمة ابراهيم يحيى الشهابي - وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٨٢.

واستشعر العاقلُ في سقمهِ

ان الردى مما عناه الشفاءُ

*

وعلى هذا النحو فإن هذه (البيانات) في مجملها- صورة صادقة لما ألمع اليه (روزنتال) وشاعرنا (المعريّ) ابدى لنا فيها (جورج لانز) رأيه في المدنية الغربية التي ينبغي للشعراء ان يعوها وعيا صادقا .. كما ينبغي لهذه المدنية ان تحتضن شعر المستقبل وتتجاوب معه ، وان تجنب الشعراء الضياع في متاهاتها ، وتتيح لهم ان يجدوا الاطمئنان الذي يحدوهم للعيش فيهاوتمثيلها والتعبير عنها ، اسوة بمن سبقهم من شعراء مثّلوا عصورهم اصدق تمثيل وعبروا عنها أبرع تعبير !..

*

بيـــــان
في حاضر معظّم خطر

ان الجثث الجمة في الحروب كافة ، التي تشبه ربما تجهل اصحابها، لاتفتأ - في عنف اليوم - تصفع وجوهنا فتشوهها ثانية!..

ذلكم هو الفعل المؤلم الغبي ، الشيطاني ، الذي لاعذر له ، بعد ان ختمت - على نحو يثير الشفقة - الرسالة التاريخية ، التي قدمت العديد من الشعراء في شتى ضروب التخّيلات الا في الخيانة .. فحل الهرم قبل اوانه وولى - على الرغم من ذلك - نظام لم تخلف نوائبه اي عون .

وانهم ليتساءلون :

((انتم مهيأوون لايقاع جديد)) .

ويجيب لفيف:

((لكم يصيبنا جهد في التفكير فيه وسنمسي اليوم جد آمنين)).

من تراه يؤتى الجرأة على الدنو منهم ومن أساهم ، إما حفّت بهم الروح فبدت متوارية في كل منطق ، واهتاجت عبقريتها فأدركت حاجة مرعبة من الهدم ، وأمست النكبات مألوفة لدينا ، وشرعنا بموآلفة الاطلال .

كيف دار الامر فان الجمال والقوة النقية والمجهول هي - بين ظهرانينا - وانها تدفق في القصائد ، وتنصّب في العديد من الاثار ، وتندفع في العديد من حيوات ، هي بدورها قصائد ، فتواري آلات ثمينة ، بله اشياء متواضعة هي بدورها شعر ..

لذا ينبغي لنا في اللحظة التي يتحدث العالم فيها كما لم يتحدث قط ، ان نحتفظ باحلام قديمة لم تهجر المدن ، لأنها هي وحدها المسؤولة وان هذه الاشباح التي تتجول كلها ، لن تقوى الاّ على جرّنا الى مهام من الاسلوب جهير الصوت ..

على هذا النحو سيبدو الشعر اشبه بتمرد .. بعدوان .. بزراية .. فأنى له أن يمسي خلاف ذلك ؟ ..

إنه يثبت ، بينا الكل ينفي !

انه يهزج بالغناء ، بينا الكل يعوي [٢] hvrler ويعتريه الهذيان !

انه يكشف عن اسرار جوهرية ، ليست مطابقة ولاجوهرية !..

الا إن قوى شعرية منذرة لتتغلغل في شتى الأرجاء .

تتغلغل في الجماهير وانفعالاتها الغامضة

وان في شغاف قلب الانسان تكمن مدخرات من عذوبة اخوية ، بيد ان ثمة – الى جانب النوائب المباغتة ، الممكنة – مهمة عجلى مؤداها:

ان على الفن اكثر من اي وقت مضى ان يجهل الأناة والرتابة .. وان يقاوم كل رد فعل .. ان نبدع معناه رد فعلنا الجيد .

اما الصور والافكار ،والايقاعات الجديدة فتعين التمرد الدؤوب الذي لايبرح الشعر يقوده .

وخلال هذا العون لايبدو وجه العالم الا فكرة تتبدل وتكتمل .

اليكم كيف اننالن نؤتى الجرأة على القسم بأن الشعر لن يتشبث البتة بالآلات ..

---

(٢) يشير الكاتب الى المثل القائل hvrleaveclcslovps عوى مع الذئاب تقال لمن يجاري بيئته في تصرفها .

وانه اشد منها صلابة .. وانه يتمسك بفواجع جد بغيضة ..

لن يساورنا شك في ان الشعر موجـود في كـل مكـان وجـد فيـه
نسان - هذا الدوّامة من عظمةَ وغباء - ..

وانه يجسد - بكل ماأوتي من قوة - حضوره الوشيك الزوال ..

*

بيـــــــان

في الشعر الذي حولنا

لسنا نعني الانسان فحسب في كشـفه عـن صِلات اكثر او اقـل تسويغاً بين الماضي والمستقبل ، تتيح له بين اشياء أخر أن يظـل غـاض الطرف وسط حياته الحقيقية الوحيدة ..

ان الانسان يستشعر بـين الفينـة والفينـة حتمية تحرير نفسـه مـن عبء العصور فينبذ مشـغوفا والغبطة مـلء أعطافـه عالماً مضنـى حتـى الهذيان مذلاً مهانا ، مغتما غما شديدا ، كنا فيـه ثمة ، فاستبان لنـا أن على الجسور أن تمسي مقطوعة ، وعليه هو ان يطرد الاشباح ليعثر علـى البرودة الاولية فيكيفهـا حسـب مشيئته ... قصارى القـول : عليـه ان لايواصل الاعمال الرائعة التي صنع فيهـا – طوعـا او كرهـاً – مؤثـرات من رد فعل ، ومشاهد في الحياة .

تلك هي المعركة الاولى المحررة الاسهل ... امـا المعركـة الثانيـة – الابطأ والأخصب فتلك التي نتحرر فيها مـن انفسـنا ... أنفسـنا النابعـة من نصر خاص .. لأن الفن شاهد اكثر منه تقويم .

أترَ اه شيئاً آخر من معادلـة في الاثبـات ، يغـدو فيهـا عضـو مـن الاعضاء العالم المرئي ... واذ اننا في خاتمة المطاف نجـوز عجلـين ، فـان هذا العالم الذي مافتئنا نكتشفه كـل يـوم .. في شـهواته ، وحجارتـه ، وفضاءاته ، سيضحي الشاهد الوحيد للمجهول الذي نسبح فيه .. وهو ان لم اكن مخطئاً – الذي يكوّن جوهر الشعر نفسه ..

وعلى هذا النحو فإن مـا أراه واستشعره ، لـن يجـد نفسـه في اي ماض واي مستقبل .. انه يسود في اللحظة نفسها .. وان مأسـاته – ان كانت له مأساة ـ بادية حيالي !..

الا ان الفنان - بما اوتي من شذوذ - ليهرب في ماض اكثر ميتاً من المستقبل الذي يغريه بدوره .

انه في سبيل عالم لاشعوري iconscient يأبى مخطئا الدلالات الاولى الوحيدة الصلبة ... الدلالات الاولى الكؤود في الشعر ! ..

الا ان لكل زمن أرضي دوره ، وليس في ميسور الحقيقة القديمة ان تمسي لي الا بتفاوت عصور .. عصور اشبه بالجنون .. وان حقيقتنا هي هذا الشعر الذي ينبغي لكل جيل التحرر منه .. إنه اليوم حولنا ، وسيمسي حول اولئك الذين يجيئون بعدنا وان البداهة بدورها جدّ عظيمة حين نحياها ... سنصنع عصراً تضيق علينا جميعا الروح التي تثير عواطفنا ..

الا إن عبقرية الإنسان لتضع نهاية عصر ، طارحة نظاماً جديداً اصيلاً جازماً .. وان العالم الحديث ليجرقنا بتهديداته المذهلة ، ومواثيقه ، واحساسه بالهدم .. وان الابداع ليجرقنا بزهوه ، وهمجيته وايمانه وصمته ... وان السماوات خواء ... بيد ان ايدينا ملأى بقوة موارة .. وان العالم ليس العالم .. واننا بإذعاننا للسرعة لن نعمل فكرنا في دوام الاثر الفني !..

فليكن هذا الاثر اندفاعا ..

ليكن تعبيراً عن لحظة مغيِّرة فوراً ..

ليكن نظرة .. رؤيا عابرة ..

عندئذ سيغدو كل شيء حسنا ، ويمسي كل شيء على وئام مع قدرنا العابر ..

الا إن الشعر ليتبرأ من لامعنى العالم وقيمه الخفية

انه جد متماسك فوق الارض .. جد متعاضد في الاشياء الصلبة..

انه مسل في الدفء والبرد .

وان الانسان ليعلن الثورة على النظام المرئي ..

وان عبقريته - دون ريب - هي اليوم الى جانب آلات اوفرهناءً وحبوراً منها في الاحلام الخرافية التي توشك ان تتوقف عن اثارة جنونها..

---*---

بيـــان في الفنون التشكيلية
او في الشعر الحتمي

لقد كانت المستقبلية (١) والتكعيبية (٢) والتعبيريـة (٣) والبنائيـة (٤) والتجريدية (٥) ابتكار منتصف هذا القرن ، وما فتئنا دائبـين على الحيـاة فيهـا .. ثمة انسـان جديـد حيـال حضـارات كاملـة ، تستكشـف فيـه الطاقات نفسها . واذ يسعى الى ان يولد فإن حمياه – وهي جد عظيمـة – تنشد الهدم الذي يتعذر اصلاحه ، وحسب الهدم انه تطهير عاجل .

ولكم من متخلين عن القتنية يحوّمون عميا فوق مدننـا اللاهبـة ، لاينون متشبثين بالأرض بأواصر نعرفها حق المعرفة . وعلى اولئك الذين يتشبثون بالبقاء خارج عصرهم ، وان لم تكن لهم العيون والروح الخابية بما لايقاس من الجهل ، وبما لايقدر من فقدان الشعور ، ان يرتضوا كـل الرضا بأن مـامن شـيء في الفـن لاتحـدّده عبقريـة الانسـان .. وان هـذه العبقريـة تتجلى بخاصـة في الآلات المدهشـة باسـم الحديـد ، والمـاء ، والقوة.

---

(١) نظرية فنية انشأها الشاعر الايطالي (مـاريني) حـوالي عـام ١٩٠٩ للتعبير عما في الحياة من طاقة دينامية ترهص بالمستقبل .

(٢) مذهب في الرسم والنحت تعمـل فيـه الاشياء بمكعبـات واشكال هندسية اخرى .

(٣) مذهب يرمي الى تصوير المشـاعر التي تثيرهـا الاشياء والاحداث في نفس الفنان .

(٤) نظرية جماليّة ظهرت عام ١٩٢٠ لتحل محل النحت التقليدي بنحت مفـرغ يكتنفه تشابك في الخطوط والسطوح .

(٥) اصطلاح يدل على ميل الى اعتبار المجردات موجودات واقعية .

وليس هذا مادرج عليه الزنوج او الهنود الذين ابتدعوا لنا فن عالمنا المذهل .

الا ان اقل مافي مكنتنا قوله : ان على العبقرية ان تبلغ توازنات جد محيرة .. وعلى الروح ان تلمسها فتضطر الى ان تتكشف عن منطق جديد ..

على هذا النحو يتعمق الحلم فيمسي قادراً على الحديث عن هندسة الهوة ، كما يتحدث عن الوجه او الشجرة .. فلقد نحا الفنان كما نحا الانسان ، وبديهي أن ثمة (اناساً آليّين) بيد أن علينا ان نكون متواضعين فنسلك في الطبيعة مسلك (الاناس الآليين) الذين اصطفيناهم .

آه ! إننا لنعلم حق العلم أن الفنون التشكيلية تحيا أبعد من احتمالاتها ولعلنا لانعثر في ثوراتنا إلا على رعشات وايقاع ، وفضاء .. ولكن حذار ..

فحين يقولون ان اللون لن يكون البتة مقيداً بشيء محسوس او بموضوع فمن الجائز انهم يبتعدون عن العالم واعاجيبه ، لاهين به فوق الكلمات ، ومادروا ان تحرير اللون من الحجم ، والتخطيط بصراحة تامة ماهما إلاّ هروب من الحياة وابتعاد عنها .. وليس الفنان – هذا الانسان الأسمى – بحاجة الى أن يكون ثمة لهذا النحو من اجل اثر رجعي [٦] .

وحين يقولون :((إن العالم مضنٍ اذا ماغلا الرسام في التعبير عن الهامه الذي يسمو الى السماء)) . فمن الممكن أنهم يمنحوننا حقيقة خالدة في نموذج تشوبه رومانسية .

اما اليوم فثمة فئة من فنانين متسكعين يوشكون أن ينتحروا فرحين وقد تقاعدوا حيال الشكل ، لايلتهمون شيئاً سوى صورهم الأشدّ خفاءً والأوفر جنينياً ، والاكثر احتجاباً !..

---

(٦) reaction naire من Reaction وهو في علم النفس انعكاس لاارادي .

ألا اننا حيال جزء سلبي من ظاهرة معاصرة ، بيد ان هذا النهج الذي لايفهم ، هو حجة ثمينة رغم كل شيء ..

واذ أنهم يمضون مرتبطين بمجتمع يفنى ، لايشاركهم فيه أحد ، فإن العالم لايفتأ ثمة - رغم ذلك - أغرب مما كان ، وقد ارتاده سواهم بثروات متباينة ، ربما يكمن فيه انتصار جيلنا !..

الا إن مايجيء لن يهاب اشكالاً ، ولن يخشى الوانا ، او يرهب تفرّداً او محسوسا ، او مجرداً بل ليس ثمة إلاّ وظيفة الشعر نفسها التي ستحتويه !

الا ان فناً بلا شعر ، وليكن تصويراً ، او موسيقا ، اورواية هو فن بارد لاحياة فيه ، ولاغد له ..

الا اننا لنعلنها عودة الى روح واحدة في اللون .

عودة الى روح واحدة في الشكل

في الفنون التشكيلية

وفي الشعر الحتمي Poèsic Indispensable

--- * ---

بيـــــان

في تحقق[7] الممكن

ان حضارتنا التي لاتحدها اية حدود ثابتة ، بل ان ثمة تخلفا يصحبها يشبه ظل حضارة باقية ، فلسفية ، صناعية ، شعرية .. تهب آلات وصروحا وكتباً وموسيقا وهي في شتى الانحاء .

وليس من شك في ان الظلمات المقاتلة التي ترين علينا لأول مرة ليست إلاّ عابرة وان العالم دائب على الانتاج .. أعني أنه لايأتلي يتجاوز نفسه في كل مكان ، مدفوعا بالضغوط الأسوأ ، وأن على اولئك الذين يعون الماضي حق الوعي أن يستبينوا أن الأمر ليس خارقاً .. شأنه وسط خمول اكثر مضايقة .. وأن فنانين قد حدسوا بأن فناً يأخذ بالتطور ينبئ في المجتمع بتيار فكري مماثل .. وان الانسان لم يتكيف بعد وسط المعجزات التي تحف به فتنغص عليه عيشه .. انه فن جديد لاشاغل له إلاّ التردد[8]، وقد أعطيت الاشارة ، وليس هذا من اجل لاشيء ، لأن الآلات تهدم عالماً لم يكن قائما لها .. ففي مدننا اللاهبة ، وفي جماهيرنا المعنة في الجهالة الموغلة في سرعة التصديق ، المغرقة في القصور الذاتي ، تكمن اساليب شعرية غنائية lyrismes فعالة .

الا ان عالماً جديداً يشاد ، نمسك فيه بالسحر الاعمال الاولى

(٧) synthese في الفلسفة : نتيجة الجمع بين الطريحة والنقيضة في الجدل الهيغلي

(٨) في الاصل BALBUTER ومعناها لجلج اي تردد في الكلام .. ولجلج في صدره شيء تردد ومنها اللجلاج من كان ثقيل اللسان يتردد في كلامه .

الباهرة فيهيجنا بطء الظاهرة وحده .. الا اننا نحن الذين نلائم بين القيمة والزمن وانّ النتاج الأدبي سيتدفق في اللحظة الحاسمة .. وان الصروح تشاد ، وان القصائد تنشد .

أترى يحتلّ بحثنا الأول مكانه حولنا ؟

ليكن .. من تراه سيقوّمه تقويما لانفع فيه ؟

واذ أن كل قوانا ، وكافة اصالاتنا عامة شاملة ، ينبغي لنا ان نسعى حسب المقتضى ، وان نتعاون ، وأن ننقذ ماتفاقم اليوم ، فالعسكريون والتجار يستميتون .

ماهمّنا !..

إن تحققاً عقلانياً ممكن رغم كل شيء ..

حتى لو أقسر على أن يظل خفياً .

حتى لو لم يكن إلاّ فكرة صابرة في اعماقنا ..

حتى لو لم نكن إلاّ افراداً يجيلون فكرهم في اوربا ،ثم في العالم ، مادام الطليعيون منا يقومون اليوم بدوريات وهم جدّنائين عنّا !..

*

بيـــــــان

في الغموض المبدع ١٩٥١

لقـد وقعنـا في الشـرك بـين حـرب ضـروس واحتمـال [٩] تنـازع جديد، يعسر علينا تصوّر مايعتوره من هول .

كـانت لدينـا ومـن حولنـا ، وفي مدننـا ، آلات اشـد مـن الزهـر استعصاءً على التعليل ، واسرار جوهرية جمة ، توشك أن تكون معروفة .. وقد اكتنفنا عالم من الجن وسحر الكون ، كما لم يكتنفانا من قبل ، ومضت قوى صناعية متقدمة ، فبدت – مع حتميّة التـاريخ _ وكأنهـا لاتردّ الى اصولها .. وأنكرت الإله فئة من الناس معتقدة أنه كـان ، بيـد أنه يملأ دون أن تدري ايديها وعيونها ، وانه يجد نفسه الى جانب الحياة اكثر مما يجدها الى جانب الموت ، واذا به – بما في هذا العـالم مـن ولادة ابديّة – راح يعلو من موسيقات صغـيرة ، وينسـرب مـن اغـان صغـيرة لطيفة ، وينطلق من اصوات صغيرة شاكية ، قالوا لنا عنها :

((إنها من الشعر)) .. او ليس للشعراء الفلكّ الذي ينفتـح اليـوم على الأفق ؟

أو لم يستشعروا دقات قلبْ المدن الغريب

أو لم يسـجلوا – عليهـم أن يصنعوهـا مـاداموا اذكيـاء – سـرعة الاحداث الاسطورية ؟

---

(٩) في الاصل : perspective ومنهـا perspectivisme وهـي النظريـة الـتي تتلخص في أن كل معرفة نسبية للموضوع العارف وحاجاته .

ألا انهم لينظمون موسيقاهم الصغيرة ، ويدعون اغانيهم الصغيرة اللطيفة ، ويلهجون بأصواتهم الصغيرة الفطنة .. فلو لم يكن كل شيء إلاّ احتمالا .. ولو لم يكن كل شيء إلاّ رمزاً أكانت لدينا ومن حولنا ظاهرات جديدة ، ورموز جديدة ؟

لذا فقد آن لها أن تتجسد في القصائد ، وتتخذ في لغز القصائد ، لأن فيها تحيا الحقيقة .

كما آن لنا نحن الا نتلبث في تحرير أعظم معركة ، واعظم عيد لامرئيّ ، يلهوان ـ ان حسن لديكم – على مقربة دانية منا ، لأن الاشياء الاكثر تواضعا ، ترقى بالصدمة نفسها الى مصاف الرقباء الاول ، وكأن الشعر لم يوجد الاّ لأن الاشياء التي الفناها خارقة لم نألفها .. وان مامن شيء ثابت ، ولاشيء انساني ، ولاشيء أرضي يقوى على ان يغدو ممجدا بالاحساس الشعري ، وفي أسرار الصور وخفاياها !

علي هذا النحو تستحوذ القصيدة على سلطان الليل ، لأن الليل وحده يمكننا من رؤيتها حتى اعمق مافي الفضاء .

اليكم ـ أيها الشعراء ـ أزجي الشكر على ظلماتكم الفنيّة

فالاشكال الجديدة تولد في الغموض المبدع . والاعمال الرائعة المجهولة تتكثف وانتم ثمة الاكثر حقيقة .

على هذا النحو ؟ ومن موسيقا صغيرة ؟

واغنيات صغيرة لطيفة؟

واصوات فطنة شاكية ؟..

أتراكم ـ أيها الشعراء – ستتخلون عن هذا العصر ؟

آه ! بلى .. اني اسمعكم .

لقد كان لزاما أن تحلموا بهذا الذي لم يكن .. وان لاتتهربوا من الواقع ..

كيف دار الامر ، فليحالفكم التوفيق فيما تنهدون له وتسعون اليه .

هاكم – ايها الأصدقاء - : إن شيئا مايمر بيني وبينكم .. أتراكم تستافون رائحته المعدنية التي تفوح من عرق عماليّ وعبقرية؟ .

الا ان شيئا مايولد فوق الارض فيتشبث بالسماء .. إنه نحن الذين اشفينا على الشيخوخة وهاهما – الحياة والموت – يتضاعفان – فياله من مشهد .. ويالها من مأساة ينشدان موسيقا اشدّ خطورة .. ويلتمسان اغاريد اوفرنبوءة .. ويرجوان اصواتا اكثر جرأة ..

كلا .. كلآ .. فما من ساعة يمكن التخلّي عنها ..

*

بيـــــان

في الشعــر الحــــي

هي ذي الأرض .. إنها لنا ، وليـس ثمة بـلاد والونيـة[10] wallon وبلاد فلمندية [11] flamand وبلاد فرنسية والمانية ، وايطالية وروسية ! .

ليس ثمة سوى الارض الوحيدة .. الدافئة .. الباردة .. الحمراء .. الرمادية .. الزرقاء .. المثيرة .. الراقصة ! ..

إنها في يدي طفل تمتد ان نحو ايدينا نحن البشر !.

إنها في عيني فتى ترنوان إلى أعين الشعراء

إنها في البؤس !

في الشقاء

في الفَرح

في اللعب !

إنها في الأشياء كلها .. الأشياء التي ينعكس عليها السحر الإنساني

ليس ثمة سوى الارض بحكمتها المعدنية الكبرى

إنها خيرنا ..

إنها مدننا ذات العمد ..

---

(١٠) منطقة في بلجيكا يتكلم اهلها الفرنسية

(١١) منطقة في بلجيكا يتحدث اهلها بالهولندية

إنها اذاعة رائجة لايجانب الوسن عينيها

ليس ثمة شيء سوى شغفنا بالمجد ..

سوى ظمئنا الى نصر

سوى توقنا الى شدّة

سوى تشوّفنا الى حب !..

ليس ثمة شيء سوى آلاتنا الحية الاوفر حياة من بناننا ..

فاليكِ أيتها الموسيقا العُمّاليّة أزجي الشكر

انتِ ياجوقة من مناجم .. من فولاذ .. من عجلات طيعة .. من سرعات منشدة .

واليكِ أنتِ أيتها الظلمات الابدية أزجي الشكر .

انتِ يامَن يعثر فيها الشاعر على بصيص من نور .

واليك أنت أيها الشعر أزجي الشكر - إذ تمسي دانياً من الفقراء والسلام ..

الا إن الزمن قد أزف كي نتذكّر ..

١- أن الشعرَ تمرّد دائم !

٢- وان القصيدة الاولى كامنة في حياتها .. إن القصيدة الاولى متوارية في معرفتنا كيف نحياها .

٣- وأن الشعر خاطف .. ينشأ من اثباتات لاتقاوم !

٤- وانه ينطلق من تخوم الضمير نحو آثار الصناعات الانسانية ، حتى الاوفر تواضعاً!

٥- وانه يقاوم المألوف ، مادام لايبرح يصبو الى نظام .. ويطمح الى يأس ، مادام يستشرف سعادة جديدة .

٦- وانه يكشف متئداً عن فوارق الانسان في عزلته الدقيقة

٧- وانه غامض ولاريب .. أعني انه لغز .. إذ كيف يتأتّى لنا أن نفسِّر الضياء دون الظل الذي يحدّه !

وكيف يتاح لنا ان نفسِّر الانسان والعالم ، دون أن نزيح استار الخفاء ستراً تلو ستر ..

بيد أني اسمعكم ترددون فيساورني الأسى :

((إننا محتاجون الى شعر للإنسان .. اننا محتاجون الى شعر على قدر الانسان ، ولا شيء سواه .. أما أنتم - ايها الشعراء - فما عليكم إلاّ أن تصنعوا اسراركم المقدسة)) ..

الا إنكم على هذا النحو تشوّهون الشعر

إنكم على هذا النحو تغدرون به .. تقتلونه .

لأنه اكثر من الانسان الذي تعملون فكركم فيه !..

إنه نبله .

إنه وجهه اللاّمرئيّ !..

فيالعار أولئك الذين ينتقصون منه في ابعاده الوحيدة التي الفناها .

وفي سلوكنا الاجتماعي الوحيد الذي انتهجناه .

يالعار اولئك الذين يمزجونه بالاغنية الشعبية ، لأنهم لن يهبوا له صدَقَة شعرية !..

الا فلتعلموا أن الانسانية ماتقدمت قط لو لم يدعها أشد المغامرين مغامرة ..

ويلتمسها أعنف الجريئين جرأة .. وينشدها اغنى الموهوبين من أبنائها ... التي دعاها اولئك الذين لم يصنعوا شيئا سوى إرضاء حاجتهم من الراحة .. وتسكين جوعهم بوجبات طعام شهية ..

*

بيـــان في المــــوت

الا إن الازمان التي نحياها ، عصيبة !
ورغم ذلك فالأزهار تبدو مشيرة الى الربيع
الا إن المحركات تتنفس ريحاً عاتية !
ورغم ذلك فالمحاصيل تمسي ذهبية اللون والاشجار تتشبث بالضياء فلا تميد ابداً

ويبدو أن ثمة حقيقتين تعترضان :
تلزمنا احداهما بأن نرهف اسماعنا!
ويكبر في وهم الناس في الثانية .. انهم - بالمصادفة - يبدعون من عبقريتهم ، او من يأسهم.
ومطلع الأمر أن الحقيقتين متماثلتان !.
نحن أدرى بأن المدن تشاد ثم تزول كأنها نهار
وأن نكبات من الموت هائلة كامنة فينا ..

ترى كم مرّة يثبت الشاعر في ميادينها العجيبة ، كيما يجوز مدفئاً بدوره الأرض قاطبة ؟

الا إن الشعر هنا منطق وخميرة فائقان ،ورغم ذلك فإننا نرى أن الموت يمسك بتلابيبنا كأنه شوائب معدنية ..

وإن الكون اليوم ليس سوى الموت ، لذا ترانا نعي المراسلات التي تثير الدهش ، اذ تجنح من حولنا .. وليس الكون فينا سوى ابتذال لاحدود له من افراحنا ، وممن نهواهم ، ومن محيّانا!..

وتفضون بأنكم قادرون على الشكوى من امتداد بعض الأيام.

الا إن الاوان قد آن كي نعي - دون أن يساورنا أسى او يعترينا انفعال ، او يتولانا زهو :

١- أن الشعر سباق الى الموت

٢- وانه اليوم يمزج العصور بالسرعة والاحاسيس

٣- وأن رؤاه العاتية حقائق تجلب اليأس ، وتبعث على القنوط .

٤- وأن الآلات والبيوت ، والحدائق ، والأطفال تصنع العاباً تهيج العواطف وأن ماهية الشعر نفسها تمسي على شاكلتها .

٥- وان موتنا اليوم أشبه بالشعر ليس سوى دنيوي .. وهو في هذه الساعة - مادمنا نجيل فيه الفكر - منصف ، عدْل !..

لذا ينبغي للأفراح أن تثير اليوم صراخنا من هذه السعادة التي ندركها في حياتنا ..

كما ينبغي للعيون والبحيرات المشمسة ، والفجر والليالي والمحرّكات أن تعي عبْرَ غرابة القصيدة ..

الا إن كل مايحدث يحيا شديد البطء في انتحار غاية في العذوبة ، وان مامن شيء سوانا يظلّ عصياً على المعرفة ، تحت اي ضياء يدور فيه ظل !..

الا إننا نحيا ازماناً عصيبة ، ألفنا الموت فيها

بيد أن الشاعر هنا انسان مدرَك

باد للعيان

ينقذ شرف العالم !..

بيـــــــــــان في الثــــــــــورة

١٩٥٣

الثورة اليوم هي الآلة

ولقد ولدت الآلة من الروح وستظل حية مادمنا احياء .. وعلينا أن نتمها هادمين النظام الذي توطد قبلها .. وأن نبدل علم الجمال ، مغيرين معنى السعادة وهونظام ، وعلم جمال يبدعهما الأنسان ، كما يبدعانه .

قال ((انجلز)) :

((بتغيير الطبيعة ، يتغير الناس أنفسهم)) .

وكتب ((لوكوربوزييه lecorbvsier يقول :

((إن الآلة تعدّل الروح في العالم وتهذّبها)) ١.

فلنرهف اسماعنا – من هنا – الى رسالة حملت لاتشبه موعظة او نبوءة ، لأن الآلة ملكنا الخاص .

ويضيفون قائلين :

((مامن شيء في الطبيعة يعسي موضوعياً حيال أعيننا التى ترى ، فهي تدنو من الاتقان النقيّ في أشدّ الآلات تواضعاً)) .

ومادروا أن الالة ليست سوى طبيعة جديدة ١.

اياً كان الأمر فاليكم أين نحن فيها :

إن الغرب يحيا في ظلّ علامة انتقال وغزومادي

امّا بالقياس الينا – حيث لاثبات لمصير ، بل استمرار في التغيير ، ودأب في البناء–

فليس ثمة منطق آخر إلاّ أن نظل متقدّمين ، معرضين عما بلي ، هادمين ما انتفت فائدته و لم يجلب لنا نفعاً .

لقد أبدع الانسان - احيانا- على الوجه الأكمل ، فابتكر في لحظة معطاء الخطوط والاشكال التي تعبر كلها عن هذه اللحظة ... وعلى هذا النحو بدت (لاسكو [١٢] lascavx و(أثينا) و(شارتر)[١٣] chartres !..

قال ((شكسبير)) : ((إن قدرتنا كامنة في تفسير عصرنا)).

امّا الفولاذ فيسجّل اليوم نبأ .. يسجّل اتقانا غريبا .. بعد ان امست الروح غير ماكانت عليه في (لاسكو) و(شارتر) .

لقد أحيت الروح المادة ، وراحت تتنزل عليها ، وهانحن اولاء مقذوفون في كون من قوى مدبَّرة ، تؤود نا فتنتها فيشقّ علينا وصفها .. بيد أن اغنية عظيمة ستتناهى الى اسماعنا فلنصدقها.

وكيف دار الأمر فليست الثورة في (نيويورك) وفي (موسكو) بل هي في شتى الانحاء التي تبدو فيها المحركات ، وتسهر فيها الانباء المحسوبة في حراسة يقظى .

ولو كان في مقدور الفلاسفة أن يتبينوا أن الآلة كانت عبثية ؛ لاتضح لهم ان كل شيء عبثيّ ولاريب .. بيد أنهم تولوا عنها معرضين معملين فكرهم في القضية على النحو الذي ارادوه .

ومن ثم ، عليكم أن تدمنوا النظر في الآلات لترَوا انها اتت مبهجة جديدة طبق مبدئهم .. اتت جسداً انسانياً رحباً ، واننا نحن الذين نجتذبها الى سعادتنا ، او ندفعها الى شقائنا ..

---

(١٢) مدينة فرنسية قرب (مونتياك) اكتشفت فيها عام ١٩٤٠ رسوم حيوانات تعود الى ماقبل التاريخ .

(١٣) مدينة في شمال فرنسا اشتهرت بكاتدرائيتها (القرن ١٢- ١٣) التي تعتبر من روائع الفن القوطي في اوجه .

ألا إن الثورة اليوم هي الآلة
وهي الساعة مرئية في الأثر المصوَّر
وفي الأثر المنحوت
وفي بيت المهندس

وإن الشاعر – وقد خلا من منهج – يهز قلوع الزمن والفضاء السحرية ،ولا يفتأ يضجّ بالصراخ .

تُرى .. ماذا في ميسورنا أن نصنع لو أن (مَوْتَى) دأبوا على العيش فنشروا من حولنا الوباء دون أن نراهم .. دون أن نحسهم .. دون أن نفهمهم .. دون ان نأملهم ؟.

لايخالجني شك في أن كل شيء سيضطرب كما لو أن الفجر الرنّان ينبىء بأنه كان في نهاية العالم .

لن يكون لنا خيار إلاّ أن نشرع بمغامرة مثيرة ..

أعنى : سيادة الإنسان إن شئتم ..

*

دعوة الى التمرّد ١٩٥٤

في ميسورنا أن نطرح سؤالاً

اين الحقيقة ؟

واين توجد حقيقة ؟

((في هذه البلبلة التي تحفّ بنا ؟)) وهي اليوم فكرة ملائمة !.

الا إن الشبان لواثقون أشد الثقة بالعالم .. وهم فيه اكثر حساسية .. فهل تراهم يخطئون إن هم قالوالنا :

((علام نبدع في ظل التهديد الذي يهيمن على المجتمع برمته؟".

لقد كان الظرف - عقب الحرب العالمية الاولى - مختلفاً جداً .. فاولئك الذين بلغوا مبلغ الرجال رأوا عالماً اخلاقياً ينهار ، اشتدّ فيه ذهولهم ، فمضوا نحو المستقبل واثبين يحدوهم إيمان بالغ الأثر .. وعاد هذا الجيل في عصره الى صوابه ، فصالح عدداً من الإحكام وأنمى الشعر ببعض أبعاد جديدة ، فكان مزهواً ، عنيداً ، متمرداً .. وحلّ العالم ثانية - خلال هذا الزمن المدمّى الكريه - وراحت أشباح خلناها قد فنيت الى الأبد تهزأ الى جوارنا متهانفة من الضحك ، فكانت (بو شنو الد b vchenwald)) وكانت (هيروشيما)!.

فاذا كان القنوط والكلال قد بديا اليوم وهما يقودان خيار الناس فليس يعني هذا أن على الفتوحات المنجزة أن تمسي في خطر ، لأن الظاهرات التي تميز حضارتنا مزدوجة ولن يساورنا شك في انها تتحدّد إما تحديد ، خلال اشكال محدّدة فتبني الأمم .

الا إن ثمة عقولاً جمّة تحفّ بنا تفوّقت بالأمل والقنوط - وهما قطبان من اقطاب الفن ـ وإن علوماً جمة خارقة ـ كافية لانقاصها وجدانياً ـ الغزارة الوافرة في مآسينا وانتصاراتنا بيد أننا لودرسنا تنظيم الفن لثبت لنا أن قوى رجعية عمياء على نحو فظيع تضع عراقيل في دروب المستقبل .. تهيجها القصيدة الحديثة كأنها جنون او تحدّ .

فيالساعة الشبان ، انهم هم الذين ينبغي لهم أن ينقذوا شرف العالم واثقين من ان كل شيء يبدأ منهم ، وإن شعراً لايبرح يحلّ محل شعر قديم وأن لاراحة لهم البتة إلا إذا أبصروا الفن دؤوبا على الابتكار، ورأوا الحياة والموت وقد داخلهما سرور من اجل الشعر وأن الاخلاق قوّته ، شريطة ألا يزروا بأعمال الناس التافهة ، او يستهينوا بالأحداث اليومية الصغيرة ، التي هي علامات الفتنة التي نعوم فيها ، لأن العصر ينوء بأعباء ثورة ، وان اسراراً تؤوده تعرض نفسها لمن شاء أن يعي الانظمة فيدرك الاحداث ، ويفهم الانسجامات العميقة .

إن على فرحنا إذن أن يمتزج بصور العالم .. عالمنا !

وعلى قنوطنا أن يتلاءم مع الأشكال فيسوّغ من خلالها سلوكه .

لأن الاسوار في تخوم القصيدة فعل جرأة .. واحياناً تمرّد .

ولعل الشعر حبّ ، وقد يمسي بغضاً .. وما انفك دؤوبا على النضال

الا إن الاوان قد آن اليوم لينطلق نداءً للغيب

ولمن خلا قلبه من الرأفة

وللحتميّ

وإنه لتمرُّد شعريّ .

*

بيـــــان

في ملامة الشعراء المتعبين ١٩٥٥

في اللحظة التي لاتكف فيها العلوم عن الابتكار ...

وفي الهنيهة التي يؤكد فيها - بقوة مذهلة - كل ماتبتغيه الحياة او الموت !

يبدو الشعر حائراً متردداً أكثر من الفنون التشكيلية في الاسهام بالحماسة الشاملة !

واننا لعلى بيّنة من أن الشاعر ارتضى - بزهوه المساعد - أن يمسي مؤتمن حقيقة خارجة عن عصر .. خارجة عن عالم .. وانه لن يكون بيننا إلاّ ليعبِّر عن احاسيس (خالدة) فيتيح له تعبيره المرور اعمى في مدن الارض الدافئة .

أترى من اجل هذا الباعث ، نبحث عبثاً عن افراحنا في العديد الجم من الكتب

وفي بعض أفكار جديدة ، وفي صدى عصر مذهل ذي دلائل عميقة ؟

الاليست تلك إلاّ قصائد ، عيونها عالقة بالسماء بكافة الرموز المكررة الف مرة .

ورغم ذلك ففي منتصف هذا القرن اضاء لفيف من الكتّاب صور العالم الخفيّة طارحين آثاراً ، محررين احدى اقوى معركة في الفن بهدمهم اشكالاً قديمة ، وفهمهم الاشياء ، وادراكهم اياها ، حاثين التقصي الشعري الذي لم يكن له منفذ قط..

فياله من حب عابر خارق ، أضاء (الدادّية) و (المستقبلية) و (السريالية) فكان نصرها في الواقع نصراً تاماً .. تاما جداً ، إذ بدا مذاباً في ريح العصر .

ولما كان ذلك عملاً من الشبان رائعا ، ينبغي له أن يمتد في الكهولة ، بعد أن آلى الشعراء على أنفسهم أن يظلوا متجانسين مع ذواتهم .

ورغم ذلك فإن (مارينتي marinetti) شاعر المستقبلية المتحمّس ، وشاعر العنف والمدينة والآلة ((الاجمل معه انتصار (ساموثراس[١٤] samothrace) . قد ختم وحده حياته ، صادقا دوماً مع نفسه ، والمجتمع الذي اصطفاه !.

ماذا عساي أن اقول عن كثيرين سواه ، ممن لم يؤتوا الجرأة - كما يبدو - على ملاقاة الانسان الذي كان قديما ؟

ماذا عساي أن اقول عن اولئك الفنانين الذين - بعد أن أسهموا في الكشف عن كنز شعري لاينضب - مابرحوا اليوم مجهولين ، مطيعين ، مطرين فناً يخلو من لغز وما ذلك إلا ((من أجل خير الشعب الأعظم)) .. كلا ليس سوى الفن الذي عليه أن يمسي (للشعب) اولاً .. بيد أن على الشعب أن يمسي مجتذباً لتذوقه .. لفهمه للرضى عنه .. وإنه لأمر جد عسير ، فلكم من كتّاب يحسون أنهم مدعوون (للعمل) من اجل الشعب ودعمه ، والذود عنه ، فأيهم أوفر احتراماً ، واوفى حتمية ؟.

الافلنزج لهم التحية ، إن هم ادوا امانتهم بايمان .

ولكن ثمة سواهم من ذوي النزوات الذين آدتهم الاسرار من الكبار والملهمين ، والانبياء ، والقديسين ، والممسوسين ، والملوثين ، والمرعبين من فرط عذوبتهم ، والباحثين عن المعضلات ، وورواد (فيافينا

---

(١٤) جزيرة في بحر ايجه نشبت فيها معركة بحرية حوالي عام ٣٠٦ ق . م.

الحية) الذين ينبغي لنا أن نعثر لهم - رغم ذلك - على ركن صغير يلوذون به .

ماذا عساي أن اقول - على سبيل المثال - عن ((شيريكو[١٥] chirico)) وتماثيله العجيبة ؟

ماذا عساي أن أقول عن عوالمه الأنأى عن الحياة .. عن الموت ؟.

هاهوذا يعدو خلف ماضيه ، فيضيع سدى سعيه الحثيث الى التنكر له ، والتبرؤ منه . واية خشية ، واية ندامة اربكت هذا الفنان الواهن العزم ، الخائر القوى ، فاختلط عليه الأمر ، وضعفت حيلته

لقد كانت لديك أضواء في عينيكَ بالغة الاثر !

أتراها الشيخوخة الحزينة التي قسرتك علي الهرب من قائد المرتزقة الذي كنته مخافة الاّ تمسي إلاّ موظفاً ، اومؤرخاً ، اومفسراً في الجبهة ؟

ألا إن عالماً في ثورة يحف بنا

فأين تراها القصائد التي اغتنت بعبقريتها ؟

لن يخالجني شك في انها ثمة في اعوامكم الجميلة .

وعليكم الاّ تدعوها تتغير ، لأن لديها رغبة في أن تصرخ بكم في صوت ضائع هاتفة .

((يارفاق الرحلات الجريئة .

حذار أن تشفوا علي الشيخوخة

فالشعر لن يبرح فتيا ، وإنه ليبتكر نفسه على مدى الايام

وأننا بفضلكم ، ورغماً عنكم ، نؤمن بأن عليه أن يمسي تمرّداً .. أعني أن يمسي حراً .

لأنه حقاً مفيد للإنسانية .. بيد أننا من أجل كل ماصنعتموه للشعر فظل راسخا في الذاكرة لايُنتسى .. سنظل ماعشنا حافظين لكم مكانا رحبا في قلوبنا)) ..

---

(١٥) رسّام ومثّال إيطالي سريالي .

بيـــان بين عالميـــن

١٩٥٦

لقد الفينا أنفسنا بين عالمين ..

ليس بين الشرق والغرب فحسب ، بل بخاصة بين حضارة تموت وحضارة اخرى تولد .. وليس لدينا سوى آثارنا الفنية التي تعبر عن حالنا الوسيطة واليكم كيف نتلقاها :

أرهفوا اسماعكم الى مايقوله اليسار :

((إن فنكم الطليعي ملوّث ، يصدر عن ثقافة بالية صَنَعت عصرها ، وهو ليس اكثر من امر يؤول الى زوال ، لأنه يسمو على جماهير تخليتم عنها .. وذلك هو الانحطاط ، وان على الفن أن يتحدث الى الشعب ويخدمه .. وان الحوار بجد ..)

ثم اصيخوا اسماعكم مصغين الى مايهتف به اليمين :

((إن الفنان البدائي [١٦] الذي عليه أن يماثل فنانينا المحدثين ، مزيج من متشردين من حثالة الناس ، ومن زنوج افريقيين ، وطلاب ثانويات في الخامسة عشرة من عمرهم ، وان اسماكنا الحديثة لتزري بعلم النفس)) (الدوس هكسلي) .

إن مبلغ اهتمامهم أن يضيفوا أن الأكثر رهبة في الديانات ماصدر عن الآلة ، وأن الحدث ثمة .. وأن الآلة تبرز ، وأن كل الصور القديمة يضمحل ، وأن عالماً متبايناً قدبدا للعيان ، وبالتالي إنها بداية ولادة

---

(١٦) فنان ينتسب الى عهد قديم سابق لعصر النهضة الاوروبية .

إنسان جديد ، وفن مجهول ، لايبرح لغز الحياة فيه هو الأعظم تحوز رقاه بين مصانعنا ، وأجهزة حروبنا ، وتماثيلنا ، وقصائدنا .

لذا ينبغي لنا أن نداب – في هذه الثورة الشاملة – على الاغتناء بالماضي فحسب ، وأن نعيش ضد التيّار ، مزوّدين بجملة أفكار مستهلكة ، ودراسات اخرى ولغات اخرى اشد الحاحاً في البداية بلغات خفية من العلم الذي نتعلم فيه طويلا على ضوء القمر ، النجوم، والعصر ، والحب الذي اتحد فيه الشعراء القدامى كافة .

الا إن فناً يستكشف اليوم نفسه ، وان منحطين ينوبون عن افراد، ومتشردين يخلفون آخرين ، وارقاء يعتاضون عن نخبة ساحرة !.

ذلكم هو فهمهم اياكم ايها الشعراء الاذكياء !

ورغم كل شيء ينبغي لكم أن تجدّوا في مغامرتكم التنبؤية ، دونما باعث اوأمل ، اوأي مصير إلا مايدفع قدما افكاركم المستحيلة!.

ذلكم هو الشعر الذي يوائم الحرية من نحو آخر .

لذا ينبغي لنا أن نكون على وعي في حضارتنا اولانكون . اما الماضي فخديعة ، انه سم زعاف وتعذيب .. يتحرر في هينة ومهل من جمال جديد ، يستخدمون في بحثهم عنه ، ودعمهم اياه ، أنجع التقاليد التي تليق به ، مادام أن التغيير قانوننا ، وان مامن نظام لايقوى على إبطال السر الأكثر عمقاً في العالم .

على هذا النحو يستخدمون الانسان حقا فيرسخ الحوار .. بيد أن الفنان هو الذي يقوده ..

*

بيـــان في العـــــام ٢٠٠٠

يؤكد الواقع أن فننا مليء بالأنقاض ، مفعم بالأشباح ، مترع بالجراثيم والتنانين والصيحات المجمجمة .. وأنه يرى من صمت ناء ، وكائنات بدائية تجريديّة .

لماذا ؟

لأن العالم القديم أخذ يتفجّر ..

وأننا أخذنا في بحران دوامات عاتية .

الا إن ماقبل التاريخ ليعلن عن نفسه .. بجراثيمه ، وصيحاته ، وتنانينه ، وأشباحه التي تطغى – بوفرة نبوية – على تصويرنا .. على موسيقانا .. على قصائدنا .

وأن ليس من العسير علينا التأكد من أننا ننحت صواناً ، وأننا نحفر مغاور ، وان لدينا رقصنا بالنار كذلك .

ألا إن كل شيء في الفن يجأر اليوم بالشكوى من فناء حضارة ، اوينتشي بها حسب منهجه .. وانه يتنبأ بحضارة جديدة ، فيهرب احيانا موارياً رأسه في رمالنا الموارة او مزريا بها ، متحدياً اياها .

ولن يساورناشك في أننا لم نخلق لهذا الصخب الهائل ، كما أننا لم نخلق بالأحرى لهذه السرعات العظيمة ، بيد أننا ارتضيناها ، وقد ملأت الغبطة اعطافنا .

ولئن تعالت من حولنا اغاريد تافهة بدورها .. ولئن اكتفى فنانون بدورهم ((بنظم الشعر)) - وهم ((ينظمونه)) في تصوير ، كما ((ينظمونه)) في تمثال او موسيقا -

فذلك لأنه ليس في ميسورنا ادراك انفجار العالم إلاّ بالفكرة الراشدة !..

وان لفيفاً منهم فحسب ، يحدسون بما يصنع خصب الآلات الهائل بالروح .. هذه (الثروة المسحورة) كما يقول (ب . م شوهل pm s c hvhl) !.

ولاتكاد معجزتهم تبدأ حتى تكنس اليوم نفثة[١٧] قلق المثقفين وجذلهم ، فتثير في الروح مدّاً وجزراً مجهولين .

الا إن كل شيء غامض بدوره ، بيد أن الفنان آت ، وعندئذ تشرع الأشياء في الحياة .

وليس من شك في أن دوراً مقدساً يترقب الشعراء الحقيقيين يناقض الامتثا' ة[١٨] الممكنة - التي لن تكون الاولى - لذا ينبغي لهم أن يناضلوا .. اعني أن يهزجوا بالغناء ، وأن يوحوا بما يكنّون ، وأن يعاودوا التفكير فيما يوحون به في عالم متباين ، لأن الخلود يدعو الحرية .

وإنهم ليتساءلون اليوم عما ستغدو عليه أوروبا في الانتصار الأرضي المقبل .. هل ستضحي عقولهم اوفر عبئا ، واشدّ وضوحاً وجلاء ؟

---

(١٧) Angoisse احساس ماوراني يتولّد حسب الفلسفة المعاصرة وبخاصة الفلسفة الوجودية من التفكير في الوجود والعدم .

(١٨) Conformesme نزعة للتقيّد بالأعراف المقررة

وتمسي قلوبهم أنمى عفة وامانة ؟

الا إن أوروبا لتتمادى في طلب المغفرة

وعلى اية حال فإن الأمر – في الغالب – منوط بنسياننا لغتنا الميتة، وكتاباتنا البالية .

ولئن كانت الدادائية [١٩] ضرباً من الحشرجة ، فإن التكعيبية[٢٠] والمستقبلية[٢١] والسريالية [٢٢]أشبه باحساسات داخلية هاجسة .

وليس الفن التجريديّ اليوم بأكثر من تحدّ.

وان عبقريته المريحة جداً والوشيكة لن تحرك الشعور البتة ، إلا كما يحرك ضياء القمر الرومانسي المنعكس ، صفحة مستنقعات الأحلام القديمة .

ولقد عبرّت الدادائية والتكعيبية والمستقبلية والسريالية والفن التجريدي عن هذا العصر ، وبجتمعه الفاسد .

الا أننا سنرى خيراً مما رأينا .

سنرى أن قصائد أكثر بساطة ، واشدّ تمهلاً ، وأوفر خفاءً ستولد .. كما تولدالآلات ،

لأن الآلات بدورها قصائد

فإذا ماغذّت اسرارها منابع الفن ، فإن العين ، والمرأة ، والزهرة ، والسماء ، والطفل ، والفن ، والسعادة ، والشقاء ، ستبدّل وجوهها ، وستبدع ثانية روائع .. ناهيك عن أن السحر الذي نستحم فيه لاحدود له ..

*

---

(١٩) مذهب في الفن والأدب انتشر في سويسرا وفرنسا حوالى ١٩١٦ – ١٩٢٠ وتميّز بالتأكيد على حرية الشكل تخلصاً من القيود التقليدية .

(٢٠) انظر هامش(٢) – (٢١) انظر هامش (١) – (٢٢) حركة ادبية وفنية هدفها التعبير عن الفكر الصافي مستبعدة كل ما هم اخلاقي او جمالي .

بيـــان

في الفضاء المغلوب ١٩٥٨

ليست انتصاراتنا اليوم إلاّ معارك حدود كذلك .. لذا ينبغـي لنـا أن نعمل فكرنا في الفتوحات الممكنة !

ولكم يبدو أن الفضاء يعرض نفسه علينا ، لذا فلتكن لدينا (بقية روح) ولاسيما أن ثمة مصائر تترقبنا تدعو الى المزيد من الاهتمام .

لم يكن الشعراء على خطأ حين وعوا – قبل العالم أجمع – أن الالات تفضي بنا الى مغامرة هائلة .. وكان على (مارينتي marinetti) شاعر المستقبلية أن تعروه رعدة في قبره ، إبان شرع في دورانه اول قمر اصطناعي ، واننا لنعلم اية نهاية صُنِعت له بيد أن القضية ليست ثمة ، فما ينبغي لنا أن نعلمه أن سر العالم يمتد حيالنا ، فهل ترانا نمسي جديرين بما تقدمه لنا العبقرية الانسانية ؟

الا إن عقلنا ، وفننا ، وعلمنا لآرضية متحدرة من ارضنا وضيائنا .. وان شعراً حديثاً قادراً على أن يثير هذياننا حتى الشذوذ .. ولن يخالجنا شك في أن مابُدعه الإنسان ، يعيد ابداعه ثانية .

أترى يولد اليوم الانسان الصالح ؟ او الطالح ؟ او الخيِّر ؟

لذا ينبغي لكم أن تستعيدوا قلب الشاعر الممَّزق .

فيا معشر الناس إني لآهواكم .. وأرهب جانبكم .

وكيف دار الأمر فإن أولى خطا الطفل تبدأ في هذا الفضاء المبهم الذي يحفّ بنا .

لذا لاينبغي لنا أن تنسى صيحات الآرض .

كما ينبغي لنا أن نرهف اسماعنا الى النصائح السامية التي اطلقها الألمان !.

ألا إني محضتكم حبي يامعشر الناس فكونوا يقظين .. ففي البلبلة التي ستهيج الروح الانسانية في صراعها مع جنونها الكوني سيدافع الشاعر عن الحرية .. عن عزلة الفرد المقدسة ..

ولكي نقول كل شيء : سيدافع عن أسرار الفضاء العميقة

عن حساب العلماء ..

وينبغي لنا أن نضيف : سيدافع عن حدس الشعراء .

واننا سنربح الوقت .

ترى ، اي فن مجهول ، واية اغنية غريبة ، سينجمان عن جرآتنا الجديدة ؟

في ميسورنا أن نعمل الفكر في أن التغلب على الفضاء سيحي اليوم حناناً وسيبعث حباً عظيماً للأرض القديمة ، لأنها ينبوع جميع حقائقنا .

ومادام الإنسان يرتاد المطلق ، فلن يلاقي في نهاية رحلاته الطويلة، الممعنة في البعد ، سوى لغز وجهه الخاص ..

*

بيـــــان في البنْيَـــــة

او شعر = إسمنت ١٩٩٥

إن للشعر الف شكل !

وإن اولئك الذين ينظمون اشعاراً ليسوا وحدهم الذين اصطفتهم الآلهة !

فلقد ارتضى الناس كل شيء ، وان حظهم من الشعر .. ان حظهم منه أوفر أوأقل اهمية من معجزة يومية .

وعلى هذا النحو تراهم يعانون جميعاً ، ـ من اشدهم غلظة الى أوفرهم رقة ورهافة ـ فرحاً فائقاً في الابداع والخلق .. في (صنع) .. في الحلم بشيء حسب امكاناتهم .

وبديهي أن ضرباً من حب يصحب عدداً من اعمالهم ..

فليجيلوا البصر في حقولهم .. وليصنعوا أداتهم .. وليشيدوا صروحاً حيال السماوات ..

وليلهوا في الرمال .. أو فلتنبجس صور ثمينة من شق اقلامهم..

وانهم ليبدعون وأن تفريغاً عاطفياً[٢٣] من سعادة قادر على التأثير فيهم ..وان في ميسور الصاعقة الشعرية أن تضربهم .

الا إن الانسان مافتيء يهوى بيته ومدينته ، ومابرحت الحيرة تساوره من ان وجهيهما كانا وجهه نفسه .. وان آلاته اليوم لأشد

(٢٣) DECHARGE AFFECTEVE

هياماً واقوى نفوذا من الالهة القدامى .. وان الدهشة لتجاذبنا ان نحن جعلناها تهزج بالغناء ، وهي تقسرنا على التأمل في مصيرنا ..

ولو أننا احسنا الحكم لأعدنا القول :((إن القاطرة تتبع انظمة تحصي البارتنون parthenon وذلك لايماننا بانها جيدة وسليمه ومسلية ، ولو أنها زعزعت الروح المخدرة – أو ببساطة – زعزعت الارواح الرجعية .

الا إنهم لن يعوها البتة كما وعاها (فيكتور بورجوا victor bovrgeoi) فهتف قائلا:

((لكي نصنع نتاجاً ذي قيمة ، ينبغي لنا – في هذا اليوم – أن ننسى ، كيما نولد ثانية !)) .

الا إن اي عصر لن يورثنا اعمالاً بطولية ، او أفكاراً مابرحت من مكتسبات الانسانية ، بل يورثنا صروحا ، وتماثيل وقصائد ذات مادة صلبة ، فيها من نحو آخر كل شيء يسهل علينا تلاوته كالعلم والفلسفة.

ولئن أبصرت اجيالنا ولادة مفاهيم معماريّة جديدة ، فلأن مدينتنا اتت من اعماق العصور ، وعليها أن تذعن اليوم لمقتضيات حضارة اصيلة تنجم عنها آلات .. وان هذه الارادة من القدْرة – على الرغم من القلق النفسي [٢٤] الذي يرهقنا احيانا – تدعونا الى الايمان بالمستقبل والفرح بالحياة .

فياله من شعر!.

إنه بنية ادبية ، جلية ، هادئة ، منسّقة ، منغّمة ممتدة كلها نحو الاتقان ، مضيفة جدّتها إلى دقّة الحساب .. ولكم من اشكال طارئة ستنمو حولنا !

---

(٢٤) inquietude (في علم النفس) عدم الرضا بالوضع الراهن ، والاضطراب العقلي او العاطفي .

لقد عقلن المهندسون الغربيون افكـارهم في ضـرب مـن البيانـات اسمـوه (ميثاق اثينا) وقد ارادوه كما كتب (جان جيرودو Jean giraudovx) ميثاقاً للعـالم في منابعـه وأشـكاله الحديثـة ، ملتمسـين فيـه للنـاس كافـة الشمس والخضرة والفضاء ..

وانه لميثاق يهدف الى بيت خال من العيوب .. إنه قصيدة دائمة، اوفر شمولية من العالم ..

اياً كان الأمر فإن الكثـيرين لايعـدون الشـعر مـن هـذا العـالم ، ولاجناح عليهم إن رأوا ما يتحول بعبقريتنا المبدعة .. بيد انهم لوخالوه ممتزجاً بطبيعتنا ، وان مـامن انسـان يقـوى علـى جعلـه غريبـاً ، عندئـذ تكتمل وحدة الشعر والحيـاة الشـاملة مـن اشـجار وازهـار ، وأعـين ، وآلات واحلام وبيوت ، وفجر ، وتوهجـات صناعيـة ، يحتويهـا كلهـا مدّ الغنائية نفسه ..

هذا ماكنا المعنا اليه ذات يوم :

إن شعراً يساوي اسمنتاً .. وان العار كامن في قدرتنا على الحيلولة دون الشعراء ودون تغنيهم بالعالم الذي يحيون فيه .. ومارمينا الى إثـارة استنكار ، بل رمينا الى ايجاز قضية ترتبط بالوجود كلـه .. كمـا هدفنـا الى توثيق الشـعر ودعمـه بالمغـامرة الأرضيـة ، ونشـدان اعـادة الاحـترام للمهندسين لما يؤدونه من آثار خارقة تسوّغ الثورة التي تصنع فنون هـذا العصر .

—— * ——

بيـــان في التأمّـــل

إننا لـن نفـرغ البتـة مـن الـدوران في موروثـات متراكمـة .. وان الانسان الذي احسّ اليوم ، قد تعذّر عليه تحديـده بـدوره .. وان الآتـي من اتقان جديد قد تحرّر ، او يوشك أن يتحرّر من ماض يلحّ عليه ..

لذا ينبغي لنا – ونحن على شـفا زمـن مجهـول – أن نأسـف علـى البساطات المؤثرة والفوضى المثيرة للاعجاب ، والاحلام المجانية .. وماذا اكثر من المنطق ؟.

الا إننا قد فرغنا من القول إن نقائص سابقة لأوانها لن تترصدنا ، بيد أن ضرباً من الوجود ، والحياة ، والتعليل ليتدخل اليوم .

لقد تحدّث (انبيـاء) عـن ردّة ممكنـة .. عـن طهـارة مولـودة .. معذبة . عذرية .. عن عودة الى ..

سنرى :

أترانا سنعي حقّ الوعي أن ليس في هذه العودة ايـة حقيقـة تـؤول الى الماضي ، ومن الجائز أن لاتغيرّ خارق يقودنا ؟..

لقد جال في خاطر كثيرين أنهم يرهفون اسماعهم الى شكاة العديد من الباحثين ، في عصر من التاريخ ، يهـب الضـلال فيتيـح عمـلاً تحـت العيون ، وفي القلب والروح .. وان العالم الحديـث واحصـاءات تفضـي بنا الى ظاهرات لاتقهر !.

أتراه نظاما في خاتمة المطاف ؟.

أتراه نظاماً من وراء الأرض ليس محدّداً ؟

نظاماً انسانياً جوهرياً ؟

الا إن الانسان وعنفه الجديد ليمهدان !

وان غنائية خارقة تتجاوز المادة ، ولاتكاد - رغم ذلك - تولد في صورتها !

وان مشاهد سامية تتهيأ!

وإن تفسيرات مسكّرةأشبه بحقائق تضطرب !

وإن المدن والآلات تجدنا بسطاء ، صبية ، جاهزين !

وإن شيئاً مايتغلغل فينا فيوثقنا الواحد بالآخر ويوهن من فلسفتنا، ويوقظنا من الف عام من السهاد ، ويلقينا نحو المستقبل .

وإن غرائز الخطر الاولية الفنية - وهي أشبه بارتكاسات - تعيد اليها الحياة احاسيس مخدرة ، لتتكفئ في النهاية راجعة الى الفضاء والزمن ، في ثقافة لامعقولة .. ثقافة خرافية عاطفية لاتفي بالغرض ، توشك أن تتوارى ، ولايحل شيء محلها إلا اذا اصطفينا بدورنا هذا الفراغ الذي يدعنا - في الاقل - احراراً ، نشيد فيه فناً ومجتمعاً وفق مستوانا ..

ومن البديهي جداً أن الشعر قد وسّع الحدود ، فأمسينا خلالها ملزمين بالعيش .. ولعلنا - دونما رأفة او رحمة - ندرس ونصنف .. وأن الكثير من الاسرار ، ومن أرض وماء سيتبقى دوماً لنا كيمانتنامى فيه - وان فقدت الأمل - تهوّراتنا ، ومحركاتنا ، ونتوء الحياة المذهل .. وأن العالم سيغدو دوماً فتياً .. وأن مئة ثورة ستتلو ثورتنا !

الا إن في ميسورنا أن نتأمّل مرهفين اسماعنا الى مرور هذه الآلات اللامرئية التي تلوب باحثة عن نيران ليلية، وقد تبدّت مزدرية كل ما لايذعن لحسابها الطموح .

الا إن في مقدورنا أن نتأمل !

مادامت المصانع ستنتهي ، فتضطـر - هـي بدورهـا - إلى ابـداع قصيدتها!

وإن يوماً يجيء ستعاود حبها العالم الحي ! ..

___ * ___

بيـــان في الشعر الذي يكتشف العالم كل يوم

في ميسورنا أن نطرح سؤالاً :

((ترى .. ماذا يتبقى لنا إن نحن رفضنا الخرافات والاساطير))؟.

ليس ثمة أدنى حقيقة من أن الانسان المتحـرِّر علـى هـذا النحـو ، يلقى حوله عالماً نقياً تابعاً لـه بغرابـة ، اذ لاجـدوى مـن اعمـار الفضـاء بوجوه واشكال عبثية ، لأن كل قـارة ، وكـل شـارع ، وكـل جبـل ، وكل عين تعبِّر عن يقين الحياة المدهش ، وليست مهمـة الشـاعر كامنـة في تفسيرها ، بل في الكشف عنها ، وهذا مغاير اشد المغايرة!.

نحن نعلم أن العديد من الأنفس القوية تفضل عالمـاً يعنـو للأوهـام القديمة وأن شكاواها واغانيها ، وهمومها ، وآلامهـا ، أشـبه بصلـوات مهملة ، وذلك امر يثير شجناً مفجعاً ، قاتلاً ، عقيماً !

وعلى الرغم من ذلك فإنه يعزى الى مظهر صغير متميز ، معقّـد ، يعين حقاً على الحياة كثيراً او قليلاً .. وأن الزمن يسير بـدوره ، بيـد أن العالم الذي نكتشفه كل يوم ليس بذي حاجة الى الكثير مـن الحكمـة ، والكثير من التحفظ والحيطة كيما يفصح عن نفسه!

لذا أمسى لزاماً على الشـاعر أن يجـأر بـالصراخ بمـا هـو كـائن ، وعليه أن يعتزله بصراحة ، لأن الشعر الجميل سريع التأثر.

هو ذا العالم ومدنه ، أتراها تكفي ؟

اما بالقيـاس اليـه فـإن اوكـاراً آليـة مؤثـرة تعـج فوقـه ببشـاعاتها ومآسيها وعبقريتها فتمحو دفئاً وقلقا خفياً !.

فيأيها الشعراء !

غلوّا ايديكم في قمم الجبال والسقوف ، وروزوا المدن والحروب .. واستبينوا مآثر الفولاذ الجديدة ، فأنتم اليوم احرار ، في بؤرة الامان الوحيدة نفسها التي ينبغي لها أن تفسح لكم في أن تعرفوا أن الشعر يحوّل كل شيء الى صور .. وكل شيء في سبيله ، طيف شمسي .. إنه شكل سام من السرعة ، لايفتأ يتغير فيقوِّم مظاهر الكون ، هذا الوهم السامي .. وان لكل حشرة ، وقارة ، وكوكب ، وضحك ، القيمة نفسها بالقياس اليه ..

وإن كل جسد يغرق فيه يعاني تأثيرات عذبة او مرعبة .. وعلى هذا النحو اشياء الارض ، وخيرنا الوحيد .. وعلى هذا النحو يكون بؤسها وغناها ..

آه ! إننا لنعلم أن على هذا الخير أن يضيف الينا المطلق والخلود ، والإثم الأفضل – كما يقولون – وان المطلق والخلود وذريّاتهما العديدة يخدموننا ، وان كل اشعاعهما الجنوني دليل على جهلنا ..

الا ليس كمثل الشعر !

فلكي يفلت من الفخاخ ينبغي له أن يجابه الحياة ويتحدّاها !

وحين نقول : ((إن الشعر اصطناعي)) فذلك يعني أنه مامن مأساةولاسر انسانيّ ليس مبعداً .. على العكس ، فقد يحدث أن نكشف عنهما بأصوات أخر ! ووجوه سامية ، كان فيها ـ للشاعر فحسب ـ الحدس حتى يومنا هذا !

الا إن الحقيقة بسيطة ، بيد أن ثمة شيئاً من جدارة يمسي الاوّل فيما تفضى به ، رغم ذلك !..

*

بيان في الحرب والسلام

او قَدَر الشعر

الا فلتتخلوا عن كل حجّة باردة .. وكل عاطفة مزيّفة!

فأنتم اليوم في عالم لايبرح جديداً!..

يفرغ الشاعر فيه شباكه ، ومامن احترام انساني ، ولاعرف اجتماعي يجولان دون بوحه برسالته المقدّسة !..

وإنه لبوح – آنئذ – يثير الدهش ، على نحو يجوز الناس بنفثات يعجزعنها الوصف .. ومن العبث التذكر أن كل ذلك لن يظلّ مريحاً وملائماً دوماً ، وانه يحقّق مطمئناً مانبتغيه وننشده .

ويبدو أن الشاعر يرفض الحياة التي تتوطّد في مهمة اذواق عاديه ، وترسّخ رغائب ايمان.. وانه ملزم بأن يبعد حضور الموت لئلا يتملق انسانا !

ورغم ذلك فهو ضرب من ضياء اسود على الشاعر أن يلتقيه كل مّرة وسط أبهى مناظره!

الا يعني ذلك أن لاشيء يمضي بعيداً .. وأن ((من يفكر بدناءة)) - كما يقول (فلوبير) – يحيدفيدرك أسوأ اعداء الشاعر .. رفضه نفسه ..

اولئك الذين يستغلون بمباهج سفلية ومباهج ، معنى العجيب في البطولة ، والقنوط من كل شيء يمسي محمولاً في ذاته بغموض !.

الا إن الشاعر ليجأ ر بالصراخ بأنه وحيد .

بيد أنه لو اوشك أن يتوارى حتى اكثر الشعراء فقدان شعور ، وبرود عاطفة فإنهم يتأكدون من أن شيئاً مايعوزهم ، كضباب يرين على الجميع .. لماذا ؟ لأن من يدع يتخلّى عن لعبته الكبرى ، فيتقاعس الناس اجمعين ، داخلين في احتمالاته ، فيراهم كلهم دون أن يفقه شيئاً!.

فيا أيها الشعراء !

انتم إذن الغضب والفرح ، وان الف قوة شريرة تترصدكم اليوم !

انتم على اهبة هدم عالم شاء أن يصنع نفسه دونكم ، وإنه ليقاوم وعيونه المرعبة تلحق الضرر بكم .

الا إن الشعر خَطِر.

وإن عبقرية الانسان تدرككم أيها الشعراء !

فحذار ، حذار أن يداخلكم الخوف من هذا العْون ، فإن اصغر آلة ، والآلات شعر ، والدُور المتواضعة ، وبعض الشوارع المبلّطة ، ، والاطفال ، والاشجار ، ، والدروب ، والطرَف ، ويدكَ ، ونظرتكَ وهذا الصمت ، وهذا الدفء في اغوار نفوسنا ، لاتعدو كلّها مشاركة وجدانّية sympathie فائقةالحدّ ، لأن الشعر والفنون ـ كما يقول " رابندرانات طاغور " ـ : ((يصونون إيمان الانسان العميق في وحدة وجوده ، بكل ماهو موجود)) ! .

وأضيف : ((إن الشعر علم صحّة العالم))!

وقد كتب ((مارينتّي Marenette)) يقول :

((إن الحرب وحدها هي علم صحة العالم)) .

ولقد رأينا التعريف معلناً في شوارع (روما) بيد أن العالم اجمع حمله في روحه .. فلنأخذ إذَنْ خيرنا حيثما وجدناه ، لأن الحرب مافتئت اليوم ناشبة!

أترى قُتِلَ الشعر بالعسكريّن والرقيب ؟

الا إن الشعر باهظ الثمن !

إنه في الفساد المستشري ؟

في الهستريا الشاملة !

وإن قَدَره ليسمو إلى مصفق[٢٥] الروح .

فعلام يعسي الشاعر كاشف سِرّ العالم .. لايهاب إلاّ ذاته؟

إنه ليبدي رأيه .. وإن اغنيته هي وحدها التي ستحيا فوق الجرائم والدعايات والقوانين ، والامبراطوريّات لأنها حقيقية !..

الحق اقول : إن الشاعر يعلم مع (آلان[٢٦] alain) أن ((الحرب كلها انسان لايغفو البتة)) إنه يناضل ويتمزّق هو نفسه بقوّته الخاصّة .. فأنّى لشفقة الآخرين أن تناله ، إن لم يشْفِق هو على نفسه ؟

إنه ليتمسك بالمنافع المادية ، ويتشبَّث بالحقوق والعدالة ، بينا تمسي كل حرب هدماً ، وظلماً ، واهانة ، وجرْحاً ، وموتاً لكل ماصنعته!

يقول الطفل : إني جائع .. إني خائف

إنه الجوع والخوف من الأرض كلّها !

ومن عالم مقرور يعضي في عيونه المؤثّرة ، وهو يتألّم عبثاً !

وما الطبيعة قاطبة ألاّ حَدْس ضخم ، يزداد فيه جهلنا الإنسان!

وهاهو ذا الشعر يغتني بدوره!

*

(٢٥) السوق المالي (البورصة)

(٢٦) فيلسوف و كاتب فرنسي ١٨٦٨ - ١٩٥١

رسالة :

من الفيلسوف الألماني ((نيتشه))[1]

الى الكاتب العربي ((بِشر فارس))[2]

عزيزي بشر فارس!

غبّ ظهيرة صاخبة عاتية ، خفقت اجنحتها بلظى كأنه الاتون الملتهب .. وفي ظل بيت عتيق ضلّ عن البيوت .. أمسِك اليراع المطيع لأخط اليكَ – على غيرما اعتدتُ – بعض ما ألهمتنى ايّاه مجموعتكَ القصصية الفريدة (سوء تفاهم) .. فلقد أنسْتُ بها مرتضياً لمعاتها الفنية، معجباً بألوانها الفكرية ، واشراقاتها الذهنية التي تدل على قوة اداء في القصّ الجديد مابعده آداء .. وتنبيءٍ ببراعة تصوير سكبتها من كأسكَ المترعة بخمرة الفن .. وصغتها دميةً جلواء تحيِّر الطرْف،وتسلب اللب فيخفق لاشعاعها القلب السادر الذي غفا على صدر الحياة القلق !

(١) نيتشه (١٨٤٤ – ١٩٠٠) فيلسوف الماني اخذ بمذهب التطور قائلا إن الحياة ليست سوى تنازع بقاء ، وبقاء الاصلح .. وإن الانسان الأعلى (السوبرمان) هدف يجب الوصول اليه .. كان من مؤسسي العرقية الالمانية .. يتلخص مذهبه بمايدعى (ارادة القوة) .. من أشهر كتبه ((هكذا تكلم زرادشت))!.

(٢) بشر فارس (١٩٠٧– ١٩٦٣) شاعر وقاص وباحث ولد في (بحر صاف – لبنان) وتوفي في القاهرة .. هاجر الى مصر وعاش فيها .. تولى امانة سرّ المجمع العلمي المصري له مسرحية (مفرق الطريق) و (جبهة الغيب) وبحوث في التصاوير والزخارف العربية منها (الزخرفة الاسلامية).. (والمروحة) نال بها درجة الدكتوراه من (الصوربون) بعنوان ((العرض عند العرب)) ومجموعة قصصية بعنوان (سوء تفاهم) !..

أقول : صَدْر من حياة .. مستعيراً قولك في استهلالك بمجموعتك "القصّة عندي حنيَّة تنتزع من صدر الحياة لا قطعة من الحياة ، كما يرى القصّاصون غالبا .." !.. وهو استهلال - كما ارى - رائع مشرق - يستدعي الحذر ، ويثير الدهش ، ويبعث على التساؤل .

ترى . لمن نسلم هذه (الحنية) اذا ما انتزعناها ؟

ومن اولى برؤيتها والاستمتاع بها . ؟

وما الفائدة المرجوّة التي نتوخاها منها ؟.

وما الغاية التي نهدف الى بلوغها ؟

إن من يتلو مجموعتك يقف حائراً مشدوهاً .. كما يقف المتطلعون الضامئون الى اسرار الغيب .. فأنتَ لاتبتغي أن تسلم تلك (الحنية) الغالية الى كل قارئ (يتطفل) على قراءة قصصك .. بيد أنك تبحث عمن يستفزّه التفكير في امرها ، ويحركه تقليب اوجه الرأي في استكناه سرها ، كما أبحث انا عن الانسان المتفوق لأقلده زمام الامور، وأمنحه قيادة الحياة ليخلق ويبدع ويبعث .. وهذا لعمرك - مركب صعب ، وطريق وعرة شائكة ، ولاسيما أنك من أمة حياتها اليوم قلقة ، وآدابها وفنونها حائرة مبلبلة ، لما تهتد بعد الى منهج سوي .. وسماؤها اليوم مد لهمّة تعج بالغمام الذي يكاد يحجب عنها النور .. نور التفتح .. نور الانطلاق من اصفاد التخلف والجمود ..إنها - وحقك - تريد قاصاً يصوِّر آلامها .. يصور احاسيسها .. يصور طموحاتها يصور في النهاية هذا الاضطراب الذي يبدو على كل وجه .. وهذا القلق الذي يُغشِّي كل جسد ، ويرتسم على كل ملمح .. يصور هذا الكبت الذي يتململ في اغلاله كل فرْد من مواطنيك يودالانطلاق منه فلا يقوى على الافلات .

ماعليَّ ! فلأدعنَّ امّتكَ تعمه في جهالتها ، وتهوي في غيها ، ولأدعن كتابها وقصّاصيها في (معابد فنهم) يرتلون صلاتهم ، ويقرِّبون قرابينهم ، ويذهلون ضالّين مضلّين في (وجدهم) مبتهلين إلى آلهة (الفن للفن) عسى أن تعيد اليهم ماافتقدوه من مَرَح ولذة .. وتبعد عنهم هذا (الضجيج) الذي يتعالى في اجواء يحسّون انها غريبة

عنهم .. ناسين هذه الانات الحائرة التي تضطرب في كل صدر ، ويخفق بها كل قلب حيّ في وجودكم .. فترى ادباءكم وهـم عنهـا معرضـون لايتحسّسـون وجودهـا ولايدركـون أثرهـا وكـأنهم لم يتبينوهـا ، ولم يحيوها .. وتلـك - لعمر الحـقّ - خطيئـة يقترفهـا جـل ادبائكم .. لا أستثني منهم من كان في الشام او مصر،اولبنان او في غيرها من اقطاركم.

فمتى اليقظة ؟

وايّان الانبعاث ؟ ..

الم تمسسكم بنارهـا، هـذه الحـرب الفـروس الـتي يشـنها الغـرب عليكم لاستغلالكم ووأدوحدتكم ؟

ام أنها مابرحت بعيدة عن احاسيسكم ، نائية عن تجاربكم ؟

لأدع ثانية هذا القول الذي لم اجئ لأساجلكَ فيه ، وأكتب اليكَ عنه ، ملقياً على بساط البحث آراءلك تبنيتهـا مـن آرائـي زخـرت بهـا بمجموعتـك القصصيـة (سـوء تفـاهـم) .. وظهـرت واضحـة جليـة في قصتكَ (الرجل) . .

الم تقلْ علـى لسـان (إنسـانكَ المتفـوّق) الـذي رام التصعيـد في الجبل السحوق ليبلغ ما لم يبلغه احد غيره : ((الكون مبذول لنا فليسخر قيوده للعبيد ، لمن يطوّح النظر الى فوق ، وكفه مبسـوطة فـوق حاجبـه .. هذا الجبل يكسر طرفي ، وانا اريد ان احدق اليه واقول لـه : الآن لا أسارقكَ النظر ، ولاأخشى لمسك وخطفك ، لأن سِركَ انخطـف اليّ .. أنـت تطويـه في رأسـك ، وأنـا اختلسـه في عروقـي وابثـه انـا أفضلـك وأبهـركَ، لأنـكَ صـاحب السِرّ ، امّـا انـا فمختلسـه .. أنـتَ قبضـتَ المستحيل ، وهوّلتَ به علينا ، وانا اجعله برجولتي ممكناً)).

واني لأسألك : اوليس هذا القول قوْلي ؟.

اولم أنطق به (زارا) الحبيب في كتابي (هكذا تكلم زرادشت) ؟.

او لم أدعه يهتف قائلا لمن حوله من (صعاليك الحياة) : ((انكم تنظرون الى مافوقكم عندما تتشوّقون الى الاعتلاء ، اما انـا فقـد علـوت

حتى اصبحت اتطلع الى ماتحت اقدامي ، فهل فيكم من يمكنه أن يضحك ، وهو واقف على الذرى)) ؟.

ثم قولكَ : ((انا مصعِّد في الجبل حتى اغتصب عمري من براثن العدم فأعود سيد نفسي .. اذا ضايقتني ادّبتها .. سيد جسمي أفنيه متى أشاء .. سيد روحي اميلها مع هواي .. الروح التي جرتم في شأنها سأقبض على أطرافها ، واجعل لها من عظامي اطاراً يخنقها .. انا مصعد)).

الم يأت به قبلك (زارا) ذاته فيردِّد في ((الانتصار على الذات)) ((لقد وجب عليّ أن اكون انا الجهاد والمستقبل والهدف .. وان اكون - في الوقت نفسه - الحائل الذي يعترضني في انطلاقي الى هدفي ، لذلك لايعرف الانسان الطريق المتعرِّجة التي عليه أن يسلكها اذا هو لم يدرك حقيقة ارادتي)) .

ثم الم يتدفق بطلكَ بقوله : ((انا مصعد ، وسألقي اليكم كل يوم الحجر لأعلّمكم بأني سالم حتى ارجع فتلتفوا حولي ، وتسألوني أن أفتك بهذا الكسيح ، وبهذا المكفوف ، لأنهما طالبا مافاتهما خطره .. انا مصعد)).

وهو بدوره عين مافاه به (زارا) انساني المتفوِّق - وهو يخاطب جموعه المحتشدة المائجة حوله .. الذاهلة .. الحيرى .. قائلاً:

((سأكتشف مكانكم وانا اواجهكم بقهقهات تسقط عليكم من الذرى التي اتسنمها ، وها انذا امزق نسيجكم حتى اذا ماتملكم الغضب وخرجتم من مغاور اكاذيبكم تدفقت نفوسكم بكلمة العدل التي تتفوهون بها)) .

تلك خطرات عابرة لم أردبها إلاّ وجه الحقيقة السافر الذي اسعى لنيله ، وأرغب في امتلاكه .. ولم ابتغ إلاّ تذكيركم - انتم العرب - بأنكم على عتبة بعث جديد ، وتفتح وعي ، نلمسهما فيكم منذ امد قريب ، بعد أن سار اغلب كتّابكم وشعرائكم على تقليد الغرْب في

نثره وشعره دون أن تلتفتوا الى مايفيد نثركم ، وشعركم وإني - في خاتمة المطاف - أُزْجِ اليكم نصيحة ارجو أن تأخذوها مأخذ الجدّ وتضعوها نصب أعينكم هاتفاً بكم :

خذوا من شجيرات الغَرْب مايحلو لكم من غراسها التي تتقبلها تربتكم .. وحذار حذار أن تنقلوا الشجيرات التي تأباها تربتكم ، فإنها ماخلقت لها .. بل حاولوا (التلقيح) ما أمكنكم ، اذ به تحصلون على (صنف) من الثمار جديد قد يفوق (صنفنا) وقد يسمو عليه .. ومن ثم دعوا المستشرقين والمؤرخين الغربيين وشأنهم ، فانهم ماكتبوا ويكتبون لخيركم .. وماأبدعوا ويبدعون إلاّ من تأثير تراثكم عليهم ، وخشيتهم من احيائكم إياه دعماً لنهضتكم .. وحسبهم أنهم سطوا على مخطوطاتكم الثمينة ، وسعواجهدهم الى سلبها منكم ، وراحوا يخفونها عنكم او يفسّرونها حسب اهوائهم ،لابوحي من ضمائرهم وهي ميتة ، بل بوحي من مقاصدهم وغاياتهم .. فهم الذين شوّهوا فكركم بما افتروه عليكم .. وهم الذين مسخوا تاريخكم وتراثكم ، و لم يعترفوا لكم بنتاج فكريّ عميق ، ولابرأي طريف صائب .. وانهم اذ يعنون بتراثكم وادبكم القديم انما يخدمون مصالحهم ، سياسية كانت او دينية او فكرية .. منكرين عليكم أنكم حملتم طوال عصور مشعل الفكر ايام كانت أوروبا غارقة في خضم الجهل - على حدّ قول الشاعر البلجيكي ((موريس كاريم)) - متناسين قول المؤرخ ((ول ديورانت)) في دائرة معارفه ((قصة الحضارة)):

((إن الآريين لم يشيدوا صرح الحضارة ، بل اخذوها عن بابل ومصر .. وإن اليونان لم ينشئوا الحضارة إنشاءً ، لأن ماورثوه منها اكثر مما ابتدعوه ، وكانوا الوارث المدلّل المتلاف لذخيرة من الفن والعلم مضى عليها ثلاثة آلاف سنة ، وجاءت الى مدائنهم مع مغانم التجارة والحرب)) .

كما اني ناصحكم بأن تدعوا مقولة (الفن للفن) .. دعوها للغرب يله بها .. ومن حقه أن يلهو وقد بلغ من الحضارة والرقي ما لم

تبلغوهما انتم بعد .. وعليكم أن تأخذوا بفكـرة (الفـن للحيـاة) فهـي أجدر بكم ، وأجدى لكم .. ولاسيما أن مجتمعكم مابرح يشكو اليـوم من الوهن في تقدّمه ، والضعف في رقيّه .. ومافتئ يقاسي عناء التخلّف والانحطاط !..

علام لاتنتهجـون نهـج الادبـاء الـروس في القـرن التاسـع عشـر ، الذين صوّروا مجتمعهم اصدق تصوير وأبرعه ؟ ..

او لم تقرأ قول ((دستيوفسكي)) : ((إن منظر أمّ حزينة ترتـدي السواد والى جانبها طفلها يوحي اليّ كتابة قصة)) .

اولا يوحي اليكم منظر زوجة شهيد من شهدائكم وهم كثر والى جانبها اطفالها اليتامى كتابة قصة ؟

الم تصادفوا فقيراً معْدَماً هدَّه الجـوع ؟ او مواطنـاً مـن مواطنيكـم كبَّله الجهل ؟

الم تلفوا في بيئاتكم من مشـاكل الحيـاة المسـتعصية ، ومـن الـوان القهر مايحملكم على تصويرها والابانة عنها ؟

الم يهجس في نفوسكم – كأدباء – شيء مما تعانيه حياتكم يثير حماستكم ويدفعكم الى معالجته ؟ قيل إن (كورني) الشـاعر الفرنسـي كان يصف الناس كما ينبغي أن يكونوا ..وإن (راسين) خدينـه كـان يصفهم كما هم .. فهل اتبـع كـاتب عربـي منكـم ، اوشـاعر او قـاص نهج احدهما ؟ .

الحق اقول : إنكم لاتبرحون بعيدين أشدّ البعـد عـن مجتمعكـم .. ومافتئت كتبكم ودواوينكم وقصصكـم تذهـب هبـاءً دون أن تـترك في مجتمعكم اي تأثير او دوي !.. او ليس ذلك مما يعاب ؟

او لا يدعنا – نحن الغربيين – أن ننظر اليكم والى نتاجكم بمنظـار العجب والدهش ؟..

هذا ماعنّ لي كتابته اليك ، لأنكَ - عندي - أقرب الأدباء الى فهم رسالة الأدب التي هي رسالة الحياة .. ولأنك بالتالي أبعد قادة الفكر العرب عن معالجة مالافائدة تجنى منه ولاخير !..

تقبــــل تمنيــــات

المخلص

فريديريك نيتشــــه

الدكتور بديع حقي

شاعراً ومترجماً !

أخي بديع !

أتذكر الرسالة التي أزجيتها اليك منذ مايقرب من اربعين عاماً ، غبّ صدور ديوانك ((سحر)) عام ١٩٥٣ بعد ان اجتليتُ فيه سريرة نفسك ، ووعيتُ صدق تجربتكَ الشعرية ، واستوعبتُ ماضمّت دفتا الديوان من قصائد رائعة ، استثارت نفسي رؤاها ، وهشّت روحي لآنغامها ، فخففتُ لتوّي متهلل الاسارير ، اكاشفكَ نشوان بردّ الفعل الذي اثارته فيَّ ، واعلن لك مبتهجاً عن دهشي ، لما فتحت من عوالم جماليّة لاعهد لنا بها ، بخاصة قصائدك ((أرق)) و ((خريف غادة بولونيا)) و ((ليالي فيينا)) و ((ليالي بغداد)) التي استندت فيها على تفعيلة واحدة علي وزن ((فعولن)) من البحر ((المتقارب)) متجنبا شروطه ، معرضا عن ترديد تفعيلاته السبع الأخر .. أحسّ أدباؤنا آنذاك بحاجة شعرنا الماسة الى هذا المذهب الجديد الذي مهّدت له طريقه ((نحو تقنيات واشكال جديدة)) فحقّقت بإبداعك لهذا المذهب قدره ، ووجهت مساره نحو الحداثة ، محرّراً اياه من اسار محاكاة شعرنا القديم واجتراره ، مبتغيا من وراء ذلك ـ قبل سواك من روّاد شعرنا الحديث – اعطاء صورة حية في تغيير شكله ومضمونه تغييرا جذريا ، وتوجيه انماطه توجيهاً صحيحاً خلتها – بصادق حدسك – قمينة بالخروج به من ربقة التقليد المهيمنة عليه ، جديرة بربطها بعجلة الحداثة

، التي رأيتها - بثقافتك الاجنبية المتعـدّدة الجوانب ، واطلاعك الدؤوب على روائع الشعر العالمي ضرورة ملحة ، تعكس ما طرأ على حياتنا من تطور ملموس ، وتلبي حاجته لمارافقه من تجدد ونهوض في شتى المجالات الفكرية والاجتماعية .. وهو ماهاب بك الى توجيهه الوجهة التي وجه بها الشاعر ((بودلير)) الشعر الفرنسي في الطريق الصحيحة التي سار عليها الشعراء الفرنسيون ، كما حفزك إلى خلق هذا المذهب ، واستحداث خصائص تميزه عن خصائصه السابقة التى درج شعراؤنا على الاخذ بها ، وتدفع به الى تجاوز تلك الخصائص ، استجابة لحركة التجديد الدائبة في شعر الغرب ، واستقطاباً لما حفل به هذا الشعر من رؤى واخيلة ، بحيث تفضي بشعرنا الى فتح آفاق عصرية ، كما أفضوا بشعرهم ، وابتداع اشكال جديدة تضيفها مطمئين الى آفاق شعرنا التقليدي تتسم بطابع العصر الذي نحياه ، وتفصح عن ابداع شعرائنا المعاصرين الفني ، وتنبئ عن اصالتهم وامكاناتهم ، ومايحملون من خبرات تفرضها ثقافتهم التي اكتسبوها ، وتؤكدها تجاربهم التى عانوها ويحققها طموحهم نحو تحديث شعرهم ، الذي لابد وان يغدو هدفهم الذي يصبون الى بلوغه ويمسي غايتهم التي ينشدونها تحققا لشخصيّتهم وامتزاجاً بعصرهم الذي ينزع الى التجديد ، وترسماً لبواعثه التي لابد لهم من فهمها والالمام بها ، كيما يكتسبوا ابتداع مالم يسبقوا اليه ، حيث قلت في رسالتي :

((تسابيحك الخافتة ، خفوت الهمسة الحائرة التي رتلتها في صلاتك المجهولة من محراب وحيك الفرد ، ورجّعها ديوانك الانيق ((سحر)) أذكرتني ببهجتها وجرسها الحنون ، لحن الشوق الذي غناه ((صولون)) المشترع عندما سئل عن اغاني ((سافو)) الشاعرة :((افرض انك تموت الآن ياصولون ، فما ذا كنت تشتهي قبل موتك ؟ فقال: اغنية من ((سافو)) أردِّدها ثم أموت)):

وبثك الحلو الذي انساب رهواً جميلاً رائعاً ، مع كل بيت من ابيات ديوانك ، حملني على ان اردد فيه قول جارية ((المهدي)) وقد

أعجبها صوته وهزتها ترانيمه :((يالسحر غنائك يامولاي .. هذا وا لله هو الغناء)) ..

اي وا لله انه غناء أرسلته من ارغنّك الساحر ، وبيانك الفاتن ، واسلوبك الشائق الذي يفتن ويغري ، وكأن من يتلو اغانيك ، يتلو نشيداً ساحراً من اناشيد سليمان او يصيخ الى سمفونية رائعة من سمفونيات بتهوفن .. بلى : اقولها قولة حق وصدق تخلو من عبث المجاملة ، وتندّعن علائق الصداقة التي تعبق في اجوائنا .. ولا اخال الذين سيتلون اناشيدك بالروح التي تلوتها بها ، الا ويشاركونني اعجابي ، ويبادلونني دهشي !..

لقد غنّيت في قصائدك فأبدعت في الغناء ، ووصفت في الحانك فحلقت في الوصف ورسمت ريشتك السمحة ، التي غمستها بمداد قلبك الطهور ، فأضفت على الوانك وتهاويلك فنا رائعاً ، جميلاً ممتعاً ، اذكرني بقول ((مكسيم غورٰكي)) ان قوة الفن قد تفوق في التأثير قوة الواقع .. وكان هذا فنك الأنيق ، الذي تبلور في كل رائعة من روائعك وتجلّى في كل بيت من ابيات قصائدك الدافئة .. ولعل التأثير الذي يغلب قارئك والتأثر الذي يستحوذ عليه ، يؤكدان انك كنت صادقاً مع ذاتك ، مخلصاً لوحيك اميناً على تسجيل واقعك .. وليس بدعاً نحوك هذا المنحى الفريد في شعرك ، وهذا السمو البديع في خيالك ، واهدائك الينا هذا الشعر العالي ، الذي شئت ان تعبّر به عن ذاتك ..

والشعر العالي – كما قيل – يعبّر دائماً عن ذات الفنان ، مهما اتخذ من الخارج من موضوعات للعمل الفني والصور وطرائق الاداء ... والحق انك نجحت ايما نجاح في أن تهزقارئك ، وأن تبهجه وتسحره ، لابفخامة موسيقاك ، بل برقتها .. هذه الرقة التي تناهت حتى كادت تذوب .. ولعل مردّ هذا كله ، عائد الى عواطفك المتماسكة ، والى رؤيتك الشعرية الصادقة التي تفردت بها وحدك دون سائر الشعراء الرمزيين ، الذين نهجت نهجهم اوسرت واياهم في السبيل اللاحب

الذي اختطوه في شعرهم .. وما أحببتُ هذا اللون قط مثل حبي لأدائك فيه ولقد كانت ((رمزيّتك)) واضحة مفهومة ، بعيدة عن الغموض والابهام وهذا ماجعلها محبّبة مقبولة ، وليت الاخرين نهجوا في اشعارهم نهجك ، واقتفوا خطاك وأدركوا ان القصد من الرمز- كما يقول ((العلايلي – تبسيط الاشياء المعقّدة ، لاتعقيد الاشياء المبسّطة .. اذن لزال هذا العداء المستحكم بين ((الرمزية)) واغلب القارئين في شرقنا العربي ، ولامحى من الوجود هذا الحيف المرير الذي يلاقيه مضطراً كارهاً ، هذا المذهب الادبي الانيق !.. لقد اثبت في اشعارك ان ((الرمزية)) التي عرفت بها ليست في الغموض ولافي الابهام ولا في الاغراق الغريب في الخيال ، ولافي هذا الاغراب العجيب في الاسلوب بل في هذه الصور الفنية المتابعة ، والالوان السحرية المتعاقبة ، التي كيّفتها عواطفك ومشاعرك ، فأضفيت عليها ظلالاً من الموسيقا الناعمة الحنون التي هي نفحة قدسية من نفحاتك .. واني اذ ابشر بفلاحك في ديوانك ((سحر)) أقف هنيهة مع مقدّمتك العميقة التي حلّيته بها ، فكانت كالعقد النضيد على جيد الحسناء ، لأتلو معك رأيك الحصيف في مهمة الشاعر الملهم الذي هو أنت وارهف سمعي الى قولك العذب الذي يؤكد أن ((ليست مهمة الشاعرأن يريق النور على فكرته ولكن ان يحياها)) .. وددت لو انقل الى كل قارئ ذوّاقة مترف الحس ، مرهف الشعور الترانيم الساحرة التي اودعتها قصائدك التي حفل بها ديوانك ، وفاض بها وحيك ، وزخر بألوانها العطرة خيالك ، ولكني ادع هذه الالحان للقارئ تصل اليه لتصبّ في اذنيه انغامها ، وتسلمه كما أسلمتني الى اجواء نقيّة نديّة عطرة فيها من افانين الجدة والجمال مافي الزهرة من نقاء وندى وعطر)) تلك يا أخي بديع ، نبذ من رسالتي اليك ، جسّدت فيها رأيي في ديوانك ((سحر)) بعد ان ألفيت في قصائده لونا من التعبير الفني نفتقر اليه ، وتفهما لمذهب الحداثة الجديد بكل مايحمل من خصائص ومميزات تستدعي منا دعم حركة تطور شعرنا شكلاً ومضموناً .

مترجماً

===================

اما مايتصل بترجماتك روائع الأدب العالمي الممثلة في ((روائع طاغور في الشعر والمسرح)) و ((المعطف)) و ((اللوحة)) وهما روايتان للكاتب الروسي ((غوغول)) و ((لاتزال الشمس تشرق)) رواية الكاتب الاميركي ((همنغواي)) و((قصائد مناضلة)) للشاعر الغيني ((احمدسيكوتوري)) فقد حالفك التوفيق في ترجمتها ، مؤديا معانيها في جلاء ووضوح ، متوخياً الامانة في النقل مستعيناً بمعايشتك وحرصك الشديد على مشاركتهم رؤاهم ، والاندماج في ارواحهم ونقلها الينا في اسلوب صاف مشرق تحرّك فيه اوتار قلوب قارئيك وتشدّهم اليك .. فنراك في ((روائع طاغور)) مثلاً وكأنك قد عرفت الشاعر عن كثب ، فمثل في وهمك انه ماثل حيالك مثوله في ذهن الكاتب الفرنسي ((رومان رولان)) حين التقاه فعبّر عن هذا اللقاء بقوله :

"حين تقترب من (طاغور) يناسم نفسك شعور أنك في معبد " ولعل ماناسم نفس (رولان) من شعور ، هو عينه الذي ناسم نفسك، وانت تلج معبده فتنقل الينا روائعه وكأنك ((تنغم اناشيده خاشعاً متبتلاً)) وذلك دليل اكيد على تآلف قلبيكما ومشاركتك احاسيسه التي خامرت نفسك كمترجم كيما تجاريه في احاسيسه التي خامرته كشاعر ، لذا فإن الرؤى التي اشرقت في ذهنك فاستأنست بها ، واستلهمت روحها ، فسجلتها في لغتك النَضِرة التي لاتبرح تستخلصها لاسلوبك الطريف الذي لايجارى في قوته ومتانته ، مستهدفا خلب افئدة قرائك ، ناشداً ايقاظ نفوسهم ولعل هذه العلاقة الجمالية الصميمية المتبادلة ، هي التي جمعت بين (طاغور) في لغته وبين ترجمتك

آثاره الى لغتك التي يستشفها قارئك من خلال النشوة التي تتملّكه عند تلاوتها !.

امّا ترجمتك رواية ((المعطف)) لغوغول فقد سحرت بها قراءك - وانا واحد منهم - على نحوٍ جعلهم يزدادون ايماناً بعلو كعبكَ فيها ، ويشغفون حباً ، وان شعوراً يجاذبني بأنها - لشدة غناها ، وروعة اسلوبك في ادائها - قد أثّرت في جل روائيينا ، ان لم اقل كلهم فخرجوا منها خروج الروائيين الروس ، متمثلين مقولة ((دستيوفسكي)): ((لقد خرجنا كلنا من معطف غوغول)) ومبعث ذلك - كما يخيل اليّ - الى شدة غناها وحيويتها والى تعبيرها الصادق عن تجربة انسانية فذة ، استطاع ((غوغول)) - من خلالها - ان يقسر قارئه بالاحساس بحياة بطله البائسة ، احساسهم بجمالية عمله فيها كفنان وربطها اوثق رباط بهذه الحياة ((وهذا الارتباط الوثيق للعلاقة بين الحياة والفن هو مايجب الاّ ننساه ابداً عند الكلام عن عمل الزواية)) .. وهو ماهتديت اليه بتوفيقك في ترجمتها ، اذ أضفيت عليها - بتمكنك من لغتك ، وقدرتك على التعبير بها - جمالا وسحراً اثارا اهتمام القارئ ، بعالمها الجمالي الذي يسمو بعاطفته ، ويغذي وجدانه!..

تلك - ياأخي بديع - انطباعاتي عن ديوانك ((سحر)) واستمتاعي به ، وعن بعض ترجماتك ومهارتك في نقلها بأسلوبك المميَّز ابديها صادقا لامجاملاً ، واثقاً بأنك - منذ عرفتك قبل خمسين عاماً - وعايشت أدبك واستهوتني روعة اسلوبك ، لاتني تحيا هذا الأدب ، وتحتفظ ببهاء هذا الاسلوب مبتغياً ايصال تأثيره الى قارئك ، رامياً الى ملء وجدانه ، وبلورة عواطفه ، واغناء تجاربه ، بكل ما أوتيت من جهد وطاقة !..

___ * ___

فن الترجمة عند
الدكتور ابراهيم الكيلاني !

لو تأملنا ملياً مقولة ((الجاحظ)) القائلة :((لابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة ، في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول اليها)) لرأينا ايّ ميزان دقيق لاغنية عنه ، يلجأ اليه المترجم الناجح ، كيما نجد في مايترجمه الخصائص المميّزة الكامنة لافي النص الذي ينقل عنه ، بل في النهج الصحيح السليم الذي يدلّنا على احساسه الصادق ، ووعيه الكامل بعمله الذي ينهد له لأنه بعد نفاذه في روح الأثر المترجم ، وفهمه شخصية مؤلفه ، يقدّر قيمة هذا العمل ، بعد أن انعقدت بينهما المودّة فيوطّن نفسه على اعطائه لقارئه ليزيد فيه الاحساس بجماله في ثوبه الجديد .. وهو بهذا الصنيع يثبت لنا مؤكداً لاشخصيّة المؤلف الذي نقل عنه ، بل شخصيّته كذلك فنزداد فيهما رغبة ، لأنه بصنيعه هذا قد حقق وجودين ، وحمل ثقل لغتين ، ليولد مسرتنا ونحن مستغرقون مستمتعون في تلاوة الأثر ، ويوطد اهتمامنا ، وقد استلذذنا الحلاوة التي ذقناها من تلاوتنا!..

ثمة سؤال يتبادر الى الذهن :

كيف تتأتّى للمترجم الناجح هذه المميزة فيستأثر بحسنها ؟

وكيف حصلنا – نحن قراؤه – على الغاية المرجوة من ترجمته ؟ ثمة اجابة دلّ عليها المعنيون بالترجمة أشاروابآراء سنحت لهم لايجد

المترجم عنها معدلاً ، نوجزها بعد ليحيط بها علماً كل من يتصدّى للترجمة ، ويستفرغ فيها جهده ، فلا يدرك قارئه الندم إن ساء ظنّه به :

١- " فهم النّص وفهم الموضوع واستيعابهما بله تمثّلهما إن جاز التعبير .

٢- وضع اللفظة العربيّة المقابلة للفظ الأجنبي والدقّة في اختيارها .

٣- إدراك المعنى المقصود حتى لا توضع كلمة في غير موضعها ، أو غير ذات دلالة تامّة على المعنى المراد .

٤- الايجاز البليغ الأداء في ترجمة الألفاظ .

٥- ثقافة المترجم اللغويّة وحصيلته الخاصة من الألفاظ والمفردات في اللغتين .

٦- الذوق في اختيار اللفظة .

٧- خفّة اللفظة المترجمة على اللسان .

٨- الأسلوب وطريقة الأداء والتعبير وذوق اللغة المنقول إليها .. لأن لكل لغة خصائصها في التعبير .. والمترجم الناجح يستطيع بما لديه من فرص البيان والمجاز والاستعارة أن يصل إلى قريب مما وصل إليه المترجم عنه "...

تلك هي الشروط التي تهدّى اليها المعنيون بالترجمة ، مانحسبها تحتاج الى بسط وبيان ، حضرتنا الساعة ونحن بسبيل القول في ترجمات الدكتور ابراهيم الكيلاني ، وهي فريدة في نوعها أنفق عمره دائبا فيها، فدلّت على توفيقه وتمتعه بموهبة المترجم ، وإيمانه بخطورة دوره فيها ، بخاصة في مايتصل بدراسة تراثنا .. ولكي يظهر هذا الدور على اكمل وجه وأتمه نراه يبذل جهداً مرموقاً في اظهار معرفته الواسعة بأدبنا القديم من شعر وأخبار وسواها ، ونقلها نقلاً اميناً عن مصادرها الأصلية ، كيما يرجع اليها القارئ أنى شاء فيدرك منها حاجته ، ويوليها اهتمامه وحين نستعرض الكتب القيّمة التي ترجمها ، وتعد مصادر هامّة للباحثين في تراثنا ، تأسرنا جودة صياغتها ، وتبهرنا بقوّة أدائها ، وسحر بلاغتها ، فهو يختار لكل جملة مترجمة اللفظ الملائم لها الذي هو أخص بها واكشف عنها فتكون الجملة ، وهي على درجة من

الوضوح والدقة ، ومتانة السبك وجزالته ومهارة تقنيته ، واضحة الدلالة على صحة وعيه النص ، وذكاء فهمه له ، ودقة معرفته كنهه ، وبراعة كشفه عن سرّه ، وبالتالي فرض حضوره كمترجم يعي رسالته ... وهنا لانجد بداً من ان ندلّ على بعض من آثاره المترجمة ، ونشير الى ماحفلت به من افكار فريدة تهم الباحثين والقراء معاً ، مكتفين بموجزعنها ، مسعفين القارئ بحاجته مما اجتلينا فيها !..

١- تاريخ الادب العربي - ثلاثة اجزاء - صدر عام ١٩٧٣ - تأليف المستعرب الفرنسي د . ر . بلاشير .. حاول فيه مؤلفه - كما يشير المترجم الربط بين تطور المجتمعات والوقائع الادبية .. مغايراً عما سبقه من تواريخ الادب بامور منها ..

آ- العناية باشعاعات المراكز العقلية والتيارات الفكرية في العالم العربي .

ب - اكتشاف انواع من ((الزمر العقلية)) المكونة من عباقرة الأدب العربي الذين اثروا في بيئاتهم وتأثرّوا بها فأصبحوا بذلك امثلة تحتذى لمن عاصرهم وجاء بعدهم ، بما اوجدوا من مذاهب او نماذج ادبية جديدة .

ت - إبعاد كثير من الآثار الفلسفية والتاريخية واللغوية والفقهية وغيرها ، ممايدخل في نطاق الأدب الصرف ، والاقتصار على الاثار التي ألّفت لغاية فنيّة والتي تثير عند القارئ مايسميه ((فاليري)) ((بالحال الشعرية)) .

٢- ابو الطيب المتنبي للمستعرب د . ر . بلاشير كذلك درس فيه مؤلفه دراسة موضوعية معمقة شاعر العرب الاكبر ابا الطيب المتنبي ((وهي اولى الدراسات القيمة الاساسية التي ألفها اجنبي أحب لغة العرب وتذوق أدبهم ، والتي أفاد منها اكثر من واحد من المؤلفين العرب المعاصرين .. فلهذا البحث مزايا منها :

- تقيُّد المؤلف بالمنهج التاريخي الدقيق ، وانطلاقه من مبدأ وجوب توافق تسلسل الاحداث التاريخية مع سيرة الشاعر وتفاعلها الحتميّ للوصول الى الحقيقة .

- طرح قضايا عدّة ذات علاقة بالجوانب الغامضة في اصل المتنبيّ وحياته ، وسلوكه وعقيدته ومحاولة جلائها والوصول الى نتائج حاسمة .

- موقف المؤلف المتشدّد من الاساليب الدراسية والتأليفية التي اتبعها المؤلفون العرب في الكتابة عن شاعرهم العظيم .

- مواقف نقدية للمؤلف تجاه سلوك المتنبي وشعره وتناقضاته ، متبعاً بذلك منهج النقد الموضوعي والادب المقارن)) .

٣- الجاحظ - في البصرة وبغداد وسامراء - تأليف المستعرب الفرنسي الدكتور شارل بلاّ .

((وقد اشتملت هذه الدراسة الموضوعية عن الوسط البصري ، على كل ماله علاقة بمدينة البصرة منذ القرن الاول الهجريّ حتى زمان الجاحظ من الناحية الاجتماعية والادبية والفكرية والاقتصادية مع الحرص على اظهار التفاعلات التي عملت على بناء شخصيّة الجاحظ وذهنيّته الجبارة))..

٤- الغزل عند العرب - في جزئين - تأليف المستعرب الفرنسي ج . ك . فاديه تحدّث مؤلفه - في جزئه الاول - عن الروح العذرية في الشعر والعصر الجاهلي حتى القرن الثالث الهجري ، موردا اهم شعراء الغزل كعمر بن ابي ربيعة ممثلاً الروح العذرية في الوسط الاجتماعي للحجاز وبشار بن برد والعذرية في الشعر العراقي في زمنه .

وتناول في جزئه الثاني : شاعر العذرية العباس بن الأحنف ، دارساً حياته وشعره وعصره ، مشيراً الى اصالته في قصائده الطويلة والقصيرة ، وبراعته في النوعين كليهما وصلاتهما بالعذرية ، مصوراً العذرية خارج نطاق الشعر من القرن الثالث الى القرن الخامس الهجري - من التاسع الى الحادي عشر الميلادي - مستشهداً بابن داوود الاصبهاني وابن يحيى الوشاء (٣٢٥هـ) .. تلك هي الخطوط العريضة لبعض ترجمات الدكتور الكيلاني التي تعد ميزاناً دقيقاً بالغ الدقة لامانة الترجمة وفنيتها على حد سواء ((لم يخرم مما ترجم حرفاً من

اللفظ ، ولا لمحة من المعنى)) لاعتماده على الفهم السليم والاحساس المرهف ، والذوق الحسن ، وتمثله روح المؤلف الذي يترجم اثره بعد ان تشبّع بها واستوعبها ، بحيث غدا الأثر قطعة فنية تلآئم تلك الروح ولاتناكرها ، وتعرب عنها ولاتطمس معالمها ..

ولئن امتاز بألفاظ ملائمة أشدّ الملاءمة في ترجمته ، لقد امتاز كذلك بالفاظ لاقبل لنابها بثّها في ترجماته تنسب اليه وحده ، يجدر بالمترجمين الأخذ بها والاعتماد عليها ، نورد ههنا بعضاً منها :

التنافح : osmose((تبادل يحصل بين سوائل مختلفة الكثافة ، مفصولة بعضها عن بعض بغشاء عضوي حتى يتجانس تركيبها)) .

الدُرْجة : mode

اطروفة : concetti

عقيديّة:dogmatisme (الانطلاق من رأي او وجهة نظر وكأنها عقيدة).

تثاقف : accvltvration

الأمثلة : idealisation

شيات : respectabilite

القياسات الاناسية : anthropometriqve

التأسّل : atavisme (عودة الى صفات الاسلاف التي عنها أخذت الانسال السابقة) ...

وبعد ..

فان من نافلة القول التنويه بجودة الترجمات التي وافانابها الدكتور الكيلاني والاشادة بأمانتها ليقيننا بأنها تعدّ نماذج للتفوق في الترجمة والحذق فيها ، بما اسبغ عليها من ثقافته وفهمه وذوقه ، حتى كادت تبلغ ذروة الكمال .

وعلى هذا النحو فهي رافد ثّر يسهم ايمّا اسهام في تكوين نهضتنا الفكريّة والأدبية ودعمها !..

ثمة سؤال اخير يتصل بهذه الترجمات الامينة القدوة لامندوحة لنا عن طرحه :

اتراها مذهباً جديدا في الترجمة جاء به الدكتور الكيلاني كرد فعل للترجمات الرديئة المشوّهة التي تزخر بها مكتباتنا وافانا بها مترجمون طفيليون زائفون ليس لهم موهبة المترجم ولاذوقه وثقافته ، بله ليس لديهم المام كاف بقواعد الترجمة وفنها ، وهما شرطان مهمان كافيان لابداع المترجم المثقف الكفء الجدير بحمل هذه الرسالة التي نحن بأشد الحاجة اليها ولاسيما ان الترجمة شأنها شان الملكات الادبية التي تتوافر للشاعر والكاتب على حد سواء كيما يستحقا ان نصف عملهما بالاصالة فنقول هذا شاعر اصيل وذاك كاتب مبدع ، وبالتالي فان المترجم الحاذق الذي وهب ملكة الترجمة يحق لنا ان ننعته بالاصالة ، وانه مبدع بدوره ...

الحق ان الدكتور ابراهيم الكيلاني بترجماته لامهات الكتب الفرنسية التي تتحدث عن تراثنا وفكرنا وتاريخنا الادبي ، وفي سواها مما يرفد ثقافتنا ويدعم نهضتنا ، قد أدى عملاً متميزاً في سبيل دفع حركة الترجمة في وطننا العربي الى الامام ولست مغاليا . اذا قلت ان هذا العمل المتميز قد جعل منه قدوة ومثلا يحتذى لكل من يتصدى للترجمة اياً كان نوعها ، لأنه اتانا بالنافع الممتع معاً .. اتانا بالفن الذي يضيف جديداً الى ترجماتنا .. اعنى طريقته الصحيحة في التعبير ومنهجه السليم في اجادة النقل باستقصائه اللغة المناسبة والصيغ الملائمة التي تتكيّف وفق مقتضيات النص الذي ينقل عنه .. اعنى فهمه له ، واحساسه به ودقته في ادائه ، وذوقه ، واجادته لغته واللغة التي ينقل عنها ، وتلك مميزة لايؤتاها الا الموهوبون الذين انفردوا بصحة الفطرة ، واستأثروا بصواب الفكر ، وتجمّلوا بذكاء الفهم !..

جولة في ديوان ((من الاعماق)) !.

ثمة سؤال يطرح نفسه :

من اين تجيء المتعة الجمالية التي تحدثها قصيدة شائقة ؟

أمن موهبة الشاعر ؟ ام من صدق تجربته الشعورية ؟

ام من نزعته الانسانية .. ؟

الجواب الذي يتبادر الى الذهن للتوّ واللحظة .. انها تجيء من هذه العوامل كلّها . ومبعث ذلك ان الموهبة - كما يصفها الدارسون - لاتعدو ((مقدرة في الانتاج الفني تتأتى عن مهارة او قريحة في صاحبها مساعدة على التألق والتفوق على اقرانه)) .. وان التجربة الشعورية ((مجموع الاحساسات والمشاعر والافكار التي تتراكم في نفس الفنان او الشاعر او الاديب ، وتكون محصلاً لاحتكاكه بمجتمعه وطرائق اتصاله به والتفاعل بينهما .. وهذه التجربة تكون عنصرا اساسيا في شخصيته الفنية التي تبرز في آثاره))!.

وان نزعته الانسانية هي الحال ((التي يرجع اليها الانسان في رأيه وأمره وتدبيره)) وهي بالتالي الهمة التي تعتريه للسموّ بهمته !..

هذه العوامل - في رأينا - تمهد لها ايحاءات تنبيء متذوقي الشعر بأنهم حيال شاعر موهوب لايملك صدق التعبير عن مزاجه وتجاربه ورؤاه باعتبارها مرآة بجلوة لحياته ومجتمعه فحسب ، بل يملك التعبير عن امزجة وتجارب ورؤى متذوقي شعره وحياتهم ومجتمعهم كذلك فتراهم يتفاعلون معها اشدّ التفاعل ، ويهتمون بها غاية الاهتمام ..

مـأخوذين بتصويـره احاسيسـه الـتي لاتعدواحاسيسـهم هـم .. معجبـين بطابعه الجمالي الـذي هـو طـابعهم المنعكس عليهـم الكاشـف لهـم عـن ظاهرة في وجودهم كانت من قبل خافية عليهم ..

من هذا المنطلـق ، نخـال ان الشـاعر (عبـد العزيـز عـزاوي) قـد اكتسب في ديوانه (من الاعماق) هذه الخصـائص المميزة .. فكـان ذا موهبة ساعدته في التعبير عن خوالجه ، وذا تجربة شعورية صادقة اهلته للاحتكـاك بمجتمعـه والتفـاعل معـه ، مما جعلـه يحـدث في قارئـه هـذه السورة المستملحة التي يطرب ايما طرب لنشوتها .. ويثير ذلك الانفعال الذي ترتاح اليه نفسه .. ويعكس تلك الايحـاءات الحيـة المتحركـة الـتي كشـف فيهـا عـن واقـع امتـه المرير ، الـذي حـزت في نفسـه مرارتـه فأرمضت جوانبه وعن حياتها المضطربة التي يكذب فؤاده مما يراه فيهـا من اعوجاج مسته هنه - كشاعر - بأساء وضراء ضاق بهما ذرعاً ا..

ولعل مما يسترعي النظر ، ويثير الدهش حقا ان الديوان خلا خلواً ملحوظا من التغزل بالمرأة والتغني بها ، مغايرا مـادرج عليـه الشـعراء في دواوينهم ، مترنمين بسـحرها .. قـاصراً شعره فحسـب علـى الاشـادة بأمجاد امته ، والافصاح عن موقفـه حيـال قضاياهـا المصيريـة .. مصـوّراً اروع تصوير وابدعه مأساتها مهيبا بها الى وعي ذاتها .. واصفاً وصفـاً بارعاً الظروف المؤسية التي تتناهبها ولا تجد لها حلاً مرضياً .

وهذا الجانب الانتقادي الذي ركز عليـه جـلّ قصـائده ، لايعـدو جانباً قومياً واخلاقياً ، يمثل موقفه العاطفي من تلك الظروف ، ويجسّـد حبه النقي لأمته ، ويبلور علاقته الوشيجة بها ، بكل ماتثيره هذه العلاقة من رؤى واخيلة ، ليست وليدة قلق ميتافيزيقي استحكم به ، بل نتيجـة عاطفة غامرة استحوذت عليه ، لاتفتأ تتجلى وتتجـدد فتذكـره بواجبـه القومي الذي يستمدّ منه العون على اداء رسالته كشاعر ا..

لنستمع اليه في قصيدته (جلاء ووحدة) التي أنشدها في احتفـال جرى في احـدى الثكنـات بدير الزور عـام ١٩٦٠ حيث يقـول وقـد تملكته نشوة غامرة :

ثرنا لتحرير البلاد مِن العدى

ونعدّ دربَ النصر بالريحانِ

سِرنا الى ساح الوغى نبني الحيا

ة عزيزة بمصارع الشجعانِ

لم نرهب الغدرّ الذي جاءت به

حملات امّ البغي والخذلانِ

كنا كألسنة اللهيب ضوارياً

بدأت سطور المجد في نيسانِ

كنا كعاصفة تهبّ شديدةً

تلهو بنار او كثيف دخانِ

كنا كحدّ السيف في غسق الدجى

ولنا الغد المرجوّ في الاكوانِ

ويردف قائلاً :

لكِ أمتي دمي الأصيل ومهجتي

والخافق المعمور بالايمانِ

فالوحدة الكبرى اساس كفاحنا

عبر العصور ودائر الازمانِ

وغني عن البيان أن شاعرنا (العزاوي) في دعوته الى الوحدة الكبرى - التي إعتبرها - هدف كفاحنا - انما قصد تحريك عاطفتنا القومية ، واضعاً نصب عينيه المثل العليا ذات القيمة النضالية التي تمثلت لافي كفاحنا من اجل تحقيق وحدتنا فحسب ، بل القيمة الخلقية التي عاشتها امتنا ، وجسّدها - عبر الزمن - ابطالنا الميامين الذين عرفوا

بانسانيتهم ، فاسترعوا بها انظار العالم مما دفع (غوستاف لوبون) الى القول : (ماعرف التاريخ فاتحاً ارحم من العرب) .. ونراه في قصيدته (حجارة الغضب) يعبر عن انطباعه حيال اطفالنا الذين لايبرحون صامدين ، يقارعون العدوّ الغاصب بالحجارة وقد تحكم فيهم دافع وطني صادر عن أفعال شعورية نابعة من ارادة واعية ، دالة على نزعة تحررية اصيلة ذات اهمية قصوى بالقياس الى الحقبة الراهنة التي تمر بهافلسطيننا السلبية .. موضحاً مايعتمل في نفسه من زهو بنضالهم المستميت ومايجيش بها من فخار بتحديهم العدو .. وسقوط اغلبهم صرعى نتيجة حمقه ورعونته وصلفِهِ .. مثبتين انهم بتضحيتهم بأرواحهم ، وبذلهم انفسهم رخيصة في سبيل ذودهم عن ارضهم وكرامتهم .. انما يعطون المثل الحي في تخليهم عن (اناهم ego)

للسمو بوطنيتهم الى الاعلى .. متطلعين الى غد مشرق جديد ، يعكس ايمانهم الصادق بصنع هذا الغد ، الذي تتجدد به طاقتهم ، وتسمو هممهم ، ويعمق وجدانهم القومي !..

ولايساورنا شك في ان هذه القصيدة الغراء - بأسلوبها التعبيري الموحي ترصد حدثاً هاماً ، وتصورّ عالماً بهيجاً يحفل بمعطيات حية تتجلى فيها روحنا الثورية ممثلة في اطفال الحجارة البواسل الذين امسوا اليوم النموذج الثوريّ لكل من تفتحّ قلبه ، وأحسّ بوجوده ، وافعم وجدانه بحب وطنه وارضه ، فمضى يناضل من اجل حياة حرّة كريمة..

يستهل الشاعر قصيدته بوصف روح النضال البطولية التي سبق ان عاشها من تقدّم اطفالنا من ابطال كانت حميا الثورة على الغاصبين تعصف في نفوسهم الحرة الابية ، وتدوي في قلوبهم الطافحة بحب وطنهم وارضهم حيث يقول :

هذي حجارتنا المقلاع يحملها الـ
ايمان يقذفها في غمرة الصخبِ
قد عاد فارسها (القسّام) ممتشقاً
حسام ثورته يزدان باللهب

شبابنا نذروا للنصر انفسهم

وللشهادة بخساً كل مكتسبِ

بالانتفاضة ابطال ضياغمة

أحجارهم كبرت عن صيحة الغضبِ

يقاتلون عدوّ الله في شمم

يلاحقكم والعزم لم يخبِ

فلا رصاصكم يثني عزائمهم

ولاقنابلكم اقسى من النوبِ

ياثورة الحجر اللهبى جوانبه

ياثائرين صموداً في ذرى النقبِ

*

ويختم الشاعر قصيدته معجباً بأطفالنـا الاشـاوس .. مؤمنـاً بـأنهم مابتغوا في موقفهم البطولي الذي وقفوه الا الغضب لكرامتهـم ، وقـذف الرعب في قلبِ عدوهم صارخين به صراخـاً روّعـه واقـضّ مضجعـه .. هاتفين به هتافاً مدوياً (لقد علمتني ذاتي عزة جديدة اعلمهـا النـاس .. علمتني الاّ اخفي رأسي بعد اليـوم في رمـال الاشـياء ،بـل أرفعهـا رأسـاً عزيزة تبتدع معنى الارض) .. علمتني انه مادامت الارض موجودة فلن أيأس او اقنط ..

لله درّهم رمز انتفاضتنا

ابطالنا حَجَرٌ في حلق مستلبِ

سيطردون عدوّ الحق عن وطن

ثواره شهب ترقى الى شهبِ

ينقذون ثرى اوطانهم بدمٍ

الذ من عسل ابهى من الذهبِ

ويخفق العَلَمُ الحرّ الذي بذلت

من اجله مهج من مارج اللهب

*

وثمة قصيدة ثانية في (اطفال الحجارة) لاتقل عن اختها روعة وجمالا اسماها الشاعر (جيل الغضب) عبّر فيها عن رأيه فيهم ، وبلور نظرته اليهم يغاير فيها رأى القائلين بأنهم (اطفال) .نافياً عنهم هذه الصفة ، مؤكداً انهم ليسوا اطفالاً بل هم أبطال بكل ماتحمل البطولة من معنى .. انهم ـ في رأيه ـ يمثلون روح البطولة .. احبوا الموت لتوهب لهم الحياة .. مثبتين لعدوهم انهم (ولدوا للغضب) ..للغضب فحسب .. وانهم عشقوا ارضهم وهاموا بترابها ، فثاروا في سبيل الحفاظ عليه ..

وكيف دار الامر ، فإن هذه النظرة الشمولية لاتفقد صحتها في ضوء تحدي اطفالنا عدونا الغاصب ، بل تؤكدها باعتبار ان تحديهم ـ كما يبدو للعيان ـ سيظل فريداً من نوعه في تاريخ كفاح الامم والشعوب كافة .. تقف امتنا وحدها ممثلة في اطفالنا ، في حقبة تاريخية معينة .. وفي هذه الحال يغدو موقفهم ضرباً من الكفاح اوصلهم الى إخلاص بطولي .. وهذا الاخلاص هو نفسه الذي بوأهم ليمسوا ابطالا..

فلنستمع اليه يقول منشداً مفاخراً :

العاشقون الأرض الخير طاهرة

تلقاهم بحنان العاشق الدار

الثائرون لتحرير الحمى وهنا

لك في حميا اللظى يلقاك مثآر

الصارخون بوجه الظلم صرختهم

مازال يحفزهم للنصر تيّار

الرافضون وجود الغاصبين قذى

على ثرى وطن يحميه ابرار

الحاملون وفي يسراهم كفن

وفي اليمين مقاليع واحجار

السائرون الى ساح الوغى دوىًما

خوف اذا انتفضت للنصر ثوّار

ثم يختم قصيدته مباهياً .

الطامحون لاحدى الحسنيين هم

ابناؤنا فلذ الاكباد والثار

الناقمون وفي ايديهم حجر

هو السلاح من الانقاض هدّار

جيل تفجر يسمو للعلا شمماً

يحمي قضيّته والسيف بتّار

*

بهذا الوصف الرائع الذي لاينسحب على القصائد الغر التي اخترتها آنفاً لافصح بها عن موقف الشاعر حيال قضايانا المصيرية فحسب ، بل ينسحب على مجمل قصائده التي ضمها ديوانه .. بدءا من قصيدته (توبة) وانتهاءً بقصيدته (نشيد العَلَم) وقد أتت كلها تعبيراً عن إيمانه الصادق بأمته ، وتوقاً الى غرس البغض في صدور بنيها امعاناً في كره الطامعين بها ، وحفزاً للهمم المتجلية في محاربة عدوها ،

وشحذاً للعزائم المتقّدة في جوانحهم ، ذوداً عـن قيمهـا الاصيلـة وصيانـة لمثلهـا العليـا الـتي عاشـوها فكـانت بحـق مشـعلاً وضـاءً يهتـدون بنـوره ويسيرون مزهوين مستنيرين بهديه ..

ولا أراني مغالياً إن انا قرنت شاعرنا (عبـد العزيـز عـزاوي) في ديوانه (من الاعماق) بصناجة قوميتنـا الفحـل(الشـاعر القـروي) في ديوانه (الاعاصير) الذي وصفته في كتابي (مع الفجر العربي) قائلا:

(انه هو وحده الذي ادى وظيفته على خير مـايكون الاداء وقـام بمهامه بما لايدع زيادة لمستزيد .. فهو منـذ ان احـس بوجـوده كشـاعر ملهم – ربط مصيره بمصير امته التي احبته وادرك التبعات الجسام الملقـاة على عاتقه حيالها .. فراح يسـتوعب عواطفهـا ، ويبلـور في ذاتـه الحيـة الخصبة اهدافها ويستلهم مثلها ، ويتفاعل مع آمالهـا وطموحهـا تفـاعلاً ايجابياً عميقاً ، غنّاه بشعره احلى مايكون الغناء ، وترجمـه بنظيمـه اوقـع ماتكون الترجمة .. ومن المدهش حقا ان لوعة هذا الشاعر الفذ على امته مـاتلطفت قـط ولاونـت بـل ازدادت استعاراًواضطراماً ، كلمـا تـألبت عليها قوى الطغيان،اوحزّبتها النكبات،اوحاقت بها المصائب،او دهمتها عناصر الشر..فكان يبحث جاهداً عن مقوّمات تحرّر امته العربية)..

على هـذا النحـو سـار(عبـد العزيـز عـزاوي) في ديوانـه (مـن الاعمـاق) فكـان بحق صنـو (الشـاعِر القـروي) وقرينـه في ديوانـه (الاعاصير) .. يبث الوعي القومي في نفوسنا ، ويستنهض هممنـا في مقارعة اعداء امتنا ، ويدعونا مخلصاً لمجابهة الخطوب التي لاتـني تلـم بنـا وتتـألب علينـا .. مبدعـا روحـاً جديـدة هـي روح الإبـاء والكفـاح .. ناهضاً لتقوية ثورة الغضب في صدورنا دفاعاً عن كرامتنـا ، وذوداً عـن حمى وطننا .. لأنه واثق اشد الثقة ببواعث تلك الحميـا الـتي تعتلـج بـين جوانحنا .. وهذه البواعث لاتعـدو – بالقيـاس اليـه – نقطـة تحـوُّل ، أو قواعد نبني عليها ثورتنا النضالية ونشيد عليها صرح وحدتنا المرتقبة .

ولايسـعني – في خاتمـة المطـاف – الا أن اشـيد بقصيـدة عصمـاه ضمها الديوان اسماها (النهـر الازلي) جـاءت درة في عقـده الفريـد ..

احسن فيها الشاعر برهافة حسه ، ونفاذ بصيرته وعمق رؤيته ، وصف (فراتنا) وصفاً دقيقا وتصويره اياه تصويرا بديعاً ، يستحق عليها جزيل المدح ووافر الثناء لصدقه في صياغتها ، وتوجّعه على المصير البائس الذي انتهى اليه هذا النهر الخالد ، الذي كان بالامس البعيد او القريب زاخراً هدارا تغنى بهديره وجيشان غواربه شاعرنا القديم (النابغة الذبياني) حيث يقول :

وما الفرات اذا جاشت غواربه

ترمي اواذيه العبرين بالزبد

وهانحن اليوم نرى تلك الغوارب المدارة ، والاواذي الجيّاشة وقد آلت الى خفوت .. ولم نعد نسمع فيها الا الانين الخافت .. ولم تعد تتأدّى الينا الا الشكوى المضمّة المقرونة بالحزن والاسى ..

فلنرهف سمعنا الى هذه الشكاة المريرة التي يرسلها الشاعر في غمرة اساه ووقدة حزنه :

تسير في مهل والماء مكتئب

والحزن باد على عبريك والنصبُ

يانهر قد زدتني حزنا على الهي

مرورك اليوم في مجراك مضطرب

اراك تجري ثقيلا واهناً وجلاً

وقدعرفتك هدّاراً به غضبُ

ويضيف :

يانهر يا أعرق الانهار قاطبة

الخصب والقحط في واديك تحترب

ماكنتُ احسب يوما أننا سنرا

لـَ والدموع بها الاجفان تضطرب

ويختمها قائلاً :

فالقاع موحلة والسطح موحشة

والناس يائسة والارض ترتقب

*

وبعد .. حسب الشاعر (عبد العزيز عزاوي) انـه متَـحَ قصـائده الغُرّ التي التمسناها في ديوانه من اعماقه .. متحهـا مـن سـويداء قلبـه .. من حرارة عاطفته .. من رؤياه ورؤيته كشـاعر قومـي يحسّ احساساً عميقاً ، ويعاني معاناة صادقة الظروف القاسية الـتي تمـرّ بهـا .. حـاملاً بيده الشعلة المنيرة التي تنير لها الدرب نحو مستقبل أفضل !..

وهذه الظاهرة المتميّزة الـتي تبـدّت في شـعره لم تجـيء عبثـاً ، بـل جاءت نتيجة تجربة حيّة عاشها الشاعر بشفافية عاطفته ، وعمق وجدانه القومي ، ورسّخها وفاؤه لأمته ، وجسّدها شعوره بمسؤوليّته حيالهـا .. مبدعاً إياها في صور جمالية قومية موحية أخّاذة لا يقوى على تسـجيلها إلاّ شاعر متمكّن ومصوّر بارع ، اعاره الالهام شكواه وتغريده !..

—— * ——

معجم شوارد النحو

حين فرغتُ معجباً من مطالعة هذا المعجم الفريد ، الذي لايحتوى على ادوات من حروف واسماء على طريقة (مغني اللبيب) وغيره ، ولا على تعريفات مفهرسة لأبواب النحو مشفوعة بالأمثلة الدالة فحسب بل هو كل ذلك ، حيث اتى بفوائد جمة يصعب أن يقع عليها القارئ ، الا بعد صبر طويل ، وجهد متصل وبحث دائب في المراجع اللغوية - على حد قول مصنفه - الباحث اللغوي المتمكن (رفيق فاخوري ١٩١٢ - ١٩٨٥) الذي كانت العربية في شتى فنونها ومتباين الوانها هماً من همومه ، وهاجساً من هواجسه يلقن محاسنها تلامذته الكثر ، فيدلهم على صحيحها ، وينبههم على حقيقتها، ويثير نخوتهم للحفاظ على كنوزها المخبوءة حتى ليصدق فيه قول شاعرنا (المتنبي) .

انام ملء جفوني عن شواردها

ويسهر الخلقُ جرّاها ويختصم

فأضحى بهذا كله من اهل اللغة الافذاذ واساطينها الميامين العاملين فيها ، العارفين دخائلها واوضاع مفرداتها الساهرين المناضلين من اجل جلوها وفتح مغاليقها ، بعد ان لاع قلبه الهم على مصيرها وكربت نفسه رؤيتها وهي تأخذ اليوم مساراً غير مسارها الصحيح الذي درجت عليه فأكدت حضورها ، وأثبتت بجدارة انها بحق ام اللغات .

بيد انها – وياللحسرة – اهملت اهمـالاً شنيعاً من قبل الكثرة الكاثرة من الكاتبين الذين يأخذون عنها ، اذ نهجوابهـا نهجـاً مغـايراً يدلّ دلالة واضحـة على انهـم لايصرفـون عنـايتهم اليهـا ، ولايحسـون بالتبعة الملقاة على عـاتقهم ، ممـايتوجب عليهـم مـن التقيـد بقواعدهـا ، اماالجهلهم اوضاع مفرداتها ، اولفوات حظوظهم من الالمام بعلمها ..

ولايساورنا شك في ان هذه الظاهرة المقيتة هي التي دفعت بباحثنا اللغوي (رفيق فاخوري) الى تصنيف معجمه القيم ، كيمـا ينضو فيه النقاب عن شوارد النحـو الخافيـة علـى الكثيرين منـا ، واجـداً العـلاج الشافي، مانحاً الدواء الناجع للشفاء من عللنـا في جهـل لغتنـا ، وتجنيـبنا الجنوح الذي يضر بها ويودي بأصالتها منبهـاً ايـانا الى الانصـراف عـن هـذا التصـرف المقيـت في استعمال مفرداتهـا في غـير موضعهـا .. هـذا التصرف الذي يخرجنا عن المحفوظ والمنقول عنها ، وينأى بنا عن الالمـام بفنونها ، الماماً يعيد اليها اصالتها ، ويؤكد فرادتها ، وانها تصلـح لكـل عصر إن نحن عرفنا قيمتها ، وقدرناها قدرها على اكمل وجه واتمه ..

وها أنذا تحدوني الغيرة على لغتنا كما حدت غيرة مصنف المعجم أن اكاشف القراء في بعض ماورد في معجمه ، بحتزئا مايفيد مـن فـاتهم الحظ منهم الوقوف عليها ، والاخذ بها ، مؤمناً ايماناً صادقـاً بـان لغتنـا من أغنـى اللغـات واجملهـا واكثرهـا حساسية ، وان الواجـب يقتضينـا الحفاظ عليها بالسير على هديها ، واحسان استعمالها ، ابتغـاء اعادتهـا الى ماكانت عليه مـن سمـو بوأهـا مكانـة مرموقـة لم تبلغهـا سـواها مـن اللغات !..

ابـداً وقـطّ

(ابداً) ظرف زمان للمستقبل .. اما (قط) فهي ظـرف للمـاضي علـى سبيل الاسـتغراق .. واشـتقاقه مـن قططتـه اي قطعتـه ، فمعنـى (مافعلته قط) اي مافعلته فيما انقطع من عمري ويؤتى به بعـد النفـي او

الاستفهام ، للدلالة على نفي جميع اجزاء الماضي او الاستفهام عنها ..
ومن الخطأ ان يقال : (لا أفعله قطّ لأن الفعل هنا مستقبل و(قط)
ظرف للماضي !..

ايضاً

(ايضا) مفعول مطلق حذف عامله وجوبا سماعاً.. اوحال حذف عاملها وصاحبها .. وعن ابي هلال في (الفروق اللغوية) نصب (ايضا) على المصدرية ، وهو من المفاعيل المطلقة ، التي يجب حذف فعلها مثل سقياً ورعياً ، فالتقدير آض ايضا ، بمعنى رجع رجوعا .

الاّ اياك - الاّك

تقول جاء القوم الا اياك واياه واياي و لم يأت (اياك) و (الإكم) الاشاذاً..

بأن (في قولك : ذلك بأن ..)

قولهم (ذلك بأن) اي ذلك بسبب ان .. ومنه قوله تعالى : (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) اي ذلك سبب ان .. ,(ذلك) مبتدأ .. وقوله:(بأن الذين) .. خبرا..

بل حرف ابتداء

في قولك : (ما الإحسان منكوراً بل مشكور) يجب الرفع في كلمة مشكور ، وتعرب خبرا لمبتدأ محذوف اي بل هو مشكور .. ويتعين في هذه الحالة اعراب (بل) حرف ابتداء ولايصح اعرابها حرف عطف .. وإنما تكون (بل) حرف عطف بعد النفي وغيره نحو (ما أهنت نبيلاًبل حقيرا) .. في قوله تعالى (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء) . بل احياء اي (بل هم احياء) .. و(بل) هنا

ليست عاطفة ، لأن المعنى يختل اذ يصير التقدير لاتحسبنهم احياء .. قال بعضهم : عطفت جملة على جملة ، فصار في حكم الاستئناف !..

بل العاطفة

(بل) يعطف بها بشرطين : افراد معطوفها ، وان تسبق بايجاب اوامر او نفي او نهي ومعناها بعد الاولين سلب الحكم عما قبلها وجعله لمابعدها مثل : (قام زيد بل عمرو) و(ليقم زيد بل عمرو) وبعد الاخيرين تقرير حكم ماقبلها ، وجعل ضده لمابعدها ..

كما ان (لكن) كذلك كقولك : (ماكنت في منزل ربيع ، بل في ارض لايهتدى بها) و(لايقم زيدبل عمرو) .

بله

(بله) كلمة مبينة على الفتح ككيف ، ومعناها دع .. قال (كعب بن مالك) يصف السيوف:

تذر الجماجم ضاحياً هاماتها

بله الأكف كأنها لم تخلق

يقول : هي تقطع الهام فدع الأكف .. اي هي اجدر ان تقطع الأكف .. ومنه قولهم :

(هذا ما أظهره لك بله ماأضمره) اي دع ماأضمره فهو خير .. وفي المثل :

(تحرقك ان تراها بله ان تصلاها) .. يقول : تحرقك النار من بعيد فدع ان تدخلها ومن ذلك قول (المتنبي) :

اقلّ فعالي بله اكثره مجدٌ

وذا الجد فيه نلت ام لم انل جَدُّ

وقال (ابن الاثير) : بله من اسماء الافعال بمعنى دع واترك ، وقد توضع موضع المصدر وتضاف فتقول : بله زيد اي ترك زيد !..

بلى ونعم

بين بلى ونعم واجل فرق .. فبلى تختص بوقوعها بعد النفي فتجعله اثباتاً لقوله تعالى : (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ، قل بلى وربي لتبعثن) وقوله .

(الست بربكم قالوا بلى) ..

اما نعم واجل فإن الجواب بها يتبع ماقبلهما في اثباته ونفيه نحو قوله تعالى :

(فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا قالوا نعم) .

تارة

تارة اي مرة والجمع تارات او تير كعنب .. وربما قالوا : فعله تارة بعد تار بحذف التاء .. واما انتصابها فهو اما على الظرفيّة او على المصدرية على قياس ماقيل في مرة .. في قولك ضربت مرة !..

رغْم

يتصرفون في كلمة (رغم) تصرّفاً يخرجها عن المحفوظ والمنقول فيقولون : فعلته بالرغم منه ورغماً عنه ، وبالرغم عنه .. والمسموح في استعمالها عن العرب قولهم : فعلتُ ذلك على رغم أنفه وعلى رغمه ، وعلى الرغم منه ..!

طالما وقلّما

طال وقل ان وصلتا بـ (ما) وليهما الفعل ، كقولك :(طالما زرتك و(قلما هجرتك ف(ما) فيهما مصدرية والمصدر فاعل .. والتقدير (طالت زيارتي) و(قلّ هجري) .. وقيل :إن (ما) كافّة للفعل عن طلب الفاعل .. وعلى هذا تكون (طالما) كافة ومكفوفة ، ومثلها قلما وكثرما ..!

فقط

الفاء في (فقط) لتزيين اللفظ و(قط) اسم فعل بمعنى فحسب (فاء فحسب كفاء فقط عاطفة عند بعضهم او الفاء داخلة في جواب شرط محذوف و(قط) على هذ اسم فعل امر بمعنى (انته) وتقدير الكلام: (اذا عرفت ذلك فانته)... وفي (المطول) ان (قط) من اسماء الافعال بمعنى انته ، وكثيراً ماتصدر بالفاء تزييناً للفظ وكأنه جزاء شرط محذوف .. وفي كتاب (المسائل) لابن السيد : وانما صلحت الفاء في هذه لان معنى (اخذت درهما فقط) اخذت درهماً فاكتفيتُ به ، فجعل الفاء فيه عاطفة ..!

كافة

المشهور ان (كافة) لابد من تنكيره ونصبه على الحال قال (الفضل الغزي) في (شرح اللباب): ومن الاسماء مايلزم النصب على الحال استعمالاً نحو (طراً وكافة وقاطبة) واستهجنوا اضافة (كافة) و(قاطبة) في كلام الزمخشري والحريري !.. ونظير هذا الوهم قولهم (حضرت الكافة) فيوهمون فيه ايضاً على ماحكاه (ثعلب) فيما فسره

من معاني القرآن .. والصواب فيه ان يقال : (حضر الناس كافة) كما قال سبحانه وتعالى :(ادخلوا في السلم كافة) لأن العرب لم تلحق لام التعريف بكافة ، كما لم تلحقها بلفظة (معا) ولابلفظة (طراً)! ..

ليس غير

تقول : (قبضتُ عشرة ليس غير) والاصل ليس المقبوض غير ذلك فأضمر اسمٍ ليس وحذف ما أضيفت اليه غير ، وبنيت (غير) على الضم تشبيهاً لها بقبل وبعد.. ويحتمل ان يكون التقدير (ليس غير ذلك مقبوضاً) ثم حذف خبر ليس وما أضيفت اليه (غير) وتكون الضمة على هذا ضمّه إعراب .. والوجه الاول اولى .. واما (لاغير) فلم تتكلم به العرب فإمّا انهم قاسوا (لا) على (ليس) او قالوا ذلك سهواً ..

مع

كثيرا ماتراهم يستعملون (معاً) بعد الافعال المبيّنة على وزن (تفاعل) للمشاركة فيقولون : تشارك زيد مع عمرو .. وتحادث بكر مع خالد .. وتصارع فلانٍ مع فلانٍ .. والصواب ان يقال : تشارك زيد وعمر او شارك زيد عمراً ..!

وبعد ..

تلك بعض نبذ اوردها (رفيق فاخوري) في (معجم شوارد النحو) اثر تجارب لغوية عاناها .. لشد ما تمر في احاديثنا وكتاباتنا دون بصيرة ، فتبعدنا عن حقيقة ماهيتها الموجودة فيها ، وتنأى بنا عن النهج السوي الذي انتهجه اجدادنا فعزّوا وبزّوا .. وعلّة ذلك – عندي – اننا لانستضيء بجدية الاستعانة بصحيح لغتنا ، ولانعمد جاهدين الى وضع مفرداتها في موضعها طبقاً لبنيتها اللغوية ، ولانحكّم ذوقنا السليم

الذي يجنبنا الخطأ الذي قد نقع فيه ، تبجيلاً للغتنا الجميلة وهي كما اسلفنا من اغنى اللغات واعلاها شأناً .. وهذ لعمري هو الغاية التي قصدنا من التنويه بهذا المعجم ، وهو الهدف الذي رمينا اليه في الاشادة بمصنفه .

―― * ――

قَبَس من تاريخنا

سِحْر الغِناء

مغناة عربية ذات خمسة مشاهد

تقديم :

لم تكن التمثيلية معروفة - كفن - او ملكة - في أدبنا العربي القديم لأسباب جمة لامجال لذكرها الآن .. ولكننا نرى ان ثمة كثيراً من الحوار التمثيلي او "المناظر الصغيرة" مبثوثة في طيات كتبنا الأدبية القديمة .. نستطيع بقليل من الجهد ان نجعل منها تمثيليات تحاكي - من حيث خلق الجو المسرحي - أروع المسرحيّات الغربية .. ولقد جرَّب الروائي العربي الكبير توفيق الحكيم هذا الضرب من الأدب في بعض مسرحياته الصغيرة التي نقلها عن (الجاحظ) دون ان يغيِّر في الالفاظ والمعاني ، بل سمح لنفسه - كما يقول - ببعض الحذف وبعض الملاءمة بين وضع الحوار الاصلي ، والوضع المسرحي ،من غير ان يمس جوهر الموضوع !.. ولقد اشار توفيق الحكيم الى ان عناصر كل موضوع من انواع الادب والفكر موجودة عند ادبائنا القدامى لكنها بجرّد عناصر فحسب .. كما دعا الى استخراج هذه العناصر وتفصيلها وتبويبها ، ، هادفاً من وراء ذلك (اعادة الشباب) الى الأدب القديم بالباسه حلة جديدة دون تغيير في اللب !.. وها أنذا انتهج نهجه في اقتباس هذه التمثيلية الغنائية القديمة التي تكاد تمثل ضرباً من (الاوبريت الغنائية) لاتقل شأواً عن اية (اوبريت غربية) في ازهى عصورها مؤمناً معه " بأن مجال العمل في الادب العربي القديم متسع ولن تفرغ منه اجيال قادمة برمّتها .."

المشهد الاول

المنظر : (خارج المدينة المنوّرة) بئر .. غياض .. نخيل .. يدخل المغني اسماعيل بن جامع السهمي رائحاً غادياً في خطىً مضطربة واسمال بالية .. يبلغه على حين غرّة غناء آت من بعيد فيقف مرهفاً سمعه ، ماداً ناظريه .. يرى نسوة يقبلن وقد حملن على عواتقهن جرار الماء .. تعتريه هزّة فرح .. تقترب النسوة منه ، ولاتبرح احداهن مسترسلة في غنائها .)

اسماعيل :

(يدنو منها وقد أخذ غناؤها بقلبه وان لم يع منه حرفاً يستوقفها متردِّداً)

ياجارية ! ما أدري أوجهكِ ام غناؤك أسرني ! ولقد أعجبني والله حسنُ غنائكِ .. (متوسلاً) لو شئت أعدت !.

الجارية :

(مطمئنة)

حبّاً وكرامةً (تجلس مسندة ظهرها الى جدار قديم واضعة جرّتها في حجرها صادحة بصوتها الاول)

شكونا الى احبابنا طول ليلنا

فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا [1]

---

(١) الشعر لعبد الله الاحوص الانصاري (٠٠ - ١٠٥ هـ - ٠٠ - ٧٢٣ م) من بني ضبيعة وهو شاعر هجاء صافي الديباجة من طبقة جميل بن معمر ونصيب ، وكان معاصراً لجرير والفرزدق ، ومن سكان المدينة .. نفاه الوليد بن عبد الملك الى اليمن ، وكان حمّاد الراوية يقدّمه في النسيب على شعراء زمنه .. لقب بالأحوص لضيق مؤخر عينيه ، وله اخبار كثيرة (اغاني ج ٤)

وذاك لان النوم يغشي عيونهم

سراعاً ومايغشى لنا النوم أعينا

فلو أنهم كانوا يلاقون مثلما

نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنـــا

اسماعيل :

(لم يع منه حرفاً .. متوسلاً في لهجة تنم عن استحسان)

أحسنتِ ! لوشئتِ أعدتِ ..!

الجارية :

(تفطن الى بغيته .. في تبَّرم)

مـا أعجـب أمركـم .. أحدكـم لايـزال يجيء الى الجاريـة عليهـا الضريبة فيشغلها !

اسماعيل :

(يضرب بيده على دراهم ثلاثة لايملـك سواها فيدفعها اليهـا .. معتذراً)

خذي هذه الدراهم الثلاثة فأقيمي بها وجهك اليـوم الى ان نلتقي .!

الجارية :

(تتناول الدراهم كالكارهة .. في لهجة اعتزاز)

أنت الآن تريد أن تأخذ مني صوتاً أحسبك ستأخذ به الف دينار والف دينار والف دينار (تنبعث بالغناء بصوتها الاول حتى تكمله ثـم تنهض منصرفة يتبعها اسماعيل واجماً بنظرة اعجاب .. صمت قصير .. يمضي متمهلاً وهو يترنّم بالصوت نشوان حتى يتوارى ..)

(تطفأ الأضواء هنيهة ثم تضاء)

(فاصل موسيقي .. تقاسيم على العود)

المشد الثاني

المنظر : (قبيل الغروب .. اسواق بغداد عاصمة الرشيد .. يبدو اسماعيل مرهقاً يرتدي ثياباً حائلة اللون .. يسير حائراً لايدري اين يتوجه ، ولامن يقصد.. يبلغ جسراً فيعبر مع من يعبر حتى ينتهي الى شارع عريض .. يُرى عن بعد مسجد بالقرب من دار الفضل بن الربيع .. يبلغ المسجد فيقف قبالته) .

اسماعيل :

(مخاطباً نفسه) مسجد قوم سراة وقد تسامت مأذنته واحكم بناؤه فلأدخلنه لعل به بعض من يعولني من اهل البر والاحسان ! (يدخل المسجد .. يصلي صلاة المغرب ويقيم فيه لايبرحه حتى يصلي صلاة العشاء .. تبدو عليه آثار الجوع .. ينصرف اهل المسجد الا رجلاً يصلي وخلفه خدم ينتظرون فراغه .. ينهض الرجل منصرفاً فيرى اسماعيل قابعاً)

الرجل :

(الى اسماعيل)

احسبكَ غريباً ؟

اسماعيل :

(في هلع)

اجل ! (ينهض)

الرجل :

متى كنتَ في هذه المدينة ؟

اسماعيل (متردّداً)

دخلتها آنفاً وليس لي بها منزل ولامعرفة .. وليست صناعتي من الصنائع التي يمن بها اهل الخير .!

الرجل : ماصناعتك ؟

اسماعيل :

(مطرقاً)

الغناء !

الرجل :

حسن ! (يلتفت الى احد الخدم) اعن به (يخرج)

اسماعيل : (للخادم)

من هذا ؟

الخادم :

هذا سلاّم الابرش يا أخا العرب

(يأتي رسول فيمضي باسماعيل)

(تطفأ الاضواء هنيهة ثم تضاء)

(فاصل موسيقي .. تقاسيم على العود)

■

المشهد الثالث

المنظر : (قصر من قصور الرشيد .. يسير اسماعيل خلف الخادم في دهليز من دهاليز القصر حتى يبلغا مقصودة فيها خدم .. يجلس اسماعيل متربعاً في ركن من المقصورة ، وهو يتلفت كالمبهور)

الخادم : عليَّ بطعام ! (يمضي احد الخدم ..)

(هنيهة صمت .. يؤتى بطعام .. يأكل اسماعيل حتى يمتلىء .. تسمع جلبة وضوضاء خارج المقصورة .. يدخل خادم)

الخادم : اين الرجل ؟

الخدم :(بصوت واحد)

هوذا !

الخادم : ادعوا له بغسول وخِلعة وطيب

(يمضي خادم ثم يعود حاملاً ابريقاً وطستاً وثياباً .. يبدأ اسماعيل بغسل وجهه وارتداء الثياب التي قدّمت اليه يخرج مع الخدم)

(تطفأ الاضواء هنيهة ثم تضاء)

(فاصل موسيقي .. تقسيم على العود)

■

المشهد الرابع

المنظر : (داخل قصرآخر من قصور الرشيد .. سرر ورياش ارائك .. رجل جالس خلف ستر عن يمينه ثلاث جوار في حجورهن العيدان ، وفي حجر الرجل عود ..يدخل اسماعيل خلف خادم وهو يسرِّح طرفه فيما حوله مبهوراً)

الخادم : (الى اسماعيل بعد ان دنا من الرجل الجالس)

اجلس هنا

(يجلس اسماعيل)

الرجل : (الى اسماعيل)

حييت اخا العرب !

اسماعيل : (في صوت خافت)

حييت!

(صمت قصير .. يخرج خادم من وراء الستر)

الخادم : (الى الرجل)

تغن ! (ينصرف)

الرجل :

(ينبعث بالغناء بصوت لابن جامع ولكن بغير اصابة واوتار مختلفة ودساتين مختلفة) .

لم تمش ميلاً ولم تركب على قتب

ولم تر الشمس الا دونها الكللُ

تمشي الهوينا كأن الريح ترجعها

مشي اليعافير في جيآتها الوهلُ

(صمت قصير .. يعود الخادم)

الخادم : (الى الجارية الاولى التي تلي الرجل)

تغنّي (ينصرف)

الجارية :

(تنبعث بالغناء بصوت لابن جامع ، ولكنها احسن حالاً من الرجل)

يادار اضحت خلاءً لا أنيس بها

الا الظباء والا الناشط الفردُ

اين الذين اذا مازرتهم جذلوا

وطار عن قلبي التشواق والكمدُ

(صمت قصير .. يعود الخادم)

الخادم : (الى الجارية الثانية)

تغني ! (ينصرف)

الجارية : (تنبعث بالغناء بصوت لحكم الوادي)

فو الله ما أدري أيغلبني الهوى

إذاجدّ وشك البين ام اناغالبه

فإن استطع اغلب وإن يغلب الهوى

فمثل الذي لاقيت يغلب صاحِبُهْ

(صمت قصير .. يعود الخادم)

الخادم : (إلى الجارية الثالثة)

تغني !(ينصرف)

الجارية : (تغني بصوت لحنين)

مررنا على قيسية عامرية

لها بشر صافي الاديم هجان

فقالت والقت جانب السبز دونها

من ايّة ارض او مَن الرجلان ؟

فقلت لها اما تميم فأسرتي

هديتِ واما صاحبي فيمان

رفيقان ضم السفر بيني وبينه

وقد يلتقي الشتّى فيأتلفانِ

(يرين صمت قصير .. يعود الخادم)

الخادم :(الى المغني الاول)

تغن ! (ينصرف)

المغني : (ينبعث بالغناء بصوت يشبّه فيه)

امسى باسماء هذا القلب معمودا

اذا أقول صحا يعتاده عيدا

كأن احور من غزلان ذي بقر

اعارها شبه العينين والجيد ا

ومشرقاً كشعاع الشمس بهجته

ومسبطراً على كبّاتها سودا

(صمت قصير .. يبدو اسماعيل وكأنه يتهيأ للغناء .. يعود الخادم)

الخادم : (الى الجارية الاولى)

تغني ا (ينصرف .. يظهراسماعيل تململه)

الجارية : (تغني بصوت لمتحكم الوداي)

تعيّرنا إنا قليل عديدنا

فقلت لها إن الكرام قليل

وماضرنا انّا قليل وجارنا

عزيز وجار الاكثرين ذليل

وإنا لقوم مانرى القتل سبّة

اذا مارأته عامر وسلول

يقرّب حب الموت آجالنا لنا

وتكرهه آجالهم فتطول

(صمت قصير .. يتهيأ اسماعيل للغناء في ترقُّب وتوجُّس .. يعود الخادم)

الخادم : (الى الجارية الثانية)

تغني (ينصرف .. يغمغم اسماعيل بكلمات خافتة تنمّ عن الضجر، ونفاد الصبر)

الجارية : (تنبعث بالغناء)

وددتك لماكان ودّك خالصاً

وأعرضت لما صرت نهباً مقسَّما

ولايلبث الحوض الجديد بناؤه

إذا كثر الوراد أن يتهدَّما

(صمت قصير .. يبدو اسماعيل قلقاً وقد مدّ ناظريه الى الستر في تلهف .. يعود الخادم)

الخادم : (الى الجارية الثالثة)

تغني ! (ينصرف)

اسماعيل : (في نبرة احتجاج)

ويحهم! أتراهم نسوني ؟

المغني الأول : (في هدوء)

اصبر .. أتدري مايخبأ لك ؟

(صمت قصير)

الجارية : (تنبعث بالغناء)

وماكرَّ إلا كان اول طاعن

ولا ابصرته الخيل إلا اقشعرت

فيدرك ثأراً وهو لم يخطه القنا

فمثل اخي يوماً به العين قرّت

فلست ارزّى بعده برزّية

فأذكره إلا سلّت وتجلّت

(صمت قصير .. يتهيأ اسماعيل للغناء قلقاً مترقباً عودة الخادم .. يعود الخادم .. يحدجه اسماعيل بنظره في تلهف)

الخادم : (الى المغنى الاول)

(تغن ! المغني ينصرف .. يهز اسماعيل كتفيه لامبالياً ، ويطرق مفكراً)

المغني : (ينبعث بالغناء)

لحى الله صعلوكاً مُناه وهمّه

من الدهر ان يلقى لبوساً ومطعما

ينام الضحى اذا ليله انتهى

تنبّه مسلوب الفؤاد مورّما

ولكن صعلوكاً يساور همّه

ويمضي الى الهيجاء ليثاً مقدّما

فذلك إن يلق الكريهة يلقها

كريماً وإن يستغن يوماً فربما

(صمت قصير .. لايبرح اسماعيل مطرقاً.. يعود الخادم)

الخادم : (الى الجارية الاولى)

تغنّي ! (ينصرف)

الجارية : (تنبعث بالغناء)

الم تر لما ضمّني البلد القفر

سمعت نداء يصدع القلب ياعمرو

أغثنا فإنا عصبة مذحجيّة

نزار على وفر وليس لنا وَفْرُ

(صمت قصير .. لايبرح اسماعيل مطرقا لايحفل بما حوله .. يعود الخادم)

الخادم : (الى الجارية الثانية)

تغنّي (ينصرف)

الجارية الثانية: (تنبعث بالغناء)

فلما تواقفنا وسلّمت أسفرت

وجوه زهاها الحسنُ ان تتقنّعا

تبالهن بالعرفان لما عرفنني

وقلن امرؤ باغ اكلّ وأوضعا

ولو تواضعن الاحاديث قلن لي

أخفت علينا ان نغرّ ونخدعا

(تنتهي الجارية ولما يحضر الخادم .. صمت قصير .. يرفع اسماعيل رأسه وينظر فيما حوله ، وقد ازدادت وطأة شعوره بالإعراض عنه .. يتبادل والمغني نظرات يأس وضيق ، ثم لايلبث ان يخاطبه في صوت خافت حزين)

اسماعيل : (الى المغني)

بأبي انت خذ العود واشدد وتره ، وارفع الطبقة

(يفعل المغني مايطلبه اسماعيل .. يدخل الخادم)

الخادم : (الى اسماعيل)

تغن عافاك الله !

اسماعيل : (ينبعث بالغناء بصوت المغني على غير ماغنّاه)

لم تمش ميلاً ولم تركب على قتب

ولم تر الشمس إلاّ دونها الكللُ

تمشي الهوينا كأن الريح ترجعها

مشي اليعافير في جيآتها الوهلُ

(تهرع جماعة من الخدم حتى تبلغ اسماعيل فتسنده على اريكة)

الخدم : (بصوت واحد)

ويحك! لمن هذا الغنـ.ـء ؟

اسماعيل : (في لهجة متعالية دون ان يلتفت اليهم)

لي !

(يخرج الخدم .. صمت قصير .. يعودون مهرولين)

الخدم : (بصوت واحد)

(كذبت هـذا الغنـاء لاسمـاعيل بـن جـامع .. يخرجـون .. تطفـأ الاضواء هنيهة ثم تضاء)

■

المشهد الخامس

(يدخل هارون الرشيد وجعفر بن يحيى من وراء الستار .. يقف المغنون اجلالاً مطرقين .. يسود المسرح جو من الخشوع والرهبة)

جعفر بن يحيى : (الى اسماعيل)

هذا امير المؤمنين قد اقبل يستمع الى غنائك ..!

(يتقدّم اسماعيل فيقبّل يد الرشيد)

الرشيد : (وهو يعتلي سريره)

ابن جامع ؟

اسماعيل : (مطرقاً)

ابن جامع .. جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين !

الرشيد : متى كنت في هذه الحاضرة ؟

اسماعيل :

دخلتها آنفاً .. في الوقت الذي علم بي امير المؤمنين !

الرشيد :

اجلس ويحك يابن جامع .. أبشر وابسط املك !

اسماعيل :

(وقد استطاع السيطرة على نفسه)

ادام الله بقاء مولاي واعز سلطانه !

(يجلس)

الرشيد :

غنّ يا ابن جامع !

اسماعيل :

(يخطر بقلبه صوت جارية المدينة ، فيومئ الى الرجل المغني ان صلح العود حتى تستقيم اوتاره .. يتناوله منه وينبعث بالغناء بصوتها)

شكونا الى احبابنا طول ليلنا

فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا

وذاك لأن النوم يغشى عيونهم

سراعاً ومايغشى لنا النوم اعينا

فلو انهم كانوا يلاقون مثلما

نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

الرشيد : (الى جعفر في نشوة)

اسمعت كذا من قبل ؟

جعفر : (في استحسان)

لاوالله ماخرق سمعي قط مثله يا أمير المؤمنين

الرشيد : (يلتفت الى خادم واقف خلفه هامسا بأذنه .. فيناوله الخادم كيساً فيه دراهم .. يرمي به الى اسماعيل)

هذه الف دينار لك !

اسماعيل : (يتلقى الكيس فيصيّره تحت فخذه)

ادام الله بقاء مولاي وأعز سلطانة !

جعفر : (الى اسماعيل)

ردد يا ابن جامع على مسامع امير المؤمنين هذا الصوت !

اسماعيل : (يجيل بصره وهو يتزيد صوت الجارية ويتزيد عليه)

جعفر : (للرشيد معجباً)

اما تراه يامولاي كيف يتزيدّ في الغناء ؟ هذا خلاف ماسمعناه اولاً وإن كان الامر في اللحن واحداً !

الرشيد: (يومئ الى الخادم فيناوله كيساً آخر.. يرمي به الى اسماعيل)

وهذه الف دينار .. تغن اسماعيل ماحضرك !

اسماعيل : (في نشوة)

سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين

(ينبعث بالغناء بصوت له)

فلو كان لي قلبان عشت بواحد

وخلّفت قلباً في هواك يعذّبُ

ولكنما احيا بقلب مروّع

فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقربُ

تعلمت اسباب الرضا خوف سخطها

وعلّمها حبي لها كيف تغضبُ

ولى الف وجه قد عرفت مكانه

ولكن بلا قلب الى اين يذهبُ

(صمت قصير)

جعفر : (الى اسماعيل)

اتعبناك هذه الليلة بالغناء يا ابن جامع فأعد على امير المؤمنين ت الجارية!

اسماعيل : (يغني بصوت الجارية)

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا

فقالوا ما أقصر الليل عندنا

وذاك لأن النوم يغشى عيونهم

سراعاً ومايغشى لنا النوم أعينا

فلو أنهم كانوا يلاقون مثلما

نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

الرشيد :

(يؤمئ الى الخادم فيناوله كيساً ثالثاً .. يرمي به الى اسماعيل)

وهذه الف دينار !

(يتذّكر اسماعيل قول جارية المدينة فيبتسم ابتسامة يلحظها الرشيد فيغضب)

ويحك ! مم تبسَّمت ؟

(يخيِّم صمت مفاجئ .. يعتري الحضور وجوم وهلع)

اسماعيل : (يقف وهو يرتجف)

الصدق منجاة يا أمير المؤمنين ..!

الرشيد : (منتهراً)

قلْ ، لا أمّ لك !

اسماعيل : (مرتبكاً)

حدث لي يامولاي ان جارية حميراء مرت بي ذات يوم وهي تغني على إيقاع شعريّ فسحرني غناؤها فاستوقفتها ، وطلبت اليها إعادته ففعلت فأخذ في نفسي فرجوتها اعادته ثانية فاغتاظت ، فدفعت اليها بثلاثة دراهم كانت بيدي فأخذتها كارهة وهي تقول الآن تريد ان تأخذ منى بدريهما تلك صوتاً أحسبكَ ستأخذ به الف دينار ، والف دينار والف دينار ، فتذكّرت صدق قولها فتبسمت .!

الرشيد : (وقد ذهب عنه الغضب)

قد يكون هذا !

(صمت قصير .. ينزل الرشيد من سريره فيقف الحضـور اجـلالاً مطرقي الرؤوس .. يومئ الى اسماعيل ان يتبعه)

(فاصل موسيقي خافت .. تقاسيم على العود)

يسدل الستار

■■■■■■■

المحتـــــوى

صائب ، سعد ، في رحاب الأدب ، تجارب أدبية ونقدية ، دراسة ،

الطبعة الأولى ، منشورات اتحاد الكتاب العرب

٢١٢ص ، ٥ر١٧×٢٥

مطبعة اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٥/١١/٢٠٠٠



اتحاد الكتاب العرب